الكيالا الاخترية

مَابِينَ البَعَنْ إلى يُخُولُ الْجَنَّة أَوْ النَّارُ

تأليمت د.غالب بر علج عسواجي

الجنزة الثاليث

المكتَبَذالِ*عَصِرِتِّ ذِالدَّهَب*ِيَّذِ حِسْسِتَة جمعتون العطيع محيَّ فوظمَّر الطَهْبَعَتَة الشَّانِيَة اكلهُعَتَة الشَّانِيَة

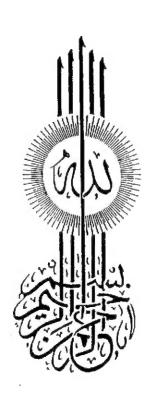
المكت بنالعضرت الذهب ين

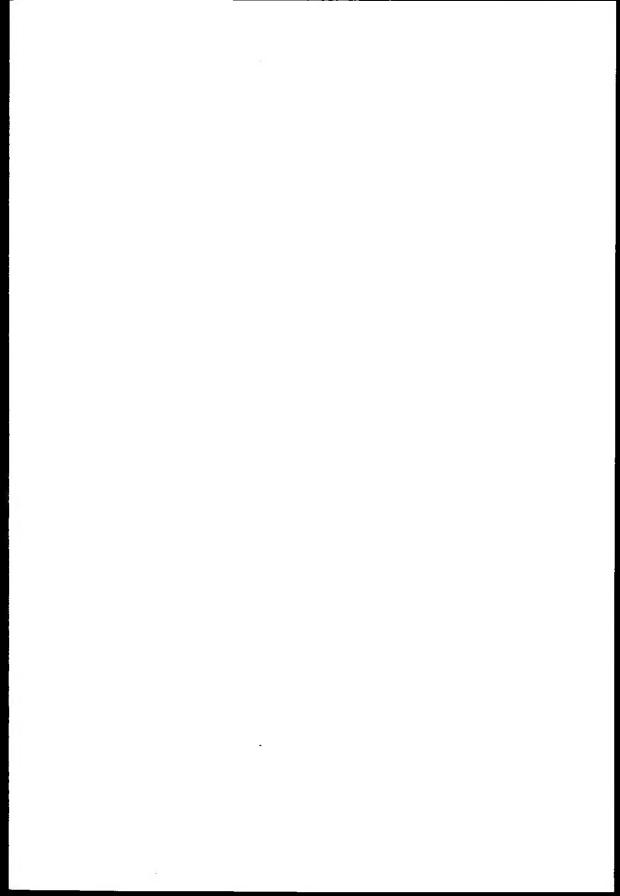
لِلطَبُّاعَة وَالنَشْنُر وَالنَّسَّوتِينَ

جستنة: ١٥٢-٩٧٢ - ٩٨٨٣٩٦٢

الربياض: ٢٧٦٥٠٠٨ - ٤٧٢٤٨٤٤

الدَمَّام:





الباب التاسع

الميزان

ويشتمل على الفصول الآتية:

القصل الأول: تعريف الميزان:

١_في اللغة.

٧_في الأصطلاح.

الفصل الثاني: أدلة إثبات الهيزان:

١ ـ من كتاب الله تعالى .

٢ ـ من السنة النبوية.

الفصل الثالث: وجوب الإيمان بالهيزان، وإجماع الأمة على ذلك.

الفصل الرابع: الهنكرون للميزان والرد عليهم،

الفصل الخامس: حفات الهيزان.

١_الهثبتون لصفاته.

٢_النافون لصفائه.

القصل السادس: ما الذي يوزن في الهيزان، هل هو العاصل؟ أو العمل؟

أو صحف الأعمال؟

١ ـ أدلة وزن العامل.

٢ ـ أدلة وزن العمل.

٣_ أدلة وزن صحف الأعمال.

الفصل السابع: حكمة الله تعالى في وزن أعمال العباد، وألرد على من

ينڪره.

القصل الثامن: مرجعات الهيزان،

الفصل التاسع: متى تنصب الموازين؟

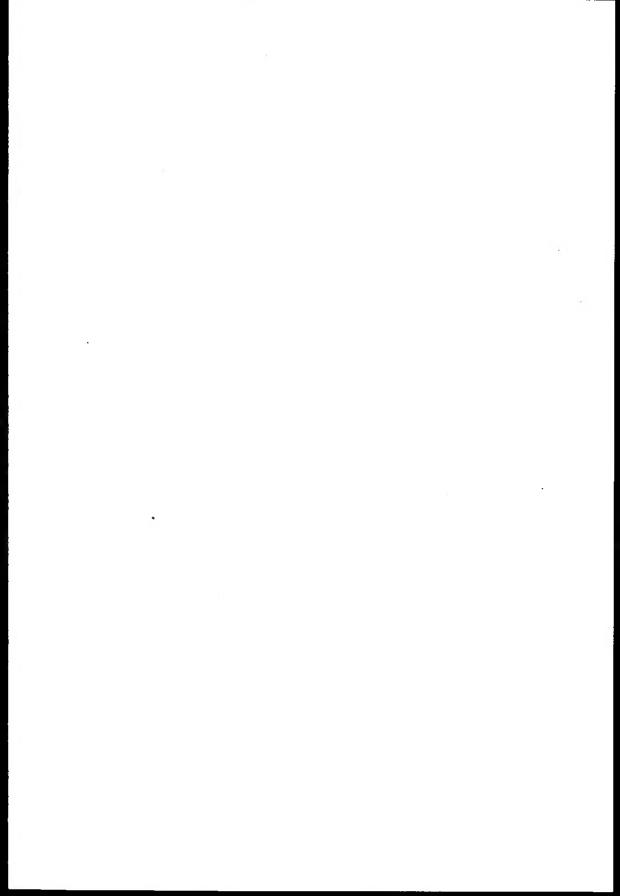
الفصل العاشر: إمن ينصب الهيزان؟

الفصل الحادي عشر: كيفية الوزن،

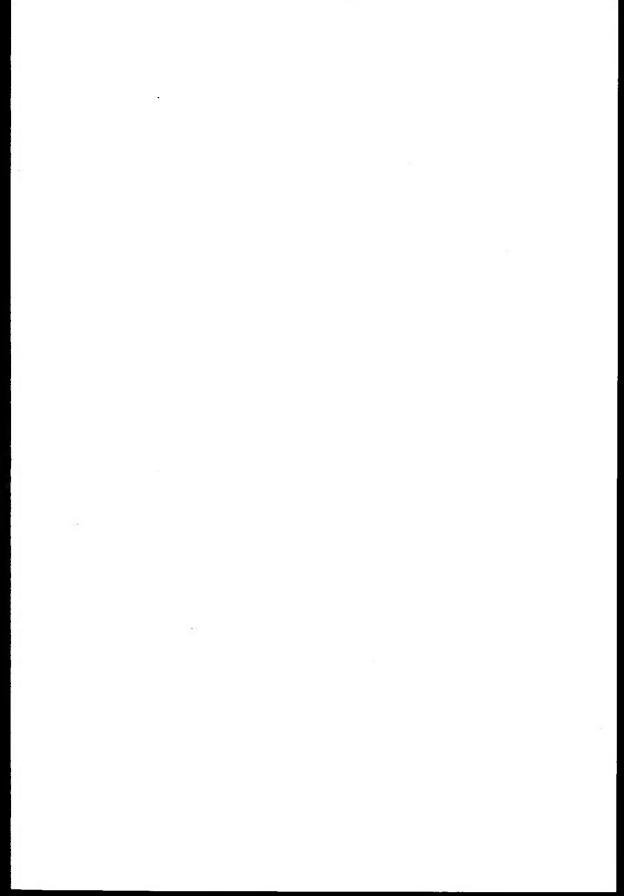
القصل الثاني عشر: ﴿ هُلُ هُو صَيْحَانَ وَاحْدِيُومُ القَيْحَامِـةُ أَوْ فَعَانِينَ

Sassera

الفصل الثالث عشر: ﴿ هُلُ تُوزُنُ أَعِمَالُ الَّجِنَّ؟







الفصل الأول تعريف الميزان لغة واصطلاحاً

وقبل ذكر تفاصيل ما جاء عن الميزان، ووزن الله لأعمال العباد في يوم . القيامة؛ نذكر ما قيل في تعريفه لغة واصطلاحاً.

١ ـ تعريف الميزان في اللغة:

قال الليث: الوزن ثقل شيء بشيء مثله.

وقد أطلقت لفظة الوزن والميزان على عدة معان، فهو يطلق ويراد به بيان قدر الشيء وقيمته، أو خسة الشيء وسقوطه، كما قال تعالى: ﴿ فلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٥].

قال أبو العباس: قال ابن الأعرابي: العرب تقول: ما لفلان عندنا وزن، أي قدر؛ لخسته. ويقال: وزن الشيء إذا قدره، ووزن ثمر النخل إذا خرصه.

وذكر الأزهري ـ بعدما تقدم من تلك المعاني اللغوية:

أن الميزان يأتي في باب اللغة مرادًا به الميزان ذي الكفات، ويأتي مرادًا به العدل أيضاً، كما يأتي ويراد به الكتاب الذي فيه أعمال الخلق.

ثم قال: «وهذا كله في باب اللغة والاحتجاج سائغ»(١)

⁽١) انظر: تهذيب اللغة جـ ١٣ ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

وقال الراغب: «الوزن معرفة قدر الشيء . . . والمتعارف في الوزن عند العامة ما يقدر بالقسط والقبّان».

ثم ذكر بعض الآيات التي تدل على أنه يأتي مرادًا به المعدلة في جميع ما يتحراه الإنسان من الأفعال والأقوال، مثل قوله تعالى: ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ [الرحمن: ٩].

وأنه يأتي بمعنى العدل في محاسبة الناس، كما قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمُوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (١) [الأنبياء: ٤٧]

أما الميزان؛ فهو (الآلة التي يوزن بها الأشياء) ويجمع على: موازين.

(وجائز أن يقال للميزان الواحد بأوزانه وجميع آلته الموازين، قال الله عز وجل: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِيسَنَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (١) يريد نضع الميزان ذا القسط. وسيأتي تفصيل هذا.

وجاء إطلاق الموازين على الأعمال:

كما قال تعالى: ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَعْدُ الْحَقُّ فَمَن ثَقَلَتْ مَوَازِيـــنُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلَحُونَ ﴾ [الأعراف: ٨].

قال الأزهري: (أراد والله أعلم ـ: فمن ثقلت أعماله التي هي حسناته)(١)

وذكر الراغب (أن مجيء الميزان على صيغة الجمع تارة ومجيئه تارة أخرى بالإفراد فإنما هو باعتبار المحاسب والمحاسبين، فمجيئه بلفظ الواحد اعتباراً بالمحاسب، ومجيئه بالجمع اعتباراً بالمحاسبين)(٢).

⁽١) انظر: المفردات ص ٥٢٢.

⁽٢) انظر: تهذيب اللغة جـ ١٣ ص٢٥٦_٢٥٧.

⁽٣) المفردات ص ٥٢٢.

٢ ـ الميزان في الاصطلاح:

أما المراد بالميزان في الاصطلاح الشرعي فهو الميزان الذي أخبر الله تعالى عنه في كثير من آيات القرآن الكريم.

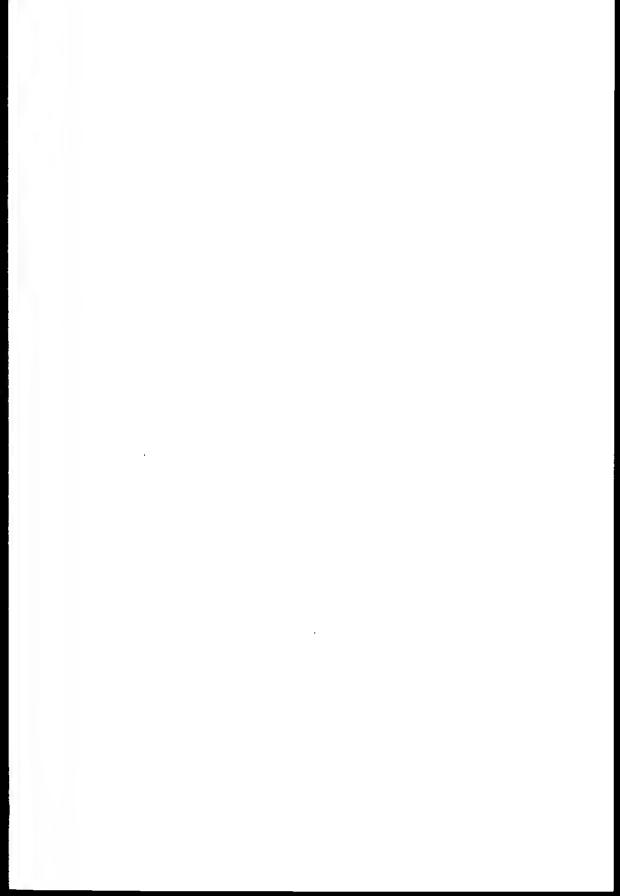
وأخبر عنه رسوله ﷺ في الأحاديث الشريفة في أكثر من مناسبة، تنويهًا بعظم شأنه وخطورة أمره.

وهو ميزان حقيقي، له لسان وكفتان توزن به أعمال العباد، خيرها وشرها، وقد أخبر الله تعالى عنه في القرآن الكريم إخبارًا مجملاً من غير تفصيل لحقيقته، وجاءت السنة النبوية فبينته.

ونوضح كل ذلك فيما يأتي من أبحاث الميزان.

* * *





الفصل الثاني أدلة إثبات الميزان

ثبت ميزان الأعمال الذي ينصبه المولى جلت قدرته لإظهار مقادير أعمال الخلق الذين يحاسبهم في موقف فصل القضاء ثبوتًا واضحًا، وقد جاء ذكره في كتاب الله تعالى في أكثر من موضع.

وجاء ذكره كذلك في سنة المصطفى عَلَيْ في أكثر من مناسبة، وأجمع على القول به واعتقاده جميع السلف الصالح من أهل الإسلام عمن يعتد بقولهم في باب العقائد.

وسنعرض فيما يلي أدلة إثباته:

أ من كتاب الله تعالى .

بـ ومن سنة نبيه ﷺ .

أ ـ أدلة إثبات الهيزان من القرآن الكريم

١ - قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَالْوَزْنُ يُومْعَدُ الْحَقُّ فَمَن ثَقَلَتْ مَوَازِيسنَهُ فَأُولَتِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِيسنَهُ فَأُولَتِكَ الَّذِيسنَ خَسرُوا أَنفُسهُم بِمَا كَأَنُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٨، ٩]

٢ ـ وقال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمُوازِيــنَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ
 شَيْئًا وَإِن كَانَ مَثْقَالَ حَبَّة مِّنْ خَرْدُلِ أَتَيْنًا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٤

٣ وقال تعالى: ﴿ فَمَن ثَقَلَتْ مَوَازِيسَنُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِيسَنُهُ فَأُولَئِكَ اللَّذِينَ خَسِرُوا أَنَـفُسَهُمْ فِي جَهَنَمَ خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٣، ١٠٣].

٤ ـ وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينَهُ ① فَهُوَ فِي عيسشَة رَاضِية ﴿ ۞ وَأَمَّا مَن خُفَّتْ مَوَازِينَهُ ۞ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ . [القارعة: ٦ - ٩].

٥ ـ وقدال تعدالى: ﴿ أُولَٰتِكَ الَّذِيـــنَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٥].

ودلالة تلك الآيات على إثبات الميزان أمر ظاهر ، وقد وصف الله فيها الموازين بالثقل والخفة.

ووصفها كذلك بأنها موازين عدل، وأن من ثقل ميزانه فقد أفلح وعاش عيشة راضية، ومن خف ميزانه فقد خسر وهوى إلى جهنم، وإذا كان الأمر كذلك؛ فليستكثر العبد من العمل الصالح إذا أراد ثقل موازينه، وليطمئن إلى أنه لا يفوته مما قدم من أعمال الخير شيء.

وبعد عرض تلك الآيات نتبعها بأدلة أخرى من أقوال المصطفى عَلِيٌّ فيما يلي:

ب ـ أدلة إثبات الهيزان من السنة النبوية:

وأما أدلة إثبات الميزان من السنة ـ وهي كثيرة ـ فمنها :

إخباره على بالأمور التي تكون ثقيلة في ميزان العبد إذا فعلها مخلصًا من قلبه، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي على المعتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، (١).

⁽١) صحيح البخاري جـ ١٣ ص ٥٣٧ ، ومسلم جـ ٥ ص ٥٤٨ .

وفي قوله: (كلمتان) إطلاق كلمة على الكلام، وهو مثل كلمة الإخلاص وكلمة الشهادة، (والمعنى: محبوب قائلهما)، (وخص لفظ الرحمن بالذكر لأن المقصود من الحديث بيان سعة رحمة الله تعالى على عباده؛ حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الكثير).

ومعنى وصفهما بالخفة والثقل هو (لبيان قلة العمل وكثرة الثواب).

ومعنى وصفهما بالخفة (إشارة إلى قلة كلامهما وأحرفهما ورشاقتهما) . . .

قال الطيبي: الخفة مستعارة للسهولة، وشبه سهولة جريانها على اللسان بما خف على الحامل من بعض الأمتعة فلا تتعبه كالشيء الثقيل، وفيه إشارة إلى أن سائر التكاليف صعبة شاقة على النفس ثقيلة، وهذه سهلة عليها مع أنها تثقل الميزان كثقل الشاق من التكاليف.

وقد سئل بعض السلف عن سبب ثقل الحسنة وخفة السيئة فقال: لأن الحسنة حضرت مرارتها وغابت حلاوتها؛ فثقلت؛ فلا يحملنك ثقلها على تركها، والسيئة حضرت حلاوتها وغابت مرارتها؛ فلذلك خفت؛ فلا يحملنك خفتها على ارتكابها (۱).

وعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: والطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو؛ فبانع نفسه فمعتقها أو موبقها، (٢).

قال النووي عن مزية هذا الحديث: (هذا حديث عظيم، وأصل من

⁽١) انظر: فتح الباري جـ١٣ ص ٥٤٠.

⁽٢) صحيح مسلم جـ ١ ص ٥٠١.

أصول الإسلام، وقد اشتمل على مهمات من قواعد الإسلام).

أما معنى (الطهور شطر الإيمان) فإن الشطر معناه التصف، وإذا كان الشطر هو النصف؛ فكيف كان الطهور ـ الذي أصله النظافة والتنزه ـ نصف الإيمان؟ اختلف العلماء في ذلك.

فقيل معناه:

١ ـ إن الأجر فيه ينتهي تضعيفه إلى نصف أجر الإيمان.

٢ ـ وقيل: معناه: إن الإيمان يجب ما قبله من الخطايا، وكذلك الوضوء، لأن الوضوء لا يصح إلا مع الإيمان؛ فصار ـ لتوقفه على الإيمان في معنى الشطر.

٣- (وقيل: المراد بالإيمان هنا: الصلاة، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَمَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، والطهارة شرط في صحة الصلاة؛ فصارت كالشطر، وليس يلزم في الشطر أن يكون نصفًا حقيقيًا).

. . وقد رجح النووي القول الأخير من تلك الأقوال .

وزاد فذكر أنه (يحتمل أن يكون معناه أن الإيمان تصديق بالقلب وانقياد بالظاهر وهما شطران للإيمان، والطهارة متضمنة الصلاة، فهي انقياد في الظاهر)(١).

ولا يستبعد أن يكون القول الأول هو الراجح أيضًا؛ لأن الرسول على الخبر عن هذه الفضائل في معرض الترغيب في الأجر.

وهذه الألفاظ التي ذكرها الرسول ﷺ من أن الحمد لله تملأ الميزان،

⁽١) انظر: شرح النووي بصحيح مسلم جرا ص٥٠١.

وسبحان الله والحمد الله تملأ ما بين السموات والأدض) تفضل عظيم من الله تعالى على عباده، حيث جعل جزاء هذه الكلمات اليسيرة ذلك الأجر العظيم حينما يتقبل الله قولها من العبد، إذ إن ذلك شرط لابد منه.

فليس كل من قالها يحصل له هذا الفضل العظيم بمجرد القول وإن لم تتحقق فيه أهلية قبولها، والله تعالى كما أخبر في كتابه الكريم أنه لا يتقبل إلا من المتقين لا سواهم.

وأخرج النسائي عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله على قال: السباغ الوضوء شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان .. والتسبيح والتكبير يملأ السموات والأرض، والصلاة نور، والزكاة برهان، والصبير ضياء، والقرآن حنجة لك أو عليك، (١).

وهذا الحديث دلالته كدلالة الحديث السابق، ومعنى إسباغ الوضوء: أن يتمه كاملاً.

والزكاة برهان على إيمان صاحبها، والصبر ضياء له يمشي مستضيئاً به في طريق الصواب.

وأخرج الترمذي بسند حسن عن جرير النهدي عن رجل من بني سليم قال: «عدهن رسول الله عَلَيْ في يدي أو في يده: « التسبيح نصف الميزان، والحمد يملأه، والتكبير يملأ ما بين السماء والأرض، والصوم نصف الصبر، والطهور نصف الإيمان،

قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن، وقد رواه شعبة وسفيان الثوري عن أبي إسحاق» (٢) . . وفي رواية لأحمد: «والطهور نصف الميزان» .

⁽۱) سنن النسائي جـ٥ ص٥.

⁽٢) سنن الترمذي جـ ٥ ص٥٣٦.

⁽٣) المستدجد ص ٣٧٠.

وعن مولى لرسول الله عَلَيْ أَن رسول الله عَلَيْ قال: الع بع بع المسلما أثقلهن في الميزان: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والله، (١) الحديث.

وهذا الحديث ظاهر في فضائل تلك الأمور التي ذكرت فيه.

وقوله عَلَيْهُ: « عَ بِنَ : (هي كلمة تقال عند المدح والرضى بالشيء ، وتكرر للمبالغة) (٢) .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله على: «خلتان لا يحصيهما رجل مسلم إلا دخل الجنة، ألا وهما يسير، ومن يعمل بهما قليل: يسبح الله في دبر كل صلاة عشراً، ويحمده عشراً، ويكبره عشراً، قال: فأنا رأيت رسول الله على يعقدها بيده، قال: «فتلك خمسون ومانة باللسان، وألف وخمسمانة في الميزان، وإذا أخذت مضجعك تسبحه وتكبره وتحمده مانة، فتلك مائة باللسان وألف في الميزان، فأيكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمسمانة سيئة؟،

قالوا: وكيف لا يحصيهما؟ قال: يأتي أحدكم الشيطان وهو في صلاته فيقول: اذكر كذا، اذكر كذا؛ حتى ينتقل، فلعله لا يفعل، ويأتيه وهو في مضجعه، فلا يزال ينومه حتى ينام (٣) .

⁽١) مستدأحمدج٣ص٤٤٠.

⁽٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير جـ ١ ص١٠١.

⁽٣) سنن الترمذي جـ ٥ ص ٤٧٨، وقال: حديث حسن صحيح، وقد روى شعبة والثوري عن عطاء بن السائب هذا الحديث وروى الأعمش هذا الحديث عن عطاء بن السائب مختصرا، وفي الباب عن زيد بن ثابت وأنس وابن عباس رضي الله عنهم وأخرج الحديث أبو داود في سننه جـ ٢ ص ٢١، وابن ماجه جـ ١ ص ٢٩٩، وقد شرح الحديث صاحب تحفة الأحوذي جـ ٩ ص ٣٥٦.

وما دامت الحسنة بعشر أمثالها، فإن الحسنات ستكون كثيرة جداً أكثر من السيئات إذ إن الشخص لا يمكن أن يفعل في اليوم ألفين وخمسمائة سيئة، كما أشار إليه الحديث.

وأخبر على عن بعض الأعمال، وأنها تكون ثابتة في ميزان العبد؛ ثواباً على ما عمل من الأعمال التي يوضحها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي على أنه قال: «من احتبس فرساً في سبيل الله، إيماناً بالله وتصديقاً بوعده؛ فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة، (۱).

وفي هذا الحديث بيان فضل من احتبس فرساً في سبيل الله تعالى.

قال ابن حجر في معنى كون روثه في ميزان العبد: (يريد ثواب ذلك، لا أن الأرواث بعينها توزن).

وعن فائدة تنصيص رسول الله على ذكر هذه الأمور، وأنها تكون في ميزان العبد؛ يقول ابن أبي جمرة: (يستفاد من هذا الحديث أن هذه الحسنات تقبل من صاحبها؛ لتنصيص الشارع على أنها في ميزانه، بخلاف غيرها، فقد لا تقبل فلا تدخل الميزان)(٢).

ومثل الحديث السابق أيضاً ما رواه معاذ عن رسول الله على أنه قال: «والذي نفس محمد بيده: ما شحب وجه، ولا أغبرت قدم في عمل تبتغى فيه درجات الجنة . بعد الصلاة المفروضة .. كجهاد في سبيل الله، ولا ثقل ميزان عبد كدابة تنفق له في سبيل الله، أو يحمل عليها في سبيل الله، "".

 ⁽١) أخرجه البخاري جـ٦ ص٥٥ والتسائي في سننه جـ٥ ص٢٢٥ ونحـوه في المسند جـ٦ ص٤٥٥.

⁽٢) فتح الباري جـ ٦ ص٥٧.

⁽٣) مستدأحمد جره ص٢٤٦.

وأخبر عَلَى عن ذلك الميزان العظيم، وأنه لا يؤثر فيه الثقل المادي، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله على أنه قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، اقرأوا: ﴿ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يُومُ الْقِيَامَةِ وَزُنًا ﴾ (١) [الكهف: ١٠٥].

وأخرج الترمذي والإمام أحمد، عن أبي الدرداء، أن النبي تلك قال: دما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغص الفاحش البذيء، (1)

وفي هذين الحديثين إثبات وزن العامل وعمله أيضاً.

وهذا الحديث. كذلك دليل على وزن العامل، ووزن صحف الأعمال.

ومسألة وزن الله للإنسان وعمله وصحف الأعمال، وما قيل حول ذلك، سيأتي الكلام عنها إن شاء الله فيما بعد مفصلة بأدلتها.

رواه مسلم جـ ٥ ص ٢٥٥.

 ⁽۲) أخرجه الترمذي جـ ٤ ص ٣٦٣ وقال (وفي الباب عن عائشة وأبي هريرة وأنس بن مالك وأسامة بن شريك وهذا حديث حسن صحيح) وأخرجه أحمد في المسند جـ ٦ ص
 ٤٤٢ .

⁽٣) رواه أحمد في المسند ص ٢٢١ جـ ٢ وفيه ابن لهيعة .

وعندما ينصب الميزان يبلغ الخوف والهلع بالناس إلى أقصى حدوده؛ بحيث ينسى الحبيب حبيبه، ويذهل فيه كل ذي لب عن أهله وعن كل شيء، إلا فكره في الميزان، وماذا ستكون نتيجة وزن عمله.

قال أبو داود في (باب ذكر الميزان):

عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت النار فبكت، فقال رسول الله عنه : «ما يبكيك؟ قالت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله عنه : أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل؟ وعند الكتاب حين يقال: هاؤم اقرءوا كتابيه، حتى يعلم أين يقع كتابه: أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره؟ وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم (۱).

وعن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال: ويا عائشة، أما عند ثلاث فلا: أما عند الميزان حتى يثقل أو يخف فلا، وأما عند تطاير الكتب فإما أن يعطى بيمينه أو يعطى بشماله فلا، وحين يخرج عنق من النار فينطوي عليهم ويضغط عليهم، ويقول ذلك العنق: وكلت بثلاثة، وكلت بثلاثة، وكلت بمن ادعى مع الله إلها آخر، ووكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب، ووكلت بكل جبار عنيد، فينطوي عليهم ويطرحهم في غمرات جهنم، ولجهنم جسر أرق من الشعرة، وأحد من السيف ... إلخ -الحديث (٢)

وعن ضخامة الميزان وسعة كفاته، ورد عن سلمان رضي الله عنه عن

⁽١) أخرجه أبو داود واللفظ له جـ ٢ ص ٥٤١.

⁽٢) أخرجه أحمد جـ٦ ص ١١٠ (وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح).

النبي عَن قال: ويوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعهن، فتقول الملائكة: يا رب، لمن يزن هذا؟ فيقول الله: لمن شئت من خلقي، فيقولون: سبحانك ماعبدناك حق عبادتك، (۱)

ونظرًا لهذا المنظر الهائل للميزان؛ فإن الملائكة قد تقالّت عبادتها، رغم أنهم طول أوقاتهم في عبادة الله تعالى وطاعته، فقد رأوا أن أعمالهم لا تساوى شيئاً في جانب هذا الميزان الهائل.

وما أحرى بالإنسان أن يأخذ عبرة من هذا الموقف للملائكة مع ربهم؛ فيستحي من الله، ويقصر عن غيه وإعراضه عن طاعة ربه.

وعن عائشة رضي الله عنها: «خلق الله عنز وجل كفتي المينزان ملء السموات والأرض، فقالت الملائكة: يا ربنا، ما تزن بهذا؟ قال: أزن به ما شنت، وخلق الله الصراط كعد السيف أو كعد الموس، فقالت الملائكة: يا ربنا من يجوز على هذا؟ قال: أجيز عليه من شئت، (٢).

* * *

 ⁽١) ذكره المتذري في الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ٤٧٥ وأسنده إلى الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم، وذكره السفاريني أيضاً في لوامع الأنوار جـ ٢ ص ١٨٥ وأسنده كذلك إلى
 الحاكم.

⁽٢) ذكره صاحب الإتحافات السنية ص ١٩٣ وعزاه إلى الديلمي.

الفصل الثالث وجوب الإيمان بالميزان وإجماع الأمة على ذلك

9999999999999999

* .. * *

1 3 4 5 1 8

. 3 . 4

5 3 2

4 * ct *

) . , ,

.1 ...

. 10 8 4

....

· · · ·

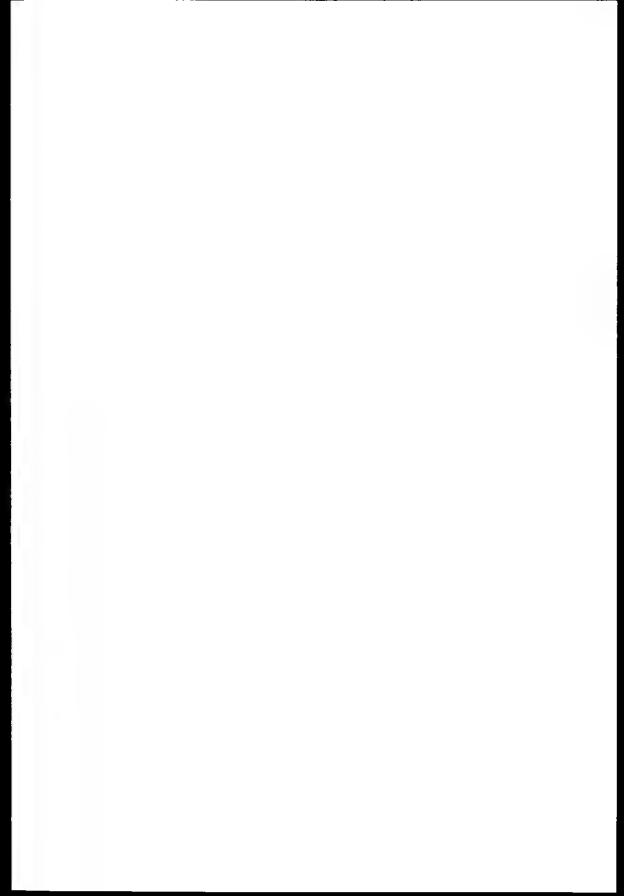
...

....

****

....

.... ---** # D 🚳 ***** *****



الفصل الثالث وجوب الإيمان بالميزان، وإجماع الأمة على ذلك

بعد أن ثبت ذكر الميزان في كتاب الله تعالى وفي سنة نبيه ﷺ ؛ لم يبق مجال لوجود أدنى شك في إنكاره.

وقد تلقى المسلمون الإيمان بوقوعه، ولم يخالف فيه أحد عمن يعتد بقوله في الإسلام، وقد جعله الرسول على من الأمور التي تعد من ضروريات الإيمان بالله، كما في حديث جبريل عليه السلام في رواية الإمام أحمد، حينما قال له: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله، واليوم الآخر، والملائكة، والكتباب، والنبيين، والموت، والحياة بعد الموت، والجنة، والنار، والحساب، والميزان، والقدر كله، خيره وشره، قال: فإذا فعلت ذلك فقد أمنت؟ قال: نعم، (1).

قال ابن بطة في الإبانة:

(وقد اتفق أهل العلم بالأخبار والعلماء والزهاد والعباد في جميع الأمصار: أن الإيمان بذلك _ يعني الميزان ـ واجب لازم)(٢).

ويقول السفاريني: (والحاصل: أن الإيمان بالميزان ـ كأخذ الصحف ـ ثابت بالكتاب والسنة والإجماع) (٢) .

⁽١) أخرجه أحمد في المسند جـ ٤ ص١٦٤ .

⁽٢) الإبانة ص ٩٧ تّحقيق د. رضا.

⁽٣) لوامع الأنوار جـ٢ ص ١٨٤.

وقد ترجم البرديسي لثبوته بقوله:

•باب: في الموازين والكتب، ثم قال: •اعلم أن الموازين حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة،(١).

وقد بوب البخاري على إثبات الميزان وما يوزن فيه بقوله:

«بساب: قسول الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِيسَ الْقِسْطَ لِيَسُومُ الْقِيامَةِ ﴾
 [الأنبياء: ٤٧] وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن * (١) .

ومعلوم أن المراد بالميزان - فيما تقدم - هو الميزان الحقيقي المعلوم بلسان العرب، الذي توزن به الأشياء، لا الميزان بمعنى العدل أو غيره، كما ذهب إليه من شذ قوله .

وقال سفيان بن عينة: «السنة عشرة، فمن كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك منها شيئاً فقد ترك السنة: إثبات القدر، وتقديم أبي بكر وعمر، والحوض، والشفاعة، والميزان، والصراط»(٣).

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله على والاقتداء بهم اللي أن يقول: «والإيمان بالميزان» (١) وهو ما قاله أيضاً شيخه على بن المديني.

وهناك أقوال كثيرة لأهل العلم في إثبات ميزان الأعمال إثباتاً حقيقياً كما أثبته الله تعالى ورسوله على .

⁽١) تكملة شرح الصدور ص١٥.

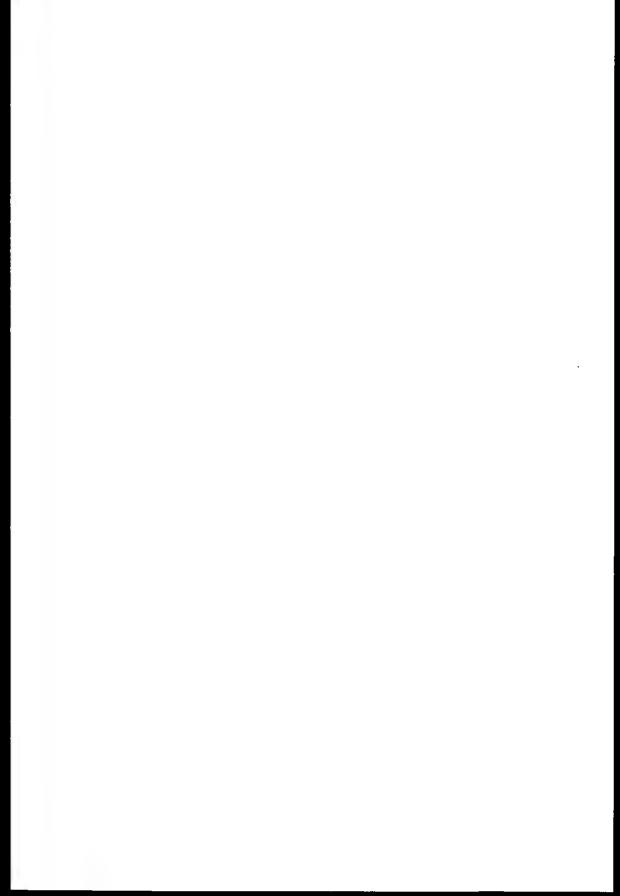
⁽٢) البخاري جه ص٢١٩.

⁽٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة جما ص١٥٥٠.

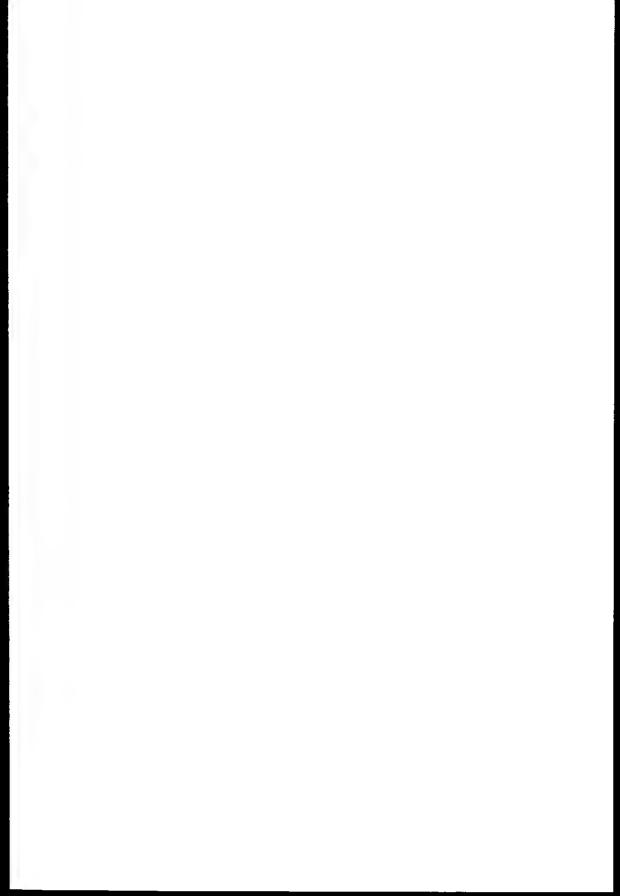
⁽٤) المصدر السابق ص ١٥٨.

وبعد أن ذكرنا تلك النصوص من كتاب الله تعالى وسنة نبيه تلك وأقوال علماء الإسلام؛ بعد ذلك كله هل يتصور أن يقدم مسلم يشهد الشهادتين على إنكار الميزان في يوم القيامة؟ هذا ما سنبحثه في الفصل الآتي.

* * *







الفصل الرابع المنكرون للميزان والرد عليهم

لم يخالف في ثبوت الميزان ـ كما سبق أن ذكرنا ـ أحد من السلف، وذلك لتواتر أدلته وصحتها .

ولقد وجد لبعضهم أقوال تخالف في ثبوته ـ سالكين في ذلك مسالك أهل البدع ـ ولبعضهم أقوال أخرى بإنكاره .

ويمكن تقسيم مواقف الناس تجاه إثباته إلى ما يأتي:

(۱) منهم من ذهب إلى إنكار الميزان إنكاراً تاماً، دون أن يستند إلى دليل.

(٢) ومنهم من ذهب إلى تأويل ما جاء في إثباته.

(٣) ومنهم من أثبت الميزان، ونفي وزن الأعمال.

(٤) ومنهم من أثبت الميزان مجرداً عن كل وصف.

١ - أما الصنف الأول من هؤلاء: فهم المنكرون للميزان تمام الإنكار:

أ. وعن هؤلاء يقول ابن حزم: «وأما الميزان فقد أنكره قوم؛ فخالفوا كلام الله جرأة وإقداماً، وتنطع آخرون فقالوا: هو ميزان بكفتين من ذهب. وهذا إقدام آخر لا يحل، قال الله تعالى: ﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفْوا هِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيّنًا وَهُو عِندَ اللهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور: 10] (١).

⁽١) الفصل جـ٤ ص ١٥.

ب ـ ويقول البغدادي عن فرقة تسمى الوزنية:

(0) (الهم: الوزنية؛ أن (0) حساب و (0) ميزان (0)

ج ـ وينص ابن فورك ـ فيما ينقل عنه ـ على نكران المعتزلة للميزان «بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها، إذ لا تقوم بأنفسها»(٢) .

د . ويقول الأشعري: «وقال أهل البدع بإبطال الميزان، وقالوا: موازين وليس بمعنى كفات وألسن، ولكنها المجازات، يجازيهم الله بأعمالهم وزناً بوزن. وأنكروا الميزان، وقالوا: يستحيل وزن الأعراض، لأن الأعراض لا ثقل لها ولا خفة (") . . ولعله يقصد بهؤلاء: المعتزلة.

ويقول الجيلاني عن إنكار المعتزلة للميزان:

وأنكروا الموازين وعذاب القبر» . . إلخ^(١) .

ويقول عنهم: «وأكثرهم نفوا عذاب القبر والميزان»(°).

ويقول الإيجي عن إنكار المعتزلة للميزان وحجتهم في نفيه:

«وأما الميزان فأنكره المعتزلة عن آخرهم؛ لأن الأعمال أعراض، وإن أمكن إعادتها فلا يمكن وزنها، إذ لا توصف بالخفة والثقل، وأيضاً؛ فالوزن للعلم بمقدارها، وهي معلومة لله تعالى، فلا فائدة فيه، فيكون قبيحاً ننزه عنه

⁽١) كتاب أصول الدين ص ٢٤٦.

⁽٢) التذكرة ص ٣١٣.

⁽٣) المقالات جـ ٢ ص ١٦٤.

⁽٤) الغنية جـ ١ ص ٩٠.

⁽٥) الغنية جرا ص ٩٢.

الرب تعالى^{١١)}.

وأنكره كذلك الخوارج والمرجئة، حسبما يذكر عنهم الجيلاني بقوله: «وقد أنكرت المعتزلة مع المرجئة والخوارج ذلك، فقالت: إن معنى الميزان: العدل دون موازنة الأعمال»(٢٠).

وقد ذكر البغدادي أن الجهمية أيضاً تنكره (٣) .

وقبل أن نذكر بقية الخلاف، أحب أن أنبه إلى أن ما نسب إلى المعتزلة عامة، من القول بإنكار الموازين، أو تأويلها بمعنى العدل، أن في كلامه نظراً، وذلك لأن المعتزلة ـ كما يظهر من كلام علمائهم ـ لا ينفون حقيقة الميزان، وقد صرح به القرآن الكريم كما يقول القاضي عبد الجبار، بل إن القاضي عبد الجبار يذهب في إثباته إلى حد التشبيه له بموازيننا المعروفة في الدنيا، ويرد على من يؤوله بمعنى العدل ويبطل قوله.

وهذه بعض أقوال القاضي عبد الجبار في الميزان، التي تبطل قول من نسب إليهم إنكاره أو تأويله بمعنى العدل، فإنه بعد أن ذكر جملة من أحوال يوم القيامة؛ من وضع الموازين والمساءلة والمحاسبة وإنطاق الجوارح ونشر الصحف وما جرى هذا المجرى قال: «وجملة ذلك: أن كل هذه الأمور حق يجب اعتقاده والإقرار به».

ثم قال: «أما وضع الموازين فقد صرح الله تعالى به في محكم كتابه، قال الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لَيُومُ الْقَيَامَة ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

⁽١) المواقف ص ٣٨٤.

⁽٢) الغنية جرا ص٧٢.

⁽٣) انظر: كتاب أصول الدين ص ٣٤٥.

وقوله: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مُوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلَحُونَ ﴾ [المزمنون: ١٠٢].

إلى غير ذلك من الآيات التي تتضمن هذا المعنى، ولم يرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول منه المتعارف فيما بيننا ، دون العدل وغيره على ما يقول بعض الناس، لأن الميزان وإن ورد بمعنى العدل في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ ﴾ [الحديد: ٢٥]، فدل ذلك على طريق التوسع والمجاز، وكلام الله تعالى مهما أمكن حمله على الحقيقة لا يجوز أن يعدل به عنه إلى المجاز، يبين ذلك ويوضحه أنه لو كان الميزان إنما هو العدل؛ لكان لا يشبت للثقل والحفة فيه معنى، فدل على أن المراد به الميزان المعروف الذي يشتمل على ما تشتمل عليه الموازين فيما بيننا (١٠).

فلعل قول من نسب إليهم إنكار الميزان أو تأويله بالعدل، خاص بطائفة منهم، أو أنه استند إلى أقوال لم تصح عنهم.

وممن أنكره كذلك: الفلاسفة، قال الهراس رحمه الله:

«وأما أهل المروق والإلحاد من الفلاسفة والمعتزلة فينكرون هذه الأمور، من سؤال القبر، ومن نعيم القبر وعذابه، والصراط، والميزان، وغير ذلك، بدعوى أنها لم تثبت بالعقل»(٢).

٢ ـ ومنهم من ذهب إلى تأويل ما جاء في إثبات الميزان، وخرجوا به عن معناه المتبادر الصحيح ـ ومن المعلوم أنه لا ينبغي الخروج عنه ـ فأولوه بمعنى العدل والقضاء، وقالوا: إن ما ورد في الميزان والوزن إنما هو من ضرب المثل لا غير.

⁽١) شرح الأصول الخمسة ص٧٣٥.

⁽٢) شرح العقيدة الواسطية ص ١٢١.

ومن المعلوم أنه لا ينبغي الخروج عن المعنى الصحيح إلا لعارض قوي أو قرينة ظاهرة.

وينسب هذا القول إلى مجاهد، وإلى الضحاك والأعمش، كما حكاه عنهم القرطبي بصيغة (روي) فيقول:

«وروي عن مجاهد والضحاك والأعمش أن الميزان هنا بمعنى العدل والقضاء، وذكر الوزن والميزان ضرب مثل، كما يقول: هذا الكلام في وزن هذا، وفي وزانه، أي يعادله ويساويه، وإن لم يكن هناك وزن»(١).

ومثل هذا الرأي ماذكره الأستاذ محمد محمد عبد اللطيف في كتابه (أوضح التفاسير) حيث قال: «والذي يبدو أنه ليس ثمت ميزان، وإنما أريد بالميزان العدل»(۲).

٣ - ومن الناس من ذهب إلى إثبات الميزان ونفي وزن الأعمال، بحجة أنها أعراض لا تقبل الوزن.

وفي هؤلاء يقول الأشعري:

"وقال قائلون بإثبات الميزان، وأحالوا أن توزن الأعراض في كفتين، ولكن إذا كانت حسنات الإنسان أعظم من سيئاته؛ رجحت إحدى الكفتين على الأخرى، فكان رجحانها دليلاً على أن الرجل من أهل الجنة، وكذلك إذا رجحت الكفة الأخرى السوداء؛ كان رجحانها دليلاً على أن الرجل من أهل المار)(").

⁽١) التذكرة ص ٣١٣.

⁽٢) أوضح التفاسير ص ٣٩٣.

⁽٣) المقالات جـ ٢ ص ١٦٤.

وهذا القول فيه غموض شديد؛ إذ ما الذي يوضع في تلك الكفات حتى تظهر النتيجة الطيبة أو السيئة؟ فإن وضعها هكذا مجردة عن كل شيء أمر وهمي لا يتحقق به الغرض المقصود من وضع الموازين.

٤ منهم من ذهب إلى القول بإثبات الميزان منجرداً عن كل وصف،
 فيقولون: «نؤمن بأن هناك ميزانًا في يوم القيامة، لكننا لا نعلم عنه ولا عن وصفه شيئاً، بل نؤمن به فحسب، دون ذكر أي وصف له».

وكمثال على هذا؛ ما يقوله أحمد محمد شاكر في تعليقه على قول الزهري: "إن الوضوء يبوزن"، فيما حكاه عنه الترمذي، علق على هذا القول أحمد شاكر - رحمه الله - فقال: "هذا تعليل غير صحيح؛ فإن ميزان الأعمال يوم القيامة ليس كموازين الدنيا، ولا هو مما يدخل تحت الحس في هذه الحياة، وإنما هي أمور من الغيب الذي نؤمن به كما ورد"().

وكذا ما يقوله محمد رشيد رضا عن الميزان وصفاته:

«ولا نحكم رأينا في صفته وكيفيته، فنؤمن إذاً بأن في الآخرة وزناً للأعسمال قطعاً، ونرجح أنه بميزان يليق بذلك العالم، يوزن به الإيمان والأعمال، ولا نبحث عن صورته وكيفيته»(٢).

ولعل أحمد شاكر ومحمد رشيد ومن قال بهذا القول قد تأثروا بما سبقهم إليه ابن حزم، حيث قرر ذلك بقوله:

«ونقطع على أن تلك الموازين أشياء يبين الله عز وجل بها لعباده مقادير أعمالهم من خير أو شر، من مقدار الذرة ـ التي لا نحس وزنها في موازيننا

⁽١) سنن الترمذي جما ص ٧٧.

⁽۲) تفسير المنار جـ ۸ ص ٣٢٣

أصلاً ـ فما زاد ، ولا ندري كيف تلك الموازين، إلا إننا ندري أنها بخلاف موازين الدنيا» . . . إلى أن يقول :

«وأما من قال عبا لا يدري أن ذلك الميزان ذو كفتين، فإنما قاله قياساً على موازين الدنيا، وقد أخطأ في قياسه؛ إذ في موازين الدنيا ما لا كفة له كالقرسطون» (١).

وهذا الرأي إن كان يقصد أصحابه إثبات الميزان، الوارد به وبصفاته الشرع، دون التنطع بعد ذلك من وصفه بأنه من فضة، أو من ذهب، أو غير ذلك؛ فهذا قول صحيح.

وإن كانوا يقصدون إثبات ميزان مجرداً عن كل وصف؛ فإن ما ورد من إثبات أن له لساناً وكفتين لا يتفق مع هذا القول.

بالإضافة إلى هذا؛ فإن ما علق به الشيخ أحمد شاكر على عبارة الزهري غير مناسب، فإن مقتضى نقد عبارة الزهري أن يقول: إن وزن الوضوء لا ينافي تنشيفه، وأما ما ساقه من وصف الميزان فهذا ما لم يتعرض له الزهري، حسب ما ذكره عنه الترمذي هنا.

أما إثبات نسبة القول إلى مجاهد من تأويله الميزان بمعنى العدل، فهو إضافة إلى ما ذكره القرطبي عنه من تأويله ذلك، فقد أخرج الطبري أيضا^(۱) بإسناده إلى مجاهد، أنه فسر الوزن المذكور في الآية ﴿ وَالْوزْنُ يُو مُعُدُ الْحَقُ ﴾ [الأعراف: ٨] فسره بأنه في هذا الموضع المراد به القضاء والعدل، خُلافاً لما فسره غيره بأنه وزن الأعمال.

⁽١) الفصل جـ٤ ص ٦٦.

⁽٢) جامع البيان جـ ٨ ص ١٢٣ ، وفتح القدير جـ ٢ ص ١٩٣

ولكن الطبري أخرج عن مجاهد أيضاً أنه قال في الآية ﴿ وَالْوَزْنُ يُوْمَئِذُ الْحَقِّ ﴾ ، قال: "قال عبيد بن عمير: يؤتى بالرجل الطويل العظيم فلا يزن جناح بعوضة».

فهل يفهم من هذا أنه يقول بالميزان ذي الكفات، إذ إن وزن الرجل ثم لا يزن بعوضة إنما يفهم بالميزان ذي الكفات؟ أم أنه يؤول معناه إلى أن المراد به إظهار تفاهته وقلة شأنه؟ احتمال لم يبينه الطبري حينما ذكر ذلك عنه ، فإذا ثبت نسبة هذا القول إلى مجاهد وغيره ممن نسب إليه هذا القول أي تأويل تأويل الميزان الوارد به الشرع في يوم القيامة بالعدل أو القضاء أو أي تأويل آخر دون إثبات حقيقة الميزان فإنه يعتبر خروجاً به إلى غير معناه الصحيح ، ويكون فتح باب لتأويل كثير من أمور الآخرة والمغيبات إلى معان باطلة لم تدل عليها النصوص .

قال القرطبي رحمه الله عن تأويل هؤلاء:

«لو جاز حمل الميزان على ما ذكروه؛ لجاز حمل الصراط على الدين الحق، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح ـ دون الأجساد ـ من الأحزان والأفراح، والمسياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة، وهذا كله فاسد لأنه رد لما جاء به الصادق (۱).

ولعل الحامل لهؤلاء الذين أولوا المراد بالميزان إلى معنى العدل أو القضاء، وأنّ ذكرهما هو من باب ضرب المثل، كما يقال: هذا الكلام في وزن هذا كما زعموا للعل الذي حملهم هو اعتمادهم على أن ذلك التأويل سائغ من جهة اللغة.

⁽١) التذكرة ص ٢١٤

ولكن ينبغي أن يلاحظ أنه وإن ساغ ذلك في اللغة، لكنه ليس بسائغ من جهة الشرع، قال الزجاج عن هذا التأويل إنه:

«سائغ من جهة اللسان» لكن «الأولى أن نتبع ـ كما قال الزجاج ـ ما جاء في الأسانيد الصحاح من ذكر الميزان».

وقد قال القشيري معقباً على قول الزجاج: « وقد أحسن الزجاج فيما قال؛ إذ لو حمل الصراط على الدين الحق، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة » ولم يكمل الشوكاني الجواب عن هذا فيما ينقله عن الزجاج، ولعل المعنى ظاهر وهو (أي لكان ذلك تلاعبا بالنصوص وخروجا عما دلت عليه).

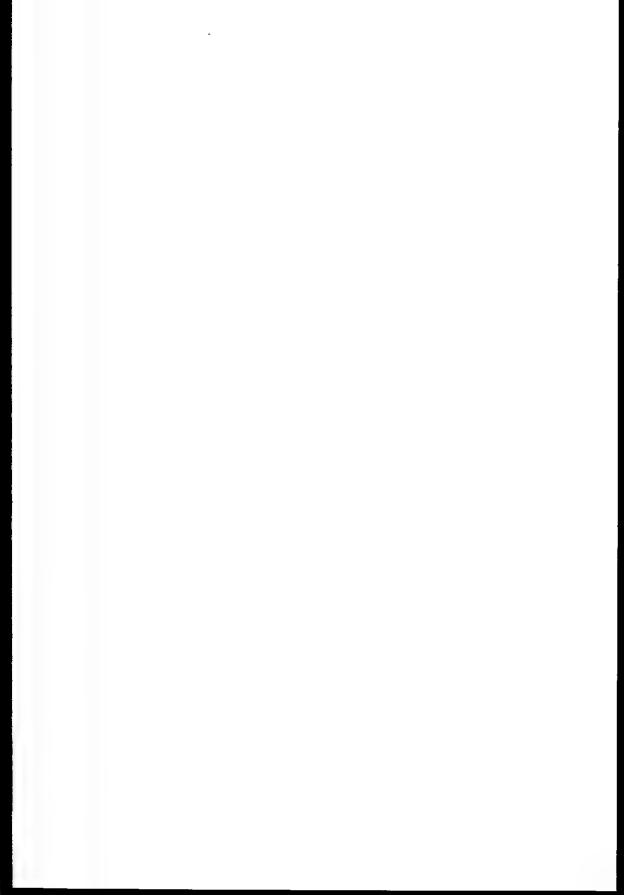
ثم قال الشوكاني متابعا نقله عن الزجاج: "وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل، وإذا أجمعوا على منع التأويل؛ وجب الأخذ بالظاهر وصارت هذه الظواهر نصوصا"(١).

ويذكر الأزهري وهو من أتمة اللغة أن لفظة الميزان، وإن كانت ساتغة الاستعمال في عدة معان، إلا إنه إذا جاء الشرع بقصرها على معنى ؛ وحب المصير إلى ذلك، فهو يقول بعد أن ذكر معاني الميزان :

«هذا كله في باب اللغة، والاحتجاج سائغ، إلا إن الأولى من هذا أن نتبع ما جاء بالأسانيد الصحاح، فإن جاء في الخبر أنه ميزان له كفتان من حيث ينقل أهل الثقة فينبغي أن يقبل ذلك (٢٠).

⁽١) فتح القدير جـ ٢ ص ١٩٠.

⁽٢) تهذيب اللغة جـ ١٣ ص ٢٥٧.





الفصل الخامس صفات الهيزان

فيما سبق بحثه يتضح من خلاله أن الميزان له أوصاف خاصة، فهل تلك الأوصاف التي ثبتت له من اللسان والكفتين ـ محل اتفاق بين العلماء المثبتين للميزان؟ أم أن هناك خلافًا بينهم؟

الواقع أن العلماء لم يتفقوا على إثبات أوصاف الميزان ـ وقد تقدمت الإشارة إلى بعض الجوانب في وجوب الإيمان بالميزان، ومواقف الناس في ذلك ـ وأما خلافهم في ثبوت صفاته فقد انقسموا إلى فريقين:

١ - أما الفريق الأول: فهم المثبتون لصفات الميزان الحسية، من أن له
 كفتين إلى آخر أوصافه، وهؤلاء ، وإن أثبتوا هذا، لكنهم
 يرجعون صفة تلك الكفات واللسان إلى علم الله تعالى .

٢ ـ أما الفريق الآخر: فهم النافون لتلك الصفات.

وسنذكر رأي الفريقين فيما يلي: ـ

(١) المثبتون لصفات الميزان:

يثبت هؤلاء. وهم جمهور العلماء. أن الميزان له كفتان حسيتان مشاهدتان، وله لسان كذلك.

يقررون هذه الحقيقة غير ملتفتين إلى من تشمئز قلوبهم من سماعها،

لعدم قبول عقولهم لها، وعدم تفهم ما ورد عن المصطفى عَبِّكُ في ذلك.

ذلك أن الحق ضالة المؤمن ، وما ورد به الشرع هو الذي ينبغي أن يقدم على هوى النفس وحكم العقل.

وسنذكر فيما يلي بعض أقوال هؤلاء كأمثلة على ثبوت ما ذكرنا.

قال القرطبي - رداً على من ينكر الميزان، ويؤول الوزن بأنه من ضرب المثل، وأن الوزن يراد به العدل والقضاء - قال: «وهذا القول مجاز، وليس بشيء، وإن كان شائعاً في اللغة - للسنة الثابتة في الميزان الحقيقي، ووصفه بكفتين ولسان، وأن كل كفة منها طباق السموات والأرض (١٠).

ويعزو القرطبي إلى ابن عباس أنه قال: «توزن الحسنات والسيئات في ميزان له كفتان ولسان «(۱) .

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس أنه قال: «الميزان له لسان وكفتان، يوزن فيه الحسنات والسيئات، فيؤتى بالحسنات في أحسن صورة فتوضع في كفة الميزان، ؛ فتثقل على السيئات؛ فتؤخذ فتوضع في الجنة ويؤتى بالسيئات في أقبح صورة فتوضع في كفة الميزان فتخف »(").

ويقول ابن قدامة «والميزان له كفتان ولسان، توزن به الأعمال، ﴿ فَمَن ثَقَلَتْ مَوَازِيسَنُهُ فَأُولَئِكَ اللَّذِيسَ ثَقُلَتْ مَوَازِيسَنُهُ فَأُولَئِكَ اللَّذِيسَ خَقَتْ مَوَازِيسَنُهُ فَأُولَئِكَ اللَّذِيسَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ (٤) [المؤمنون: ١٠٣.١٠٢].

⁽١) التذكرة ص ٣٧٨.

⁽٢) المصدر السابق ص٣٧٨.

⁽٣) الدر المنثور جـ ٣ص. ٧٠.

⁽٤) ابن قدامة في لمعة الاعتقاد ص ٣٣.

ويقول أبو الحسن الأشعري في معرض بيانه لاختلاف الناس في الميزان، ومبيناً رأي أهل السنة: «فقال أهل الحق: له لسان وكفتان، توزن في إحدى كفتيه الحسنات وفي الأخرى السيئات، فمن رجحت حسناته؛ دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته؛ دخل النار، ومن تساوت حسناته وسيئاته؛ تفضل الله عليه فأدخله الجنة»(۱).

ويثبت ابن كثير «أن للميزان كفتين حسيتين، ويستدل على هذا من السنة بحديث صاحب البطاقة المشهور وغيره من الأحاديث "(٢) .

وأخرج الطبري عن ابن جريج قال: «قال لي عمرو بن دينار: قوله: ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذُ الْحَقِّ ﴾ قال: إنا نرى ميزاناً وكفتين، سمعت عبيد بن عمير يقول: يجعل الرجل العظيم الطويل في الميزان، ثم لا يقوم بجناح ذباب (٣) وهو القول الذي رجحه الطبري أيضاً.

ويقول ابن أبي العز: «والذي دلت عليه السنة: أن ميزان الأعمال له كفتان حسبتان مشاهدتان (٤٠٠).

وقال أبو إسحاق الزجاج ـ كما نقل عنه الحافظ ابن حجر ـ: « أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان، ويميل بالأعمال (٥٠).

⁽١) المقالات جـ ٢ ص ١٦٤.

⁽٢) النهاية جـ ٢ ص ٢٤.

⁽٣) جامع البيان ج ٨ ص ١٢٣.

⁽٤) الطحاوية ص ٤٧٢.

⁽٥) نقله عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري جـ١٣ ص ٥٣٨.

ويقول السفاريني:

«فقد دلت الآثار على أنه ميزان حقيقي ذو كفتين ولسان، كما قال ابن عباس والحسن البصري، وصرح بذلك علماؤنا، والأشعرية وغيرهم، وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر، وانعقد إجماع أهل الحق من المسلمين عليه»(١).

ويقول البرديسي: «وانعقد الإجماع على أنه ميزان حسي له كفتان ولسان، يوضع فيه صحف أعمال العباد ليظهر الرابح والخاسر»(٢).

ويروى من طريق عبد الملك بن أبي سليمان أنه قال: «ذكر الميزان عند الحسن فقال: له لسان وكفتان»(٢٠) .

وعن سلمان قال: «يوضع الميزان وله كفتان، لو وضع في إحداهما السموات والأرض ومن فيهن لوسعته»(٤).

ويقول الهراس:

«وهناك تنصب الموازين فتوزن بها أعمال العباد، وهي موازين حقيقية كل ميزان منها له لسان وكفتان، ويقلب الله أعمال العباد وهي أعراض أجساماً لها ثقل، فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة»(٥).

⁽١) لوامع الأنوار جـ ٢ ص ١٨٥ .

⁽٢) تكملة شرح الصدور ص ١٤.

⁽٣) تفسير المنارج ٨ ص ٣٢٢.

⁽٤) فتح الباري جـ ١٣ ص ٥٣٩.

⁽٥) شرح العقيدة الواسطية ص ١٢٣.

ونقتصر في إثبات أن الميزان له لسان وكفتان على ما قدمناه من ذكر أقوال العلماء.

وبهذا يتبين أن أهل الحق أهل المسنة والجماعة يثبتون حقيقة الميزان على ضوء ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله على لا يتأولون معناه، ولا يردون ما جاء في وصفه، ويقولون: الله وحده هو الذي يعلم قدرهما وكيفيتهما.

إذ لو لم يكن له لسان وكفتان؛ بل هو بمعنى العدل والقضاء كما ذهب اليه بعض العلماء، لو لم يكن كذلك لما وصف في السنة النبوية بأن له لساناً وكفتين، وأنه يخف ويثقل؛ إذ العدل لا يقال فيه تلك الصفات، فصح أنه ميزان حقيقي يزن الله فيه أعمال العباد، فمن رجحت حسناته على سيئاته؛ دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته؛ دخل النار، على ما علم من مذهب السلف.

وإذا كنا نثبت صفات الميزان على ضوء ما جاء به الشرع، فإنه لا ينبغي أن نتكلف فنثبت له أوصافاً تحتاج إلى إثبات من الشارع، أو نستند إلى أخبار لم تثبت، فإن الغلو في هذا مذموم.

وكمثال على هذا: ما يذهب إليه بعض الناس من أن كفتي الميزان من ذهب (١) ، أو القول بأن كفة الحسنات من نور وكفة السيئات من ظلام (٢) ، أو

⁽١) الفصل لابن حزم جـ٤ ص ٦٥.

⁽٢) التذكرة ص٣١٣.

أن كفة الحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة، وكفة السيئات عن يسار العرش مقابل النار(١).

أو ما يقال إن صاحب الميزان يوم القيامة هو جبريل عليه السلام(٢٠).

فتلك المسائل كلها تحتاج لإثباتها ـ فضلاً عن اعتقادها ـ إلى نص صحيح، فإن بعض العلماء يتساهل فيما يقرره من هذه المسائل، مثل ما يرويه السفاريني بصيغة التضعيف ـ يروى ـ (أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان، فلما رآه غشي عليه، فلما أفاق قال: إلهي من ذا الذي يقدر علا كفة حسناته؟ فقال: إذا رضيت عن عبدي ملاتها بتمرة)(٣).

أو ما يذكره عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه عنير معزو إلى أحد - أنه قال: «ميزان رب العالمين ينصب للجن والإنس، يستقبل به العرش، إحدى كفتيه على الجنة والأخرى على جهنم، لو وضعت السموات والأرض في إحداهما لوسعتهن، وجبريل آخذ بعموده ينظر إلى لسانه»(1) وكذا ما يروى عن ابن عمر مرفوعاً: « من كبر تكبيرة في سبيل الله، كانت صخرة في ميزانه أثقل من السموات السبع وما فيهن وما تحتهن، وأعطاه الله بها رضوانه الأكبر، وجمع بينه وبين محمد وإبراهيم والمرسلين في دار الجلال: ينظر

⁽١) المصدر السابق ص ٣١٤، وعزاه إلى الترمذي الحكيم.

 ⁽٢) أخرجه الطبري في جامع البيان جـ ٨ ص١٢٣ عن الحرث، قال: ثنا عبد العزيز قال: ثنا يوسف بن صهيب، عن موسى، عن بلال ابن يحيى، عن حذيفة.

⁽٣) ذكره السفاريني في لوامع الأنوار جـ ٢ ص ١٨٤ ، وعزاه إلى الرازي والثعلبي.

⁽٤) المصدر السابق ولم يعزه إلى أحد.

إلى الله بكرة وعشياً ١٠١٠ .

وفي رواية أخرى عن ابن عمر قال: قال رسول الله عَلَي : من كبر تكبيرة على ساحل البحر، كان في ميزانه صخرة، قيل: يا رسول الله، وما قدرها؟ قال: تملأ ما بين السماء والأرض، (٢).

ويقول السفاريني:

"ظواهر الآثار وأقوال العلماء: أن كيفية الوزن في الآخرة -خفة وثقلاً - مثل كيفيته في الدنيا، ما ثقل نزل إلى أسفل ثم يرفع إلى عليين، وما خف طاش إلى أعلى ثم نزل إلى سجين، وبه صرح جموع، منهم القرطبي.

وقال بعض المتأخرين بل الصفة مختلفة، وإن عمل المؤمن إذا رجح صعد وسفلت سيئته، والكافر تسفل كفته لخلو الأخرى عن الحسنات، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر: ١٠].

وذكر بعضهم في صفة الوزن: أن تجعل جميع أعمال العباد في الميزان في مرة واحدة، الحسنات في كفة النور، وهي يمين العرش جهة الجنة، والسيئات في كفة الظلمة وهي عن يساره جهة النار، ويخلق الله لكل إنسان علما ضرورياً يدرك به خفة أعماله وثقلها.

⁽۱) قال السيوطي في اللآلئ المصنوعة «قال ابن حبان لا أصل له، إسحاق يأتي بالموضوعات عن الثقات. قلت السيوطي وكذا قال الدارقطني في غرائب مالك إنه موضوع ا وص ١٣٧ . جـ ٢ .

⁽٢) قال ابن عدي: هذا ما وضعه النخعي، وزيد ليس بشيء. اللاّلئ الصنوعة جـ ٢ ص ١٣٧.

وقيل: بل علامة الرجحان عمود نور يقوم في كفة الحسنات حتى يكسو كفة السيئات، وعلامة الحفة عمود ظلمة يقوم من كفة السيئات حتى يكسو كفة الحسنات، لكل أحد»(١).

والظاهر أن هذه الكيفيات كلها تحتاج إلى إثبات، فهي مسألة غيبية، والله تعالى له القدرة على ما يشاء.

(٢) النافون لصفات الهيزان:

وهؤلاء قالوا بعكس ما قاله الفريق الأول، حيث أحجموا عن وصف الميزان بالأوصاف التي تقدمت، واكتفوا بإثبات أن هناك ميزاناً فقط.

الزجاج: «وإذا لم يكن في الصحيحين ولا في كتب السنة المعتمدة الزجاج: «وإذا لم يكن في الصحيحين ولا في كتب السنة المعتمدة حديث صحيح مرفوع في صفة الميزان، ولا في أن له كفتين ولساناً، فلا تغتر بقول الزجاج أن هذا مما أجمع عليه أهل السنة، فإن كثيراً من المصنفين يتساهلون بإطلاق كلمة الإجماع، ولا سيما غير الحفاظ المتقنين، والزجاج ليس منهم، ويتساهلون في عزو كل ما يوجد في كتب أهل السنة إلى جماعتهم، وإن لم يعرف له أصل من السلف، ولا اتفق عليه الخلف منهم، وهذه المسألة مما اختلف فيه السلف والخلف كما علمت (٢).

⁽١) لوامع الأنوار جـ ٢ ص ١٨٨ ـ ١٨٩.

⁽۲) تفسير المنارج ٨ ص ٣٢٢.

وقال أيضاً:

«والأصل الذي عليه سلف الأمة في الإيمان بعالم الغيب: أن كل ما ثبت من أخباره في الكتاب والسنة فهو حق لا ريب فيه، نؤمن به، ولا نحكم رأينا في صفته وكيفيته، فنؤمن إذاً بأن في الآخرة وزناً للأعمال قطعاً، ونرجح أنه بميزان يليق بذلك العالم، يوزن به الإيمان والأخلاق والأعمال، ولا نبحث عن صورته وكيفيته ولا عن كفتيه وان صح الحديث فيهما كما صوره الشعراني في ميزانه (١).

والواقع أن ما قاله محمد رشيد رضا من إنكار أن يكون هناك أي إشارة إلى أن الميزان له كفتان من السنة عير مسلم، فقد جاء في السنة بعض الأحاديث التي تدل على وزن العمل ووزن العامل، كما أخرج البخاري: «يؤتى بالرجل فيوضع في كفة، وكقوله أيضاً «فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، وغيرها من الأحاديث الي قدمنا ذكرها، وفيها إشارة إلى إثبات أن ميزان الأعمال له كفتان.

ثم إن إثبات أن الميزان له كفتان لم يقل به الزجاج وحده، بل هو ما عليه الأثمة الذين قدمنا ذكر أقوالهم.

٢ ـ ما علقه الدكتور/ طه محمد الزيني على ترجمة ابن كثير في إثبات أن للميزان كفتين حسيتين بقوله: «لا يوجد دليل قاطع في القرآن ولا في الحديث على أن كفتي ميزان الحساب يوم القيامة حسيتان ـ أي يدركان

⁽١) تفسير المنارج ٨ ص ٣٢٣.

بإحدى الحواس الخمس، وأقرب الحواس إلى إدراك الكفتين اللمس باليد-بل كل ما في القرآن والحديث يحتمل أن يكون الوزن معنوباً، بل هو الأرجع؛ لأن أعمال يوم القيامة أكثرها معنوي يقرب إلى الأذهان . . . بتشبيهه بالحسيات "(1).

وهذا القول من الدكتور/ طه الزيني يعتبر بعيداً عما قرره العلماء، ومخالفاً لما جاءت به السنة في وزن الأعمال، وليس ما يذكره من أن أعمال يوم القيامة من الأشياء المتخيلة التي يشبه فيها المعنوي بالحسي.

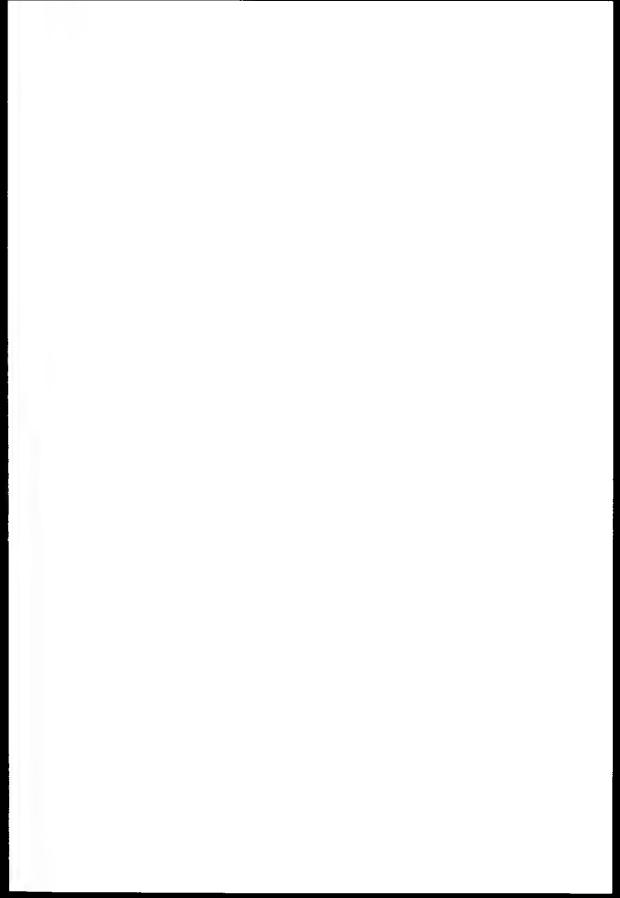
فإن القول بهذا يفتح باباً خطيراً من التشكيك في أمور الآخرة، وينبغي على من يقول بهذا أن يعيد النظر فيه.

وقد سبق - في الاستدلال على وجوب الإيمان بالميزان - الإشارة إلى أن نفاة صفات الميزان من المتأخرين قد سبقهم إليه ابن حزم.

. . .

⁽١) النهاية ج١/ ٩١.





الفصل السادس ما الذي يوزن في الميزان؟

حينما ننظر في الأحاديث التي وردت في شأن الميزان نجد أنها تدل على أن الموزونات تشمل ثلاثة أشياء، هي:

١ ـ وزن العامل.

٢ ـ وزن العمل.

٣ وزن صحف الأعمال.

وقد رويت آثار كثيرة في ثبوت وزن كل واحد من تلك الثلاثة الأمور، فإن شاء الله تعالى وزن العمل، وإن شاء وزن العامل، وإن شاء وزن صحف الأعمال، وإن شاء وزن الجميع.

فهل اتفق العلماء على ذلك أو لا؟

الواقع أن فيه خلافاً بينهم ، فبعضهم يثبت الميزان لواحد من تلك الثلاثة الأمور ، وبعضهم يثبت وزن الكل ، وحينئذ فلا تبقى معارضة ولهذا يقول الحافظ ابن كثير:

«وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار: بأن يكون ذلك كله صحيحاً، فتارة

توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها الله على المعلم المراد المعلم المراد المراد المعلم المراد المرا

ويقول العلامة شارح الطحاوية:

«فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات»(٢).

وقد بوب البخاري لثبوت وزن العمل بقوله:

«بساب: قول الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَسُومُ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن (٣).

وقال البرديسي: «انعقد الإجماع على أنه ميزان حسي له كفتان ولسان ، يوضع فيه صحف أعمال العباد.

ثم قال في شرحه لكلمة (يوضع فيه صحف أعمال العباد):

«هذا على قول، وقيل: تجسد الأعمال وتوزن، وقيل: توزن الذوات؛ لحديث: «يؤتى بالثقيل العظيم فلا يزن عند الله جناح بعوضة،، (١)

وذكر الشيخ عبد العزيز بن باز في تعليقه على «التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة»، في الجمع بين وزن تلك الثلاثة الأمور فقال:

⁽١) تفسير القرآن العظيم ٢٠٢/٤.

⁽٢) الطحاوية ص ٤٧٥.

⁽٣) صحيح البخاري جـ ١٣ ص ٥٣٧ ـ الفتح.

⁽٤) تكملة شرح الصدور ص ١٤.

"الجمع بين النصوص الواردة في وزن الأعمال والعاملين والصحائف: أنه لا منافاة بينها، فالجميع يوزن ، ولكن الاعتبار في الثقل والخفة يكون بالعمل نفسه، لا بذوات العامل ولا بالصحيفة»(١).

وفيما يلي نورد ما جاء في إثبات كل واحد من تلك الثلاثة الأمور بالتفصيل: ـ

١ ــ أدلة وزن العامل

وردت النصوص بإثبات أن العامل نفسه يوزن كما سبقت الإشارة إليه، ومن أدلة إثبات ذلك:

«ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله عليه أنه قال: وإنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقدعوا إن شنتم: ﴿ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقَيَامَة وَزُنّا ﴾ [الكهف: ١٠٥](٢).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله عَيَا . : «يؤتى بالرجل الأكبول الشروب العظيم فيوزن بحبة فلا يزنها، قال: واقرعوا ﴿ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَزُنّا ﴾ (٣) .

⁽١) التنبيهات اللطيفة ص ٤٠.

⁽۲) أحرجه البخاري جـ ۸ ص ٤٢٦ ومسلم جـ ٥ ص ٦٥٥ (النووي) وابن جرير جـ ١٦ ص٣٥.

⁽٣) ذكره ابن كثير في النهاية جـ ٢ ص ٩٥ وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وعزاه ابن حجر إلى ابن مردوية.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه كان يجتني سواكاً من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الربح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله عَلَيْ : «مم تضحكون؟ قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه، فقال: والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحده(١).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن عمرو ـ رفعه في إحدى روايات حديث البطاقة ـ أن رسول الله عَلِيم قال:

«يؤتى برجل يوم القيامة إلى الميزان، فيخرج له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر، فيها ذنوبه وخطاياه، فتوضع في كفة، ثم يخرج له قرطاس مثل الأنملة فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فتوضع في الكفة الأخرى، فترجح بخطاياه، (۲)

وقد علق ابن كثير على هذا الحديث بقوله: «وهذا السياق فيه غرابة، وفيه فائدة جليلة وهو أن العامل يوزن مع عمله»(٢).

وقال ابن جرير في تفسير قول الله تعالى: ﴿ فَلا نُقِيهُ لَهُمْ يَوْمُ الْقَيَامَةِ وَزُنّا ﴾: «أي فلا نُجعل لهم ثقلاً، وإنما عنى بذلك: أنهم لا تشقل بهم موازينهم، لأن الموازين إنما تثقل بالأعمال الصالحة، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل »(٤).

⁽١) أخرجه أحمد جـ١ ص٤٣١ قال ابن كثير: «تفرد به أحمد، وإسناده جبد قوي».

⁽۲)، (۳) النهاية جـ ۲ ص ۹۳.

⁽٤) تفسير الطبري جـ ١٦ ص ٣٥.

ويقرر ابن أبي العز وزن العامل مستدلاً بما تقدم في الصحيحين، وهو ما يستدل به كثير من العلماء (١).

وما تقدم من النصوص ظاهر في وزن العامل، غير أن في بعض أقوال العلماء من يفسر قول الرسول عَلَيْكُ في الرجل السمين الكافر أنه لا يزن جناح بعوضة أو حبة يؤوله بأن معنى هذا إشارة إلى حقارته وعدم انتفاعه بسمنه، وأنه لا ثواب له.

وفي هذا يقول القرطبي - فيما ينقله عن العلماء - إن معنى هذا الحديث:

«أنه لا ثواب لهم، وأعمالهم مقابلة بالعذاب، فلا حسنة لهم توزن في
موازين يوم القيامة، ومن لا حسنة له فهو في النار، وقال أبو سعيد
الخدري: يؤتى بأعمال كجبال تهامة فلا تزن شيئاً، وقيل: يحتمل أن يريد
المجاز والاستعارة، كأنه قال: فلا قدر لهم عندنا يومئذة (٢٠).

وقال السفاريني، نقلاً عن الشيخ مرعي في بهجته، بعد أن أورد حديث صاحب البطاقة، قال: «ثبت بهذا الحديث الصحيح أن الموزون صحائف الأعمال، وهو الحق، فإن قيل: قد أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله على أنه قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، فقد صرح بأن الموزون نفس بدن الإنسان؟ فالجواب: أن هذا ضربه النبي عَلَيْ مثالاً للذي يغتر ببعض الأجسام، وهو

⁽١) انظر: شرح الطحاوية ص ٤٧٣، والأسئلة والأجوبة الأصولية ص ٢٢٢.

⁽٢) التذكرة ص ٣٧٣.

كناية عن عدم اكتراث الله بالأجسام، فإن الله لا ينظر للصور وإنما ينظر للأعمال والقلوب، فكم من جسيم وسيم وهو عند الله من أصحاب الجحيم»(1).

وهذا جنوح إلى التأويل وابتعاد عن ظاهر الحديث، فيما يظهر ، إذ المفهوم من ظاهر الحديث أنه في وزن العامل.

أما قول أبي سعيد الخدري «يؤتى بأعمال كجبال تهامة فلا تزن شيئاً» فالظاهر أنها أعمال فاسدة، إما لأن صاحبها قد استوفى حقها في الدنيا - كما هو الحال في حسنات الكفار - وإما لأنها أعمال رياء لم يرد بها وجه الله، وإما لغير ذلك، ولا يدل - أيضاً - قول أبي سعيد على عدم وزن العامل، وإغا يدل على أن أعمالاً توزن لا تساوي شيئاً ولا تنفع صاحبها.

وهذا كله جنوح إلى التأويل - كما قلنا - من غير دليل ولا قرينة على إرادة غير الظاهر، وإذا كان وزن العامل يوم القيامة ليس مستحيلاً عقلاً، بل هومن الممكنات الجائزة؛ فينبغي أن يفهم الكلام على ظاهره من أن العامل نفسه يوزن يوم القيامة . إذا شاء الله ذلك .

٢ ـ أدلة وزن العمل

جاء في السنة النبوية ما يفيد أن العمل يوزن ، ولا التفات إلى ما يقوله بعض أهل البدع من أن الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، فإن قائل هذا القول مبتدع راد للنصوص بهواه.

⁽١) لوامع الأنوار جـ ٢ ص ١٨٨ .

ومن الأدلة التي تثبت وزن العمل: ما جاء عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله عَلَيْكُ: «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان، (١٠).

وفي الصحيح ـ وهو خاتمة كتاب البخاري ـ عن أبي هريرة: أن النبي عَلَيْكُ قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم (٢).

وأخرج الترمذي: عن أبي الدرداء، أن رسول الله عَلَيْ قال: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء، (٣) . . أخرجه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح.

وأخرجه ابن أبي الدنيا بلفظ: «أثقل شيء يوضع في الميسزان خلق حسن»(٤).

وقال ابن أبي الدنيا - فيما يعزوه إليه ابن كثير عن إبراهيم - في قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمُوَازِيسَنَ الْقِسُطَ لِيَوْمُ الْقِيَامَةَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] قال: « يجاء بعمل الرجل فيوضع في كفة ميزانه، ويجاء بشيء مثل الغمامة أو مثل السحاب كثرة فيوضع في كفة أخرى في ميزانه، فيرجح، فيقال: أتدري ما هذا؟ فيقال: هذا العلم الذي تعلمته وعلمته الناس فعلموه وعملوا به

⁽١) أخرجه مسلم جـ ٥ ص ٦٥٥ (بشرح النووي).

⁽٢) أخرجه البخاري جـ ١٣ ص ٥٣٧ (الفتح) ومسلم جـ ٥ ص ٥٤٨ (النووي).

⁽٣) سنن الترمذي جـ ٤ ص ٣٦٣ وقال حديث حسن صحيح، وأحمد جـ ٦ ص ٤٤٢.

⁽٤) ذكره ابن كثير في النهاية جـ ٢ ص ٩٣ وعزاه إلى ابن أبي الدنيا.

بعلك)^(۱).

وقال ابن كثير في قوله عَلَيْ : •والحمد لله تملأ الميزان»: •فيه دلالة على أن العمل نفسه ـ وإن كان عرضا قد قام بالفاعل ـ يحيله الله يوم القيامة فيجعله ذاتاً ، وتوضع في الميزان»(٢٠) .

ويقول ابن أبي العز:

 $(0, 1)^{(T)}$ الأحاديث أيضا بوزن الأعمال أنفسها $(0, 1)^{(T)}$

وهناك روايات - أعرضنا عنها لضعفها - تدل على أن الوضوء يوزن، مثل ما أورده الترمذي عن الزهري)(٤) ، وكذا ما أورده ابن كثير عن سعيد بن المسيب - فيما يعزوه إلى ابن أبي شيبة - أنهما كرها المنديل بعد الوضوء ؛ لأن الوضوء يوزن، فلا ينبغى تنشيفه بالمنديل.

وقد ذكر العلامة شارح الترمذي بعض الأقوال في معنى وزن الوضوء، منها:

١ ـ أن الموزون إنما هو ماء الوضوء، فيكره إزالته بالتنشيف.

٢ ـ أن ما استعسل في الوضوء هو الذي يوزن لا الباقي على الأعضاء^(٥).

⁽١) النهاية جـ ٢ ص ١٠٠، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا.

⁽٢) النهاية جـ ٢ ص٩٣.

⁽٣) الطحاوية ص ٤٧٤.

⁽٤) سنن الترمذي جـ ١ ص ٧٧.

⁽٥) تحفة الأحوذي جرا ص ٥٧.

والواقع أنه لم يشبت شيء في وزن الوضوء، والخلاف الذي ذكره صاحب تحفة الأحوذي في تنشيف الأعضاء وعدمها ـ لكونهما توزن أولا توزن ـ خلاف في أمر غير ثابت، كما يظهر من قول الإمام ابن القيم: "وكل حديث في التنشيف بعد الوضوء فإنه لا يصح»(1).

كيفية وزن العمل

وزن العمل وهو عرض مما لم تقبله بعض العقول، وحارت في القول به؛ استشكالاً لإمكانية وقوعه، ولو رجع هؤلاء إلى عقولهم واتهموها؛ لرأوا أنها قد افترضت حينما نفت ذلك نقصاً في جانب الله، وهو عدم قدرته سبحانه على ذلك، إذ لا معنى للقول باستحالة ذلك إلا هذا التوهم ولابد.

وحاصل الخلاف في هذه المسألة يمكن تقسيمه إلى ما يأتي : ـ

١ ـ منهم من ذهب إلى أنه يوزن العمل نفسه .

٢ - ومنهم من ذهب إلى أن العمل - وهو عرض - يحول إلى جسم ثم
 يوزن.

٣ ـ وبعضهم لم يقل لا بوزن العمل ولا بوزن العرض، بل قال بوزن الصحف.

٤ - وبعضهم ذهب إلى أن الله يجعل علامة من نور أو ظلمة في كفتي الميزان، تكون علامة على الحسنات أو السيئات.

⁽١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف ص ١١٩.

والذي تؤيده النصوص من تلك الآراء: هو القول بوزن العمل نفسه، دون القول بتحويله إلى جسم أو غير ذلك من الأقوال السابقة، على أنه لا مانع أن يحول الله الأعراض إلى أجسام، لكن القول بأنه تعالى لا يزنها إلا إذا حولها إلى أجسام يحتاج إلى دليل، فقد رأينا فيما تقدم من النصوص التي تدل على وزن العصل ما يوجب الإيمان بذلك، وهو وزن الله للأعمال أنفسها، وأما الذين نفوا وزن العمل فيقال لهم: ما فائدة ذكر الميزان والوزن ووصفه بالحفة والثقل إن لم يكن هناك عمل يوزن؟.

إذ كيف يتصور ميزان وصف بصفات ظاهرة معلومة، ثم وصف كذلك في القرآن بالخفة والثقل، ثم لا يكون للأعمال أي وزن؟ فما الذي يتصور أن يوزن أولى من الأعمال التي هي القصد الأول من الحساب والجزاء، والثواب والعقاب؟

وقال ابن أبي العز: "فلا يلتقت إلى ملحد معاند يقول: الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام، فإن الله يقلب الأعراض أجساماً»(١).

ويبعد بعضهم جداً فيرجعون وزن الله أعمال العباد ـ وهي أعراض ـ إلى النور والظلمة ، حيث تجعلان علامة على الخير والشر ، فيقولون : «ليس يتنع أن يجعل الله تعالى النور علماً للطاعة ، والظلمة أمارة للمعصية ، ثم يجعل النور في إحدى الكفتين والظلمة في الكفة الأخرى ، فإن ترجحت كفة

⁽١) شرح الطحاوية ص ٤٧٤.

النور حكم لصاحبه بالثواب، وإن ترجحت الأخرى حكم له بالأخرى».

وهذا قول القاضي عبد الجبار، وهو وإن كان يرد على من يقول أن الميزان هو العدل، ويبطل قوله، غير أنه أول تأويلاً بعيداً في الموزون وهو قوله الآنف الذكر، ذلك أن النصوص ترد مثل هذا التأويل، بل هو قول بعيد، وأقرب منه قوله الذي وافق فيه غيره من العلماء، وهو أنه .. «الا يمتنع أن يجعل الطاعات في الصحائف، ثم توضع صحائف الطاعات في كفة، وصحائف المعاصي في كفة، فأيهما ترجحت حكم لصاحبه به»(۱۱). أما قوله بوزن النور والظلمة وتكون عبارة عن الأعمال، فهو مخالف لظواهر النصوص التي تدل على وزن العمل نفسه وليس عبارة عن النور والظلمة.

ويذكر السفاريني رأياً لبعض العلماء وهو أنه «توزن نفس الأعمال، فتصور الأعمال الصالحة بصورة حسنة نورانية، ثم تطرح في كفة النور، وهي اليمنى المعدة للحسنات، فتثقل بفضل الله سبحانه، وتصور الأعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية، ثم تطرح في الكفة المظلمة، وهي الشمال المعدة للسيئات، فتخفف بعدل الله سبحانه، كما جاء به الحديث» ثم قال «وقيل: إن الله تعالى يخلق أجساماً على عدد تلك الأعمال من غير قلب لها»(۱).

وهذا القول لا يخرج عن قول القاضي عبد الجبار السابق، وهو تأويل

 ⁽١) شرح الأصول الخمسة ص ٧٣٥، وهو قول الحافظ ابن كثير حيث قال بعدم امتناع (أن
 يوزن بوضع الصحيفة التي كتب فيها) النهاية جـ ٢ ص ٩٣، ٩٤.

⁽٢) لوامع الأنوار جـ٢ ص ١٨٧.

يحتاج إلى إثبات، كما ثبت القول بوزن الأعمال، وأما ما وراء ذلك من تلك التفصيلات فهي مسائل غيبية يتوقف القول بها على صحة الدليل، وقد رد السفاريني هذا القول، لكنه أثبت أن الموزون هو صحف الأعمال.

ونقل السفاريني عن أكثر العلماء قولهم بهذا ، وهذا قول ، غير أن الاقتصار على القول بوزن الصحف فقط غير مسلم، إذا لم يؤخذ في الحسبان وزن الأمور الأخرى، ومنها وزن العمل، كما يفهم من أقوال بعضهم، مثل قول السفاريني: «والحق ما قدمناه أن الموزون صحف الأعمال؛ وذكر من أقوال العلماء في تأييد هذا القول فقال: «صححه ابن عبد البر والقرطبي وغيرهما، وصوبه الشيخ مرعي في بهجته، وذهب إليه جمهور من المفسرين، ويؤيد ذلك حديث البطاقة والسجلات، رواه الترمذي وحسنه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي وقال الحاكم: على شرط مسلم، (۱) ويظهر أن القائلين بوزن الصحف فقط لا يريدون أن يقولوا بوزن الأعمال منفصلة عن الصحف.

ويعزو القرطبي إلى بعض المتكلمين إنكارهم لوزن الأعراض، لكن القرطبي يذكر أن الصحيح هو «أن الموازين تثقل بالكتب فيها الأعمال مكتوبة، وبها تخف، كما دل عليه الحديث الصحيح والكتاب العزيز، قال الله عز وجل: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ① كَرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ [الانفطار: ١٠].

⁽١) لوامع الأنوارج ٢ ص ١٨٧.

ويعزو هذا إلى ابن عمر أنه قال: «توزن صحائف الأعمال».

ولأن الصحف أجسام، فإن الله يجعل ـ كما قال القرطبي ـ : « رجحان إحدى الكفتين على الأخرى دليلاً على كثرة أعماله بإدخاله الجنة أو النار »(١) .

وقد جاء في السنة النبوية ما يفيد قلب الأعراض إلى أجسام، كما جاء في الصحيح أن البقرة وآل عمران تأتيان يوم القيامة كأنها غمامتان - أو غيايتان، أو حزقان من طير صواف.

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله عَلَيْ يقول: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة، (٦)

وجاء أيضاً: أن القرآن يأتي صاحبه في صورة رجل شاحب اللون، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك . . أخرج الحافظ ابن ماجه عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله على المناهبيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب، فيقول: أنا الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك، ".

التذكرة ص ٣١٣.

⁽٢) تقدم تخريجه في شفاعة القرآن.

⁽٣) أخرجه ابن ماجه جـ ٢ ص ١٣٤٢ (في الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات).

ومن ذلك ما جاء في حديث البراء ـ في قصة سؤال القبر ـ وفيه أن المؤمن عثل له عمله في صورة • رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح،

وكذلك الكافر؛ فإنه عِثل له عمله في صورة «رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، (١١) الحديث.

وقال الإمام مسلم رحمه الله:

(حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، وأبو كريب (وتقاربا في اللفظ) قالا: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال: قال رسول الله عَلَيْهُ: بيجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح (زاد أبو كريب: فيوقف بين الجنة والنار واتفقا في باقي الحديث).

فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرنبون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت. قال: ويقال: يا أهل النار هل تعسرفون هذا؟ قال: فيشرنبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت. قال: فيؤمر به فيذبح، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة، خلود فلا موت. ويا أهل النار، خلود فلا موت. قال: ثم قرأ رسول الله عَلَيْ ﴿ وَأَنذَرُهُمْ فَلا مُوتَ. ويا أهل النار، خلود فلا موت. قال: ثم قرأ رسول الله عَلَيْ ﴿ وَأَنذَرُهُمْ فَلا مُوتَ. ويا أهل النار، خلود فلا موت. قال: ثم قرأ رسول الله عَلَيْ ﴿ وَأَنذَرُهُمْ فَلا مُوتَ وَيا أَهْلُ النَّارَ وَهُمْ فِي غَفَلَةً وَهُمْ لا يُؤْمِنُون ﴾ [مريم: ٣٩] وأشار

⁽١) أخرجه أحمد جـ ٤ ص ٢٨٧، ٢٨٨ وأبو داود جـ ٢ ص ٥٤٥.

بيده إلى الدنيا»^(١).

وقد اختلف العلماء في حقيقة الموت: أهو عرض؟ أم جسم؟ وليس هذا مجال بحثه، غير أن حاصل الخلاف فيه كما يتلخص من كلام العلامة السفاريني:

١ ـ أن منهم من يذهب إلى أنه عرض ومعنى.

٢ - ومنهم من يذهب إلى أنه جسم لا عرض، وأنه مخلوق في صورة
 كبش، والحياة في صورة فرس.

٣ ـ ومنهم من قال هو لا عرض ولا جسم، بل هو عدم محض، وبه قال الزمخشري، وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ الْمُوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ [الملك: ٢]
 بأن الخلق في هذه الآية التقدير.

وقد ذكر السفاريني بعض الأدلة التي يرجع بها أن الموت جسم لا عرض(٢).

فإذا كان الموت عرضاً فإن الله تعالى يحيله في يوم القيامة إلى جسم في صورة كبش أملح، ويذبح بين الجنة والنار، وينادي كلا الفريقين؛ لتطمين هؤلاء وتبئيس أولئك، كما ثبت به النص.

⁽۱) أخرجه مسلم جـ ٥ ص ٧٠٥ والبخاري بمعناه جـ ١ ص ٤١٥ وأحمد جـ ٢ ص ٤٦٣ عن أبي هريرة، وذكر الألباني أن الإمام أحمد أخرجه بسند صحيح. شرح (الطحاوية) ص ٤٧٥.

⁽٢) لوامع الأنوار ٢/ ٢٣٥.

وقد نقل الحكيم الترمذي أن مذهب السلف في حديث الإتيان بالموت في صورة كبش فيذبح «الوقوف عن الخوض في معناه، فنؤمن به ونكل علمه إلى الله تعالى»(١).

ومما تقدم تبين لنا أن الله تعالى قادر على أن يقلب الأعراض أجساماً، ثم يزنها، على أنه لا يمنع هذا أن الله تعالى يزن الأعمال دون أن يقلبها إلى أجسام، كما تقدم.

وقد جاءت العلوم الحديثة بوزن الأعراض بآلاتها الخاصة، وكمثال على ذلك: المقاييس التي يستعملها الأطباء لقياس درجة حرارة المريض، فإذا أمكن هذا في حق المخلوق فكيف بالخالق القادر على كل شيء، ورجا يكون الأولى عدم الخوض في مثل هذه المسائل. ورد علم ذلك إلى الله تعالى.

٣ ـ أدلة وزن صحائف الأعمال

أشرنا فيما مضى إلى أن الصحف توزن، وهو قول كثير من علماء السلف.

ومن أدلتهم ما أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: قال رسول الله على دؤوس الله على دؤوس الخلائق يوم القيامة . وفي رواية ابن ماجه «يصاح برجل فينشر عليه

⁽١) ذكره السفاريني في لوامع الأنوار ٢/ ٢٣٥ وعزاه إلى الحكيم الترمذي.

تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مدالبصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم. فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك. فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تظلم.

قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء، (١).

وهذا الحديث قد استدل به العلامة ابن أبي العز على صفة الميزان وثبوت وزن الصحف، فقال: «والذي دلت عليه السنة أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان».

ثم قال: « روى الإمام أحمد من حديث أبي عبد الرحمن قال: سمعت عبد الله بن عمرويقول: قال رسول الله عَلَيْكَ ، وذكر الحديث (٢) .

وهذا الحديث قد ثبتت صحته وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي وحسنه الترمذي»(٣).

وقد ألف العلامة أبو القاسم حمزة بن محمد بن علي الكتاني كتاباً سماه

 ⁽١) أخرجه الترمذي ٥/ ٢٥. وابن ماجه في سنته ٢/ ٤٣٧. وقال الترمذي بعد إخراجه له:
 «هذا حديث حسن غريب». والبطاقة: هي الرقعة.

⁽٢)، (٣) شرح الطحاوية ص ٤٧٢ تعليق الألباني.

"جزء البطاقة" () وقال عنه: "إنه من أحسن الحديث وكل من يثبت وزن الصحف فإنه يستدل بهذا الحديث ().

ولعل بعض الناس يستقل هذه الشهادة، وأنها تكون أثقل من كل الصحف المذكورة في الحديث.

ولكن هذه الكلمة وإن كانت تقال من كل أحد من المسلمين وإلا أن مدار ثمرتها على الإخلاص واعتقاد معناها لا مجرد التلفظ بها، وأن المتكلمين بها ليسوا سواء، فإنهم يتفاوتون أشد التفاوت قبولاً ورداً، وزيادة ونقصاناً، ولهذا ورد في الحديث أن من كان آخر كلامه في الدنيا شهادة أن لا إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة.

كما جاء في حديث معاذبن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله عَلَيْهُ: «من كان آخر كلامه في الدنيا لا إله إلا الله وجبت له الجنة، (٦) .

ويذكر القرطبي في التذكرة: أن الصلاة على النبي عَلَيْكَ تكون في رقعة يلقيها النبي عَلَيْكُ في كفة حسنات العبد، فترجح الكفة، ولم يبين القرطبي مستند هذه الرواية إلا عن القشيري في تفسيره، وجاء بها على صيغة تشعر بضعفها، وهي قوله:

«وفي الخبر: إذا خفت حسنات المؤمن أخرج رسول الله عَلِينَ بطاقة

⁽١) مخطوط بمكتبة الشيخ/ حماد الأنصاري.

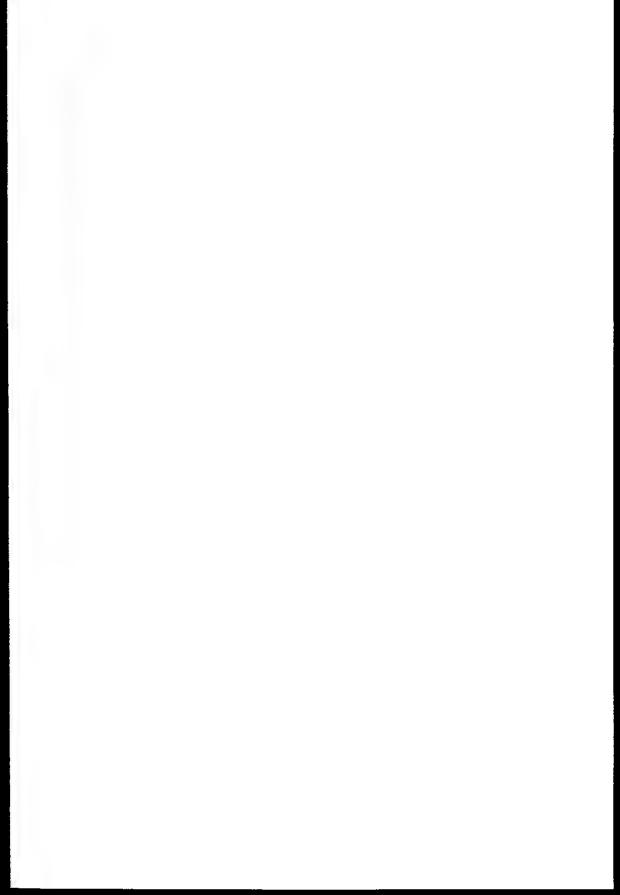
⁽٢) انظر: الأسئلة والأجوبة الأصوليةص: ٢٢٢.

⁽٣) قال الفرطبي في التذكرة ص: ٣١٦، رواه صالح بن أبي غريب عن كثير ابن هرة عن معاذ.

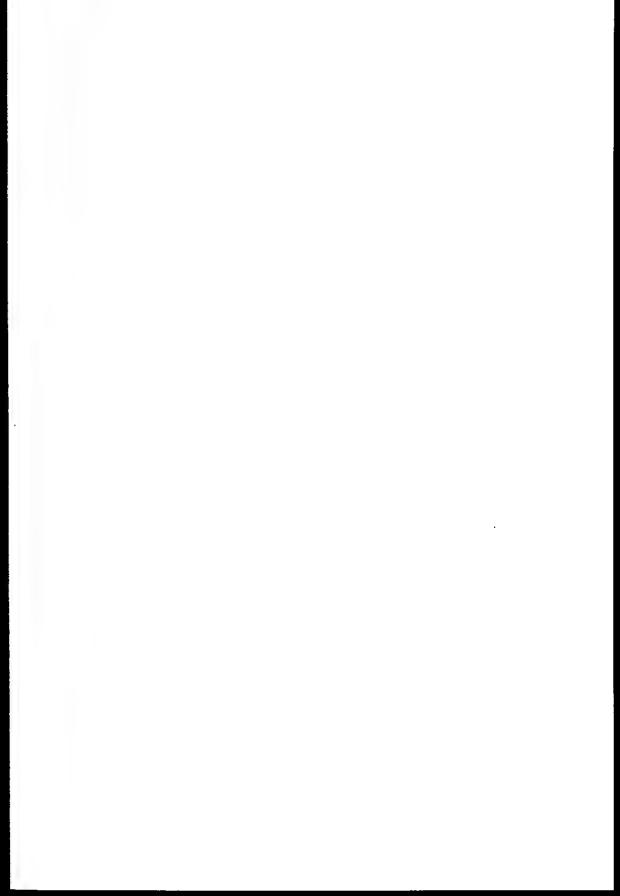
كالأنملة، فيلقيها في كفة الميزان اليمنى التي فيها حسناته، فترجح الحسنات، فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي عَنِينَ : بأبي أنت وأمي ما أحسن وجهك، وما أحسن خلقك، فمن أنت؟ فيقول: أنا نبيك محمد، وهذه صلاتك علي التي كنت تصلى على، وقد وفيتك إياها أحوج ما تكون إليها، (1)

※ 寮 森

⁽١) التذكرة ص: ٣١١.







الفصل السابع حكمة الله تعالى في وزن أعمال العباد، والرد على من ينكره

كل مسلم يعلم أن الله تعالى حكيم عليم، يفعل ما يشاء لحكمة، وقد يعرف الناس بعض الجوانب من الحكم، وقد تخفى عليهم، وإذا كان الناس ينزهون العقلاء من بني آدم عن إتيانهم أعمالاً لا حكمة فيها ولا فائدة من ورائها، فكيف بالله سبحانه وتعالى؟!

وليس من صفات المسلم الحق أن يرد ما أخبر الله به، أو يتأوله بما يبطل المراد منه.

ومن ذلك أمر الميزان، فقد أخبر الله به، وأخبر به رسوله على ، فيجب الإيمان بذلك، وأن لله حكمة عظيمة في نصبه يوم القيامة، من أعظمها وأجلها: إظهار أقصى كمال عدله جل وعلا بين عباده، حتى لا يساوى المحسن بالمسيء، وليظهر التفاوت بين البشر جلياً واضحاً، يقتنع كل مخلوق بذلك كما يقتنعون بما يرجحه الميزان في الدنيا، ولو شاء الله أن لا يقيم الميزان ويأخذ العباد بما يعلمه سبحانه من أعمالهم الطيبة أو الخبيثة؛ لما كان في ذلك أي نقص على العباد ولا هضم لحق أي مخلوق ﴿ ألا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُو اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

لكن الله تعالى لم يشأ ذلك، بل أراد أن يعلم العباد بأعمالهم بما

يقتنعون به هم أنفسهم، وحتى لا يبقى حجة ولا اعتراض لمعترض، ولله الحجة البالغة.

وفي بيان حكمة الله في إقامة الميزان يقول الثعلبي «بأن الحكمة في ذلك: تعريف الله عباده عدد مالهم عنده من الجزاء من خير أو شر»(١).

«وقال الشيخ مرعي - فيما ينسبه إليه السفاريني -: بل الحكمة فيه : إظهار العدل وبيان الفضل، حيث إنه يزن مثاقيل الذر من خير أو شر» ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفُهَا وَيُؤْتِ مِن لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيدَ مَا ﴾ (٢) [(النساء: ٤٠].

ويقول البرديسي: «وحكمة الوزن ليبين ما يستحقه من العذاب وما يكون فيه من درجات الجنقة (٢٠٠٠).

ويقول القاضي عبد الجبار - من كبار المعتزلة - عن فائدة وضع الموازين: «وأما فائدته: فهو تعجيل مسرة المؤمن وغم الكافر، هذا في القيامة، وفيه فائدة أخرى تتعلق بالتكليف: وهي أن المرء مع علمه أن أعماله توزن على الملأ؛ كان عند ذلك أقرب إلى أداء الواجبات واجتناب المقبحات، وهذه فائدة عظيمة»(1).

ويقول الطبري في رده على من ينكر الميزان والحكمة منه: «فإن أنكر ذلك جاهل بتوجيه معنى (٥) خبر الله عن الميزان وخبر رسوله على عنه

⁽١)، (٢) لوامع الأنوار ٢/ ١٨٨.

⁽٣) تكملة شرح الصدور ص: ٢٩.

⁽٤) شرح الأصول الخمسة ص: ٧٣٦.

 ⁽٥) هكذا العبارة في الكتاب المشار إليه ولعل معناها فإن أنكر ذلك جاهل بالمراد من معنى خبرالله عن الميزان.

وجهته (۱) وقال: أو بالله حاجة إلى وزن الأشياء وهو العالم بمقدار كل شيء، قبل خلقه إياه، وبعده، وفي كل حال؟ أو قال: وكيف توزن الأعمال والأعمال ليست بأجسام توصف بالثقل والخفة؟ وإنما توزن الأشياء ليعرف ثقلها من خفتها، وكثرتها من قلتها، وذلك لا يجوز إلا على الأشياء التي توصف بالثقل والخفة والكثرة والقلة، قيل له في قوله: وما وجه وزن الله الأعمال وهو العالم بمقاديرها قبل كونها: وزن ذلك نظير إثباته إياه في أم الكتاب واستنساخه ذلك في الكتاب من غير حاجة إليه ومن غير نسيانه، وهو العالم بكل ذلك في كل حال ووقت، قبل كونه، وبعد وجوده، بل ليكون ذلك حجة على خلقه، كما قال جل ثناؤه في تنزيله: ﴿ وَتَرَىٰ كُلُ أُمّة تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنستُمْ تَعْمَلُونَ (١٤) هَذَا كَتَابُنا يَنطَقُ عَلَيْكُم بالْحَقَ ﴾ [الجَائية: ٢٨، ٢٩].

فكذلك وزنه تعالى أعمال خلقه بالميزان: حجة عليهم ولهم، إما بالتقصير في طاعته والتضييع، وإما بالتكميل والتتميم(٢).

ويقول ابن أبي العز-في رده على الذين ينفون الميزان ، لخفاء الحكمة عليهم ، وقولهم: إنه لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والقوال، ومدى خطورة هذا الكلام - يقول:

«فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبرنا الصادق عَلَيْكَ ، من غير زيادة ولا نقصان، ويا خيبة من يتفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع ـ لخفاء الحكمة عليه ـ ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان

⁽١) هكذا العبارة في الكتاب.

⁽٢) جامع البيان ٨/١٧٤.

إلا البقال والفوال، وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزناً، ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه (۱).

ثم إن الذين يحاولون التشكيك في الميزان، أو إنكار حقيقته، لا يستندون على أي دليل يصح الاحتجاج به «بل غاية ما تشبثوا به، مجرد الاستبعادات العقلية، وليس في ذلك حجة على أحد، فهذا إذا لم تقبله عقولهم فقد قبلته عقول قوم هي أقوى من عقولهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم، حتى جاءت البدع كالليل المظلم، وقال كل ما شاء، وتركوا الشرع خلف ظهورهم، وليتهم جاؤوا بأحكام عقلية يتفق العقلاء عليها ويتحد قبولهم لها، بل كل فريق يدعي على العقل ما يطابق هواه، ويوافق ما يذهب إليه هواه، ومن هو تابع له.

فتناقض عقولهم على حسب ما تناقضت مذاهبهم، يعرف هذا كل منصف، ومن أنكره فليصف فهمه وعقله عن شوائب التعصب والتمذهب، فإنه إن فعل ذلك أسفر الصبح لعينيه، (٢).

وذكر محمد رشيد رضا «أن حكمة وزن الأعمال بعد الحساب: أنه يكون أعظم مظهر لعدل الرب تبارك وتعالى، أي ولعلمه وحكمته وعظمته في ذلك اليوم العظيم، إذ يرى فيه عباده. أفراداً وشعوباً وأعاد ذلك

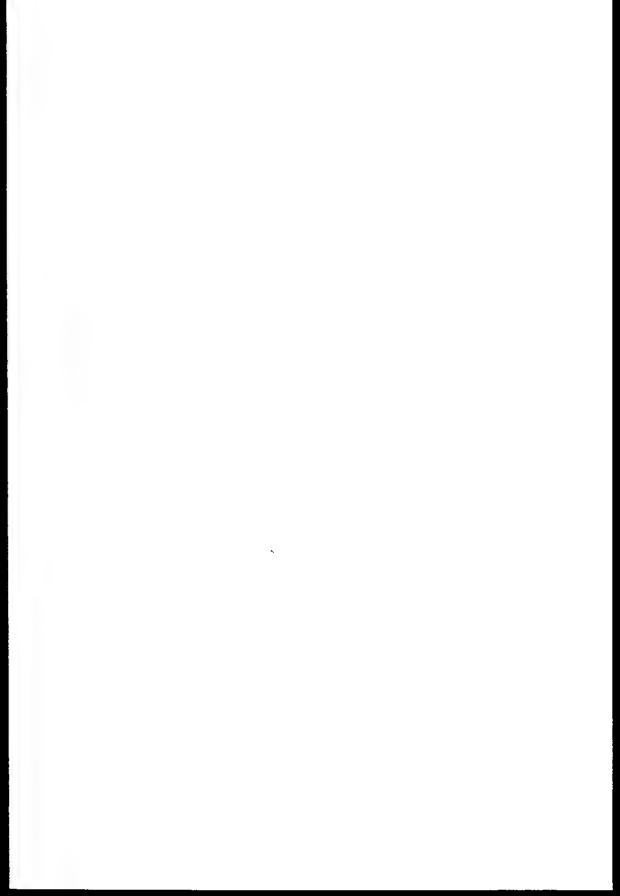
⁽١) شرح الطحاوية ص: ٤٧٥.

⁽۲) فتح القدير ۲/ ۱۹۰.

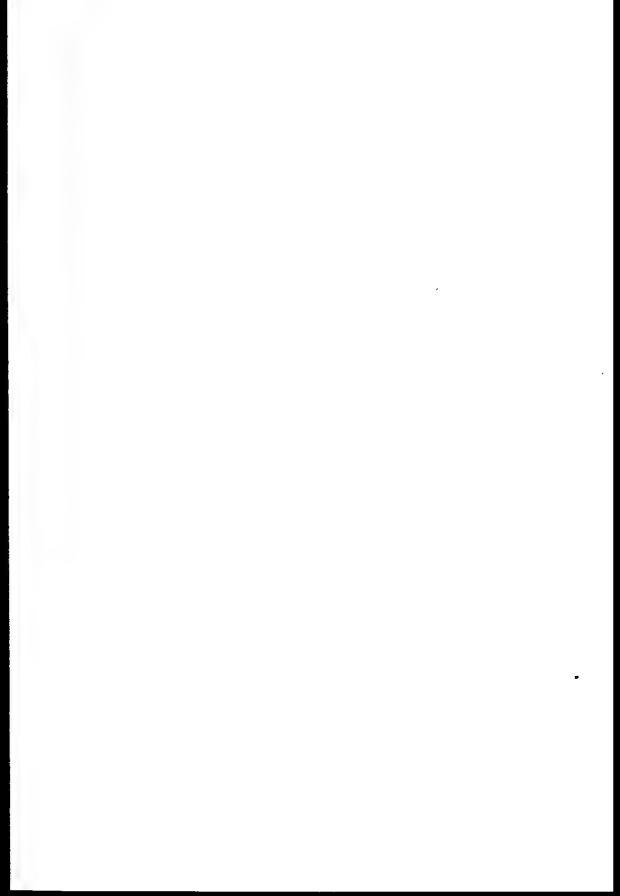
بأعينهم، ويعرفونه معرفة إدراك ووجدان في أنفسهم، فإن أعمالهم تتجلى لهم فيها أولا، ثم تتجلى لهم ولسائر الخلق في خارجها ثانياً، فياله من منظر مهيب، وياله من مظهر رهيب، وما أشد غفلة من قال: « إنه لا حاجة إليه للاستغناء بعلم الله عنه»(١).

ومهما قيل في الحكمة فإن الأمر لا يزال يتطلب الإيمان الكامل بأن وزن الأعمال هو عين الحكمة، وأن هذه مجرد استنباطات للعلماء، وتبقى حقيقة علم ذلك إلى الله وحده.

⁽١) تفسير المنار ٨/ ٣٣٥.







الفصل الثامن مرجحات الميزان

من الطبيعي جداً معرفة أن مرجحات الميزان في يوم القيامة: هو العمل الصالح، والتقرب إلى الله بالأفعال الطيبة، وفق ما أمر به سبحانه أو أمر به نبيه عَيْلَهُ .

والأعمال الصالحة كثيرة متنوعة يطول تعدادها، وإن كان بعض العلماء قد ذكر أشياء في ذلك على أنها مرجحات للميزان، مثل ما ذكر البرديسي في قوله: «للميزان مرجحات كثيرة، منها: قول لا إله إلا الله، لحديث البطاقة المشهور المتقدم.

ومنها: الخلق الحسن، لقوله عليه الصلاة والسلام : مما من شيء يوضع في الميزان يوم القيامة أثقل من خلق حسن.

ومنها: قضاء حاجة المسلم، ففي الحديث: من قضى الخيه المسلم حاجة، كنت واقفاً عند ميزانه يوم القيامة، فإن رجح وإلا شفعت له.

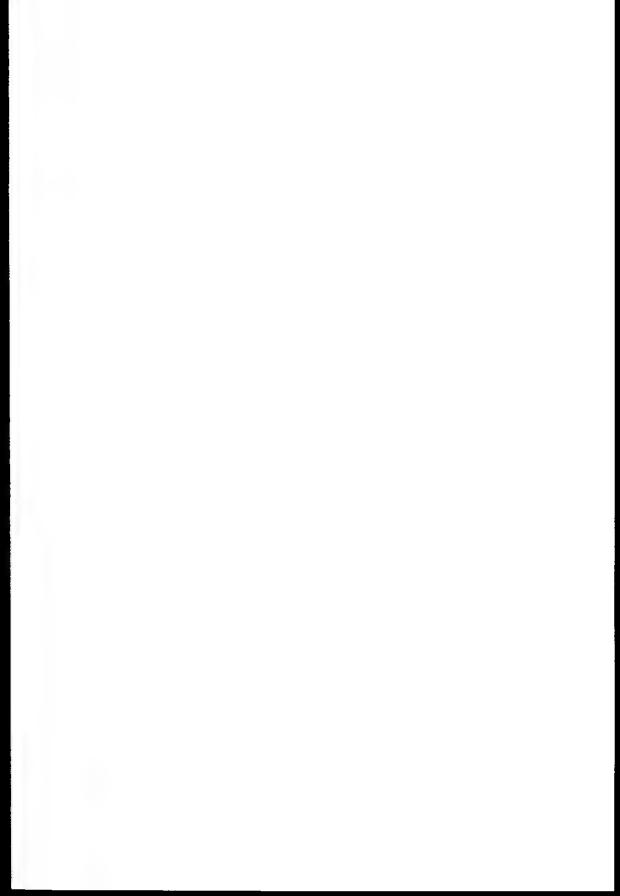
ومنها: قراءة القرآن، وتعليم الناس الخير، ومداد العلماء، واتباع الجنائز، والولد الذي يموت للإنسان فيحتسبه، والصلاة على النبي على المحدقة، وكثرة الاستغفار، والتسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير، والصدقة، وتخفيف العمل على الخادم، والأضحية، وإهالة التراب على قبر المسلم،

ورجحان الميزان في الدنيا، كما ورد بذلك كله الأحاديث الانك .

وكل هذه المسائل التي ذكرها البرديسي ـ وغيرها مما لم يذكره ـ يشملها كلها وجود العمل الصالح، فهو الذي عليه مدار الثقل والخفة.

⁽١) تكملة شرح الصدور ص: ٢٩.





الفصل التاسع متى تنصب الموازين؟

مما هو معلوم أن الله تعالى ينصب يوم القيامة الموازين لوزن العباد أو أعمالهم أو صحفهم، وذلك لكمال عدله ورحمته بهم، وإذا تقرر هذا، فمتى تنصب الموازين؟ وما ترتيبها بالنسبة لمواقف يوم القيامة؟

الواقع أن ترتيب أعمال يوم القيامة لا يحتاج إلى إعمال فكر؛ لأنها من المسائل الغيبية التي لا مجال للخوض فيها إلا بدليل ثابت عن المصطفى عَلَيْكُ .

وحيث إنه لم يرد فيما تيسر لي الاطلاع عليه نص يبين تلك الأعمال مرتبة ؛ فليس أمامنا هنا إلا ما قاله أهل العلم فيها بحسب اجتهادهم.

فالقرطبي يذكر نقلاً عن العلماء أنهم قالوا:

"إذا انقضى الحساب، كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها»(١).

وهذا الترتيب مناسب من ناحية الزمن، لأن الله تعالى يحاسب الشخص على أعماله ويقرره بها، ثم بعد ذلك ينصب له الميزان؛ ليكون

⁽١) التذكرة ص: ٣٠٩.

نتيجة لتلك المحاسبة؛ ليطلع الله العبد على مصداق تلك المحاسبة ظاهراً في ميزانه.

وقال البرديسي: «وقت الوزن عند الفراغ من السؤال والحساب»(١).

هذا ما يتعلق بترتيب الميزان والحساب، وهناك مسألة أخرى تتعلق بترتيب الميزان بالنسبة للحوض، هل هو قبله أم بعده؟ فيه خلاف:

١ ـ فقيل الميزان قبل.

٢ ـ وقيل الحوض قبل.

والظاهر من النصوص أن الحوض قبل الميزان، وهو ما يقتضيه الحال، ولهذا يقول أبو الحسن القابسي: ﴿والصحيح أن الحوض قبل﴾.

قـال القرطبي: «والمُعنَى يقـتضـيه، فـإن الناس يخـرجـون عطاشــاً من قبورهم-كما تقدم-فيقدم على الصراط والميزان»(٢).

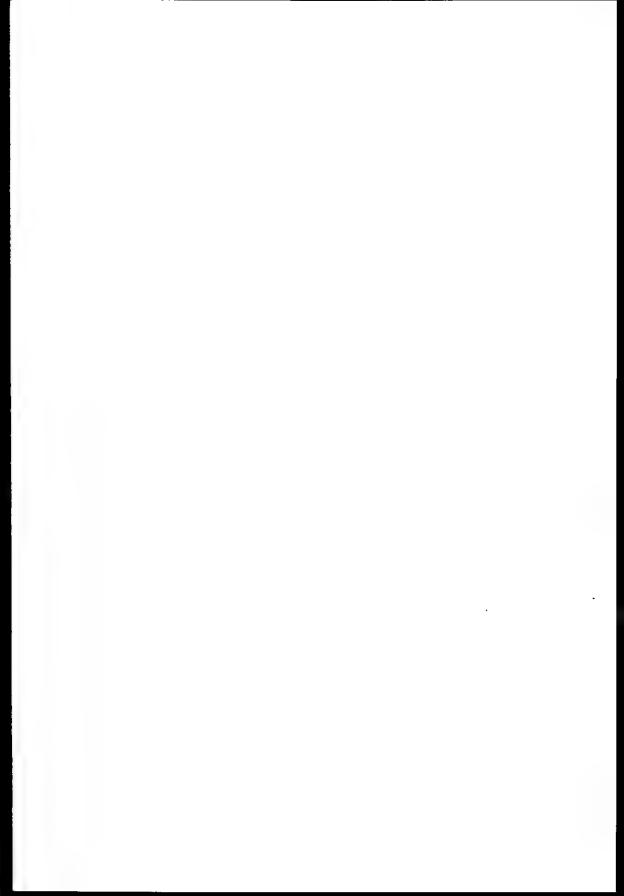
ومعلوم أنه ليس بعد الحساب والميزان إلا النتيجة النهائية لكلا الفريقين. ولا يتصور أن يؤخر الحوض بعد الميزان إلا عند القائلين بوجود حوضين: أحدهما قبل الصراط، والآخر بعده.

وموضع تفصيل هذا في بحث الحوض كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

⁽١) تكملة شرح الصدور ص: ٢٩.

⁽٢) التذكرة ص: ٣٠٢.





الفصل العاشر أمن ينصب الهيزان؟

الظواهر من النصوص من كتاب الله وسنة رسوله عَلَى تشير إلى أن كل عبد لابد من إقامة الميزان له، غير أن في بعض الروايات ما يفيد اختصاص طوائف من البشر بعدم إقامة الميزان لهم، إما إكراماً وإظهاراً لشرفهم وفضلهم، وإما إظهاراً لذلهم وخزيهم.

قال القرطبي: «الميزان حق، ولايكون في حق كل أحد»(١).

ويستدل لهذا بما ورد في حديث الشفاعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: « فيقول يا محمد أدخل من أمتك من لاحساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة. . . ، (1) الحديث.

قال: وإنما يكون لمن بقي من أهل المحشر بمن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً من المؤمنين، وقد يكون للكافرين على ما تقدم ويأتي ، فإذا كان هؤلاء لا يحاسبون؛ فمن باب أولى أن لا يقام لهم ميزان.

وقال البرديسي: «لا يكون لكل أحد، فمن يدخل الجنة بغير حساب؛ لا يوزن له عمل على أحد القولين، وقيل: إن أهل الصبر لا توزن أعمالهم، بل يصب لهم الأجر صباً»(٢٠).

⁽١) التذكرة ص: ٣٧٥.

⁽٢) تقدم تخريجه.

⁽٣) تكملة شرح الصدور ص: ١٥.

وتذكر هنا أخبار لم أجد نصاً صحيحاً يثبتها في عدم إقامة الميزان لأهل البلاء في الدنيا، نذكرها للتنبيه عليها وعدم الاغترار بخبر لم يقله الصادق المصدوق، ومن تلك الأخبار ما يلي:

روي عن النبي عَلَيْهُ أنه قال: وتنصب الموازين يوم القيامة، فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصيام فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان، ولا ينشر لهم ديوان، وينصب عليهم الأجر صباً بغير حساب، (۱)

وعن ابن عباس رضي الله عنه: عن النبي عَيَّكَ قال: «يؤتى بالشهيد يوم القيامة فينصب للحساب، ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان، ولا ينشر لهم ديوان، فيصب لهم الأجر صباً، حتى إن أهل العافية ليتمنون في الموقف أن أجسامهم قرضت بالمقاريض لما يرون من حسن ثواب الله تعالى لهم، (٢).

وقال القرطبي ـ فيما يعزوه إلى أهل العلم ـ إن الناس في الآخرة ينقسمون إلى ثلاث طبقات:

١ ـ متقون، لا كبائر لهم.

⁽١) ذكره القرطبي في التذكرة ص: ٣١١ وعزاه إلى القاضي منذر بن سعيد البلوطي، وذكره أيضاً أبو عبد الله محمد بن محمد المنبحي الحنبلي في كتابه السلية أهل المصائب وعزاه إلى منجويه في تفسيره.

⁽٢) ذكره القرطبي وعزاه إلى أبي نعيم، وقد ذكر القرطبي في التذكرة ص ٣١١ بأنه: احديث غريب من حديث جابر الجعفي وقتادة، وتفرد به عن قتادة عن جابر عن ابن عباس عن مجاعة بن الزبير".

٢ ـ مخلطون، وهم الذين يوافون بالفواحش والكبائر.

٣۔کفار،

فأما المتقون: فإن حسناتهم توضع في الكفة النيرة، وصغائرهم - إن كانت لهم - في الكفة الأخرى، فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزناً، وتثقل الكفة النيرة حتى لا تبرح، وترتفع المظلمة ارتفاع الفارغ الخالي.

وأما المخلطون فحسناتهم توضع في الكفة النيرة، وسيئاتهم في الكفة المظلمة، ويكون لكبائرهم ثقل، فإن كانت الحسنات أثقل ولو بصؤابة (۱) دخل الجنة، وإن كانت السيئات أثقل ولو بصؤابة دخل النار، إلا أن يعفو الله، وإن تساويا كان من أصحاب الأعراف، على ما يأتي، هذا إن كانت الكبائر فيما بينه وبين الله، وأما إن كانت عليه تبعات، وكانت له حسنات كثيرة، فإنه ينقص من ثواب حسناته بقدر جزاء السيئات؛ لكثرة ما عليه من التبعات، فيحمل عليه من أوزار من ظلمهم، ثم يعذب على الجميع، هذا ما تقتضيه الأخبار».

ثم ذكر تقسيماً آخر لأحمد بن حرب وهو قوله: «تبعث الناس يوم القيامة على ثلاث فرق:

١ ـ فرقة أغنياء بالأعمال الصالحة.

٢ ـ و فرقة فقراء .

⁽١) الصوابة: بالهمزة: بيضة القملة، مختار الصحاح: ص: ٢٨٠.

٣ وفرقة أغنياء، ثم يصيرون فقراء مفاليس في شأن التبعات».

وقال سفيان الثوري: «إنك إن تلق الله عز وجل بسبعين ذنباً فيما بينك وبينه، أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد»(١).

وقب ذكر ابن حجر في تعليقه على قول البخاري رحمه الله (باب: قول الله تعالى ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن) (٢٠ أن ظاهره التعميم، لكنه يخص بطائفتين:

١ - طائفة كفار لم يعملوا حسنة، فإنهم يقعون في النار من غير حساب
 ولا ميزان.

٢ - وطائفة مؤمنون لا سيئات لهم ولهم حسنات كثيرة زائدة على محض الإيمان، وهؤلاء يدخلون الجنة بغير حساب، كالسبعين الألف، ومن شاء الله أن يلحقهم بهم، وهم الذين يمرون على الصراط كالبرق الخاطف، وكالريح، وكأجاويد الخيل، قال ابن حجر: "ومن عدا هذين من الكفار والمؤمنين يحاسبون، وتعرض أعمالهم على الموازين" ".

ونذكر فيما يلي مزيداً من الإيضاح لمسألة وزن أعمال الكفار .

⁽١) التذكرة ص: ٣١٤.

⁽٢) صحيح البخاري ١٣/ ٥٣٧.

⁽٣) انظر: فتح الباري ١٣/ ٥٣٨.

هل توزن أعمال الكفار

سبقت الإشارة إلى أن عتاة الكفار الذين لا خير معهم لا ينصب لهم ميزان ولا يوقفون لحساب.

وإذا كان المراد من الميزان تقابل حسنات العبد بسيئاته ليكون المصير بعد ذلك حسب نتيجة الوزن، فما الذي يوجد مع الكافر حتى ينصب له الميزان، فتتقابل حسناته بسيئاته ليتبين مقادير كل منهما؟ فهو لا حسنات له، إذ إن كفتي ميزانه قد شغلت كلها بالسيئات، فهل يعني هذا أنه لا ينصب له ميزان ألبتة؟ أم أنه ينصب له باعتبار ما قد يوجد عنده من الحسنات، كالتصدق، وصلة الرحم، وما إلى ذلك من أعمال البر؟.

الواقع أن أقوال العلماء قد اختلفت حول هذه المسألة، بعضهم يقول: لا توزن، وبعضهم يقول: توزن، والمسألة فيما يظهر قابلة لكل الاحتمالات، وفي هذا يقول القرطبي: «إنما توزن أعمال المؤمن المتقي لإظهار فضله، كما توزن أعمال الكافر لخزيه وذله، فإن أعماله توزن تبكيتاً له على فراغه وخلوه عن كل خير، وكذلك توزن أعمال المتقي تحسيناً لحاله، وإشارة لخلوه من كل شر، وتزيناً لأمره على رؤوس الأشهاد»(۱).

وقد وجه القول في وزن الله لأعمال الكفار وعدم وزنه لها بوجهين:

أحدهما: أن الكافر يحضر له ميزان، فيوضع كفره وسيئاته في إحدى

⁽١) التذكرة: ص: ٣١٥.

كفتيه، ثم يقال له: هل لك من طاعة تضعها في الكفة الأخرى؟ فلا يجدها، في في الكفة المسخولة، فذلك خفة في الكفة المسخولة، فذلك خفة ميزانه، وهذا ظاهر الآية، لأن الله تعالى وصف الميزان بالخفة، لا الموزون، وإذا كان فارغاً فهو خفيف.

والوجه الآخر: أن الكافر يكون منه صلة الأرحام، ومواساة الناس، وعتق المملوك، ونحوها مما لو كانت من المسلم لكانت قربة وطاعة، فمن كانت له مثل هذه الخيرات من الكفار فإنها تجمع وتوضع في ميزانه، غير أن الكفر إذا قابلها رجح بها، ولم يخل من أن يكون الجانب الذي فيه الخيرات من ميزانه خفيفاً، ولو لم يكن له إلا خير واحد أو حبة واحدة لأحضرت ووزنت كما ذكرنا"(1).

ويجزم بعض العلماء بالقول بعدم وزن الله تعالى أعمال الكفار، وإن الوزن خاص بالمؤمنين، ويستدلون على هذا بقوله تعالى:

١ _ ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنتُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣] .

٢ ﴿ مَثَلُ الَّذِيسَ كَفَرُوا بِرَبِهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادِ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِيسِحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفِ لاَ يَقْدرُونَ مَمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ (٦) [إبراهيم: ١٨].

٣ وقوله تعالى: ﴿ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزُنَّا ﴾ [الكهف: ٢٠٥].

وفي هذا يقول السفاريني:

«والحق أن الكفار لا يقيم الله لهم وزناً لقوله تعالى: ﴿ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمُ

التذكرة: ص:٣١٣.

⁽٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية ص: ١٢٥ لمحمد خليل هراس.

الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ .

وهذا غير مسلم عند من يقول بوزن الله تعالى أعمالهم، ويجيبون عن الآية الكريمة ﴿ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ . يجيبون عن الآية الكريمة بأن المراد منها: «أنه تعالى لا يقيم لهم وزناً نافعاً» كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنتُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]. أي كالهباء في عدم نفعه وحصول فائدته»(١).

ويقول محمد رشيد رضا: «لكن بعض العلماء يقولون إن الوزن للمؤمنين خاصة لأنه تعالى قال في الكفار ﴿ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ قال: وأجاب الآخرون بأن معناه: ما تقدم آنفاً في بحث الوزن في اللغة، من أنه لا يكون لهم قيمة ولا قدر.

واستدل المثبتون كذلك بقوله تعالى من سورة المؤمنين ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينَهُ فَأُولْنِكَ اللَّذِينَ خَسرُوا مَوَازِينَهُ فَأُولْنِكَ اللَّذِينَ خَسرُوا المُسْكِمُ فِي جَهنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٢) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيها كَالِحُونَ (١٠١٠) أَلَمْ تَكُن آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذَّبُونَ ﴾ (٢) [المؤمنون: ١٠٣-١٠٣].

وظاهر رأي شيخ الإسلام: القول بعدم وزن الله أعمال الكفار، وهذا في قوله: «وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنه لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم فتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها)(٣).

 ⁽١) لوامع الأنوار ٢/ ١٨٥.

⁽۲) تفسير المنار ۸/۲۲۰.

⁽٣) شرح العقيدة الواسطية ص: ١٢٥.

وقد استغرب محمد رشيد رضا قول شيخ الإسلام، واعتبره سهواً منه، سببه ما كان عالقاً في ذهنه من أقوال الذين يذهبون إلى عدم وزن أعمال الكفار، يقول:

"ومن المستغرب أن شيخ الإسلام ابن تيمية قال ـ بعد ذكر آيتي الموازين في الثقل والحقة من سورة المؤمنين ـ إن الكفار لا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، إذ لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم فتحصى، فيوقفون عليها، ويقررون بها، ويجزون بها، وهو سهو، سببه ـ والله أعلم ما كان علق بذهنه من هذا القول».

وقال ـ يرد عليه ـ: « وما من كافر إلا له حسنات ، ولكن الكفر يحبطها فتكون هباء منثوراً ، وهي تحصى مع السيئات ، وتضبط بالوزن الذي به يظهر مقدار الجزاء وتفاوتهم فيه ، واستدلوا على تخفيف العذاب عن الكافر بسبب عمله الصالح بما ورد في الصحيح من التخفيف عن أبي طالب «١١)

إلى آخر كلامه في الاحتجاج على وزن أعمال الكفار، وأن لهم حسنات يجازون بها في الآخرة، بالتخفيف عنهم، وعدم تساويهم في العذاب.

وقال الهراس مرجحاً عدم وزن أعمال الكفار .: "والصحيح أن أعمال الخير التي يعملها الكافر يجازى بها في الدنيا فقط، حتى إذا جاء يوم القيامة وجد صحيفة حسناته بيضاء، وقيل: يخفف بها عنه من عذاب غير الكفر "(۱).

ولعله يشير بهذا إلى ما جاء في السنة النبوية من أن الكافر يطعم

⁽١) تفسير للنار ٨/ ٣٢٠. ٢٢١.

⁽٢) شرح العقيدة الواسطية ص: ١٢٥.

بحسنات ما قدم في الدنيا، حتى إذا جاء يوم القيامة لم يجد له حسنة، كما جاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله عنه قال: وإن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطي بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنات يجزى بها، (۱) وقد جاء هذا الحديث في صحيح مسلم تحت الترجمة «باب: جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا».

قال النووي: «أجمع العلماء على أن الكافر الذي مات على كفره لا ثواب له في الآخرة، ولا يجازى فيها بشيء من عمله في الدنيا متقرباً إلى الله تعالى ، وصرح في هذا الحديث بأنه يطعم في الدنيا بما عمله من الحسنات، أي بما فعله متقرباً به إلى الله تعالى مما لا يفتقر صحته إلى النية، كصلة الرحم، والصدقة، والعتق، والضيافة، وتسهيل الخيرات، ونحوها».

وأما المؤمن فيدخر له حسناته وثواب أعماله إلى الآخرة، ويجزى بها مع ذلك أيضاً في الدنيا، ولا مانع من جزائه بها في الدنيا والآخرة، وقد ورد الشرع به فيجب اعتقاده، (٢).

«ومعنى قوله: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، معناه لا يترك مجازاته بشيء من حسناته (٢).

وقال محمد رضا معلقاً على هذا الحديث بأنه: «لا يمنع وزنها في الآخرة

⁽١) صحيح مسلم ٥/ ٦٧٣.

⁽٢) شرح النووي لمسلم ٥/ ٦٧٤.

⁽٣) نفس الصدر ونفس الصفحة.

وأن لا يكون لها مع الكفر والسيئات دخل في رجحان موازينهم» (١٠) .

وجاء أيضاً: أن رسول الله عَلَيْكُ سئل عن عبد الله بن جدعان، وقيل له: إنه كان يقري الضيف، ويصل الرحم، ويعين في النوائب، فهل ينفعه ذلك؟ فقال: ولا؛ لأنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين (٢).

وسأله عدي بن حاتم عن أبيه مثل ذلك ، فقال: «إن أباك طلب أمسراً فادركه» (٢٠) .

وقد أجاب القرطبي - عن جواب الرسول عَلَيْ لَعْدي بن حاتم ، وجوابه عن ابن جدعان بعدم انتفاعهما بعملهما الحسنات - بأن ذلك يطلق على التخفيف من العذاب ، وأنهما لا يدخلان الجنة ، لا أن الله لا يجازيهما بحسناتهما ، فقد قال الله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ نَ الْقُسْطُ لِيَوْمِ الْقَيَامَةِ فَلا بَحسناتهما ، فقد قال الله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينِ نَ نُفْسُ وَنَفْسَ ، فَخَيرات تَظُلَمُ نَفْسٌ شَيئًا ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. ولم يفصل بين نفس ونفس ، فخيرات الكافر توزن ويجزى بها ، إلا أن الله تعالى حرم عليه الجنة ، فجزاؤه أن يخفف عنه ، بدليل حديث أبي طالب ، فإنه قيل له : يا رسول الله ، إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ، فهل نفعه ذلك؟ فقال : «نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار .

وما قاله عليه السلام في ابن جدعان وحاتم، إنما هو في أنهما لا يدخلان الجنة ولا يتنعمان بشيء من نعيمها (١٤).

⁽١) تفسير المتار ٨/ ٣٢١.

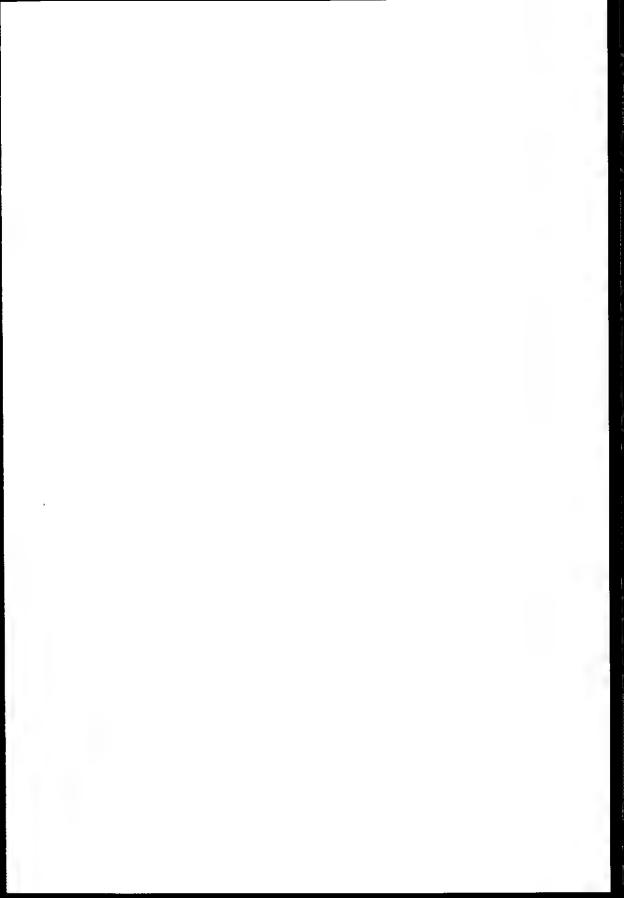
⁽٢) التذكرة ص: ٣١٣.

⁽٣) المصدر السابق.

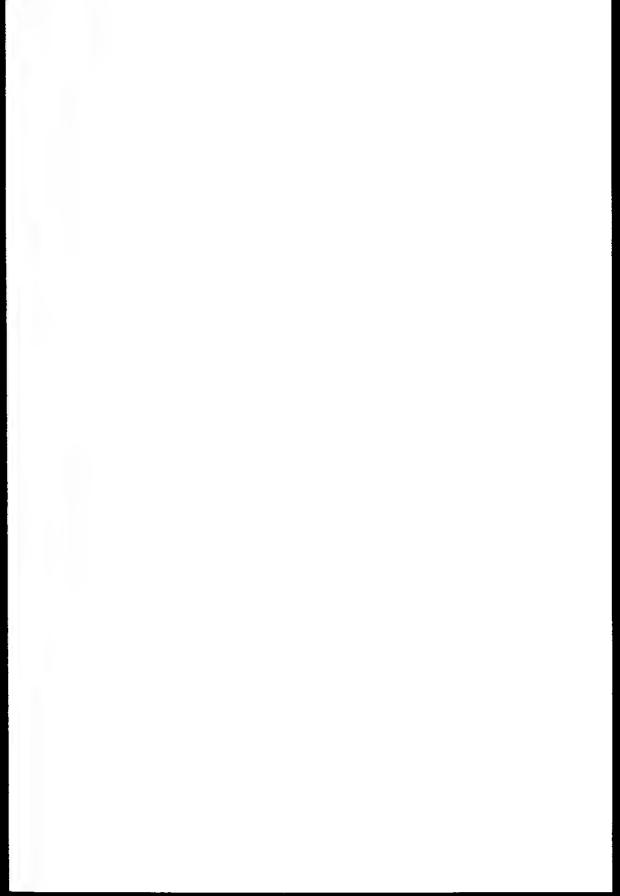
⁽٤) التذكرة ص: ٣١٣.

ولا يلزم من ذلك أن الله يخفف عن الكافر بحسناته في الدنيا حتماً فقد يجازيه الله بحسنات ما قدم في الدنيا، وهو الأغلب، للنصوص السابقة، وإذا لم يجازه في الدنيا، فالظاهر أنه يجزيه بها في الآخرة التخفيف عنه.

وأما الاستدلال بحديث أبي طالب على عموم الكفار؛ فإنه لا يدل على أن الكفار يخفف عنهم من عذابها، وإنما ذلك التخفيف خاص بأبي طالب وحده دون سائر الكفار، كما تفيده ظواهر النصوص وأقوال العلماء.







الفصل الحادي عشر كيفية الهزن

وقد اختلف العلماء في كيفية الوزن، أهو على ما عهد من موازين الدنيا، أم أن الأمر يختلف؟

والجواب: أن هذه المسألة مما وقع فيها الخلاف بين العلماء؛ فبعضهم يذهب إلى أنه مثل كيفية الوزن في الدنيا، وبعضهم يذهب إلى عكس ذلك.

وقد أشار القرطبي إلى أن الوزن في الآخرة كيفيته مثل كيفيته في الدنيا(١)، وهذا ما ذكره البرديسي أيضاً بقوله: «وكيفيته على ما عهد في الدنيا، ما ثقل نزل إلى أسفل ثم يرفع إلى عليين، وما خف طاش إلى أعلا ثم نزل إلى سجين».

ثم قال أيضاً: "وقيل بالعكس"(٢).

ويذكر كذلك أن علامة الرجحان أو عدمه: أن يقوم عمود يشير إلى النتيجة، فإذا رجحت الحسنات قام عمود من كفة النور حتى يكسو كفة الظلمة، وإذا رجحت السيئات قام عمود كفة الظلمة حتى يكسو كفة النور(٣)؛ أي ليس الوزن على ما عهد في الدنيا.

⁽١) التذكرة ص: ٣١٢.

⁽٢) تكملة شرح الصدور ص: ٢٩.

⁽٣) المصدر البابق.

وهل توزن أعمال العباد جميعهم في مرة واحدة، أم أن كل شخص توزن أعماله بمفرده؟

نقل البرديسي فيما يعزوه إلى ابن عمر أنه قال: صفة الوزن أن يجعل جميع أعمال العباد في الميزان في مرة واحدة، الحسنات في كفة النور والسيئات في كفة الظلمة، ويجعل الله لكل إنسان علماً ضرورياً يفهم به خفة أعماله وثقلها.

قال البرديسي: «وهو مخالف لكلام غيره من أن كل شخص توزن أعماله وحده، فتجعل حسناته في كفة، وسيئاته في كفة» (١).

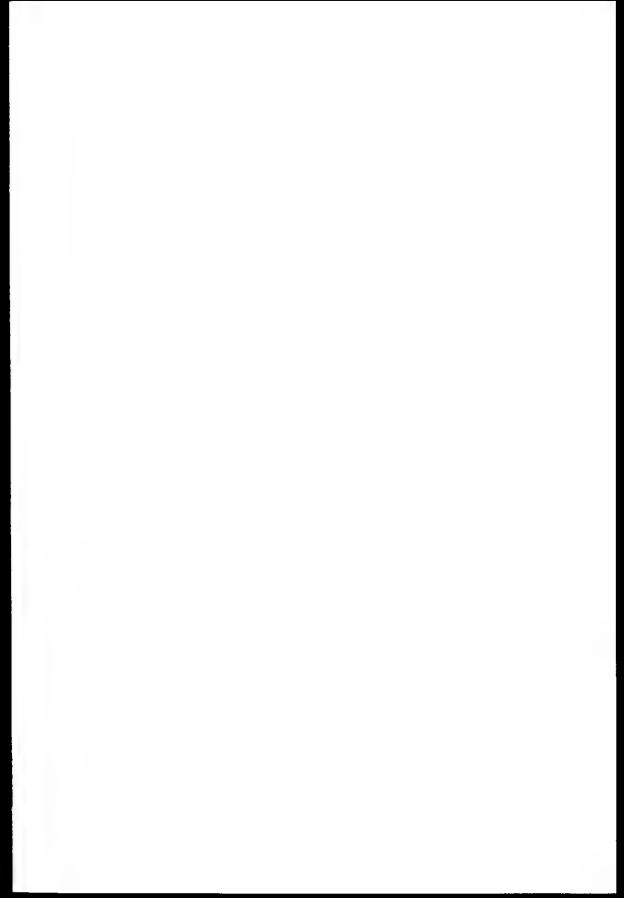
والواقع أن تلك التفاصيل كلها بما يحتاج لإثباته إلى نص؛ إذ لا يعلم كيفية الوزن إلا الله سبحانه وتعالى، والصحيح من ذلك هو ما أشار إليه جل وعلا من أن هناك موازين تتصف بالخفة والثقل حسب فعل العبد، وأما هل هي على ما عهدنا من صفة موازين الدنيا أو تختلف؟ فالله أعلم بذلك.

وأما ما نسبه البرديسي إلى ابن عمر، فالله أعلم بصحة ذلك عن ابن عمر، وهي كذلك مسألة تحتاج إلى نص يثبتها، فقد توزن أعمال العباد مرة واحدة، وقد يوزن عمل كل عبد بمفرده، وربما يكون القول الأخير هو الأرجح، كما تفيده ظواهر النصوص.

* * *

⁽١)، (٢) تكملة شرح الصدور ص: ٢٩.





الفصل الثاني عشر أهو ميزان واحد في يوم القيامة أم موازين متعددة؟

هذه المسألة من المسائل التي يجب أن نكل علم حقيقتها إلى الله تعالى، وقد ولأنه لم يثبت بها نص قاطع؛ فقد صارت مسألة خلافية بين العلماء، وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم الميزان بلفظ الجمع، فقال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمُوَازِينَ الْقُسْطُ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَت مُوَازِينَهُ ۞ فَهُو فِي عيشَة رَاضِية ۞ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينَهُ ۞ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ وقال تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينَهُ ۞ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ [القارعة: ٢-٩]، وقال تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينَهُ فَأُولُئكَ هُمُ الْمُفْلَحُونَ وَمَنْ خَفَتْ مَوَازِينَهُ فَأُولُئكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ إلله وَمَن خَفَتْ مَوَازِينَهُ فَأُولُئكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ إلله وَمَن خَفَتْ مَوَازِينَهُ فَاللهُ مَا الْمُفْلِحُونَ ﴾ . [المؤمنون: ٢٠٠١] إلى غير ذلك من الآيات.

وجاء في السنة بلفظ الإفراد والجمع.

١ - فمما جاء في السنة بلفظ الإفراد: ما تقدم في الصحيحين في مبحث
 الأدلة: الحديث الأول، والثاني، والثالث، وغير ذلك من الأحاديث التي
 أوردنا ذكرها.

٢ - ومما جاء بلفظ الجمع ما تقدم في حديث عبد الله بن عمرو بن
 العاص: «توضع المواذين. . . . إلى آخره».

ولهذا فقد اختلفت وجهات العلماء في ذلك، وحاصل الخلاف في هذه

المسألة يرجع إلى الأقوال الآتية:

القول الأول: يجوز أن يكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله.

القول الثاني: يمكن أن يكون ميزاناً واحداً عبر عنه بلفظ الجمع ، كما قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الشعراء: ١٢٣]، ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٥] ، وإنما هو رسول واحد.

القول الثالث: إن «المراد بالموازين: جمع موزون، أي الأعمال الموزونة، لا جمع ميزان»(١).

وهذا ما أشار إليه القرطبي، وقوله: إن الموازين جمع موزون، لا يستقيم مع سياق الآية، وما جاء بعدها من أوصاف، كما قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمُوَازِينَ الْقِسْطَ ﴾ فالقسط يأتى قطعاً للميزان لا للموزونات.

وقال السفاريني مبيناً عدد الموازين:

اختلف في الميزان هل هو واحد أو أكثر؟

فالأشهر أنه ميزان واحد لجميع الأم، ولجميع الأعمال، كفتاه كأطباق السموات والأرض، وقيل إنه لكل أمة ميزان.

وقال الحسن البصري: لكل واحد من المكلفين ميزان.

وقال بعضهم: الأظهر إثبات موازين يوم القيامة لا ميزان واحد؛ لقوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ﴾ وقوله: ﴿ فَمَن ثَقُلُتُ مَوَازِينَه ﴾ قال: وعلى هذا فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان، ولأفعال الجوارح

⁽١) التذكرة ص: ٣٢٠.

ميزان، ولما يتعلق بالقول ميزان.

قال السفاريني: «أورد هذا ابن عطية: وقال: «الناس على خلافه، وإنما لكل واحد وزن مختص به، والميزان واحد».

وقال بعضهم: « إنما جمع الموازين في الآية الكريمة لكثرة من توزن أعمالهم وهو حسن الله عليه .

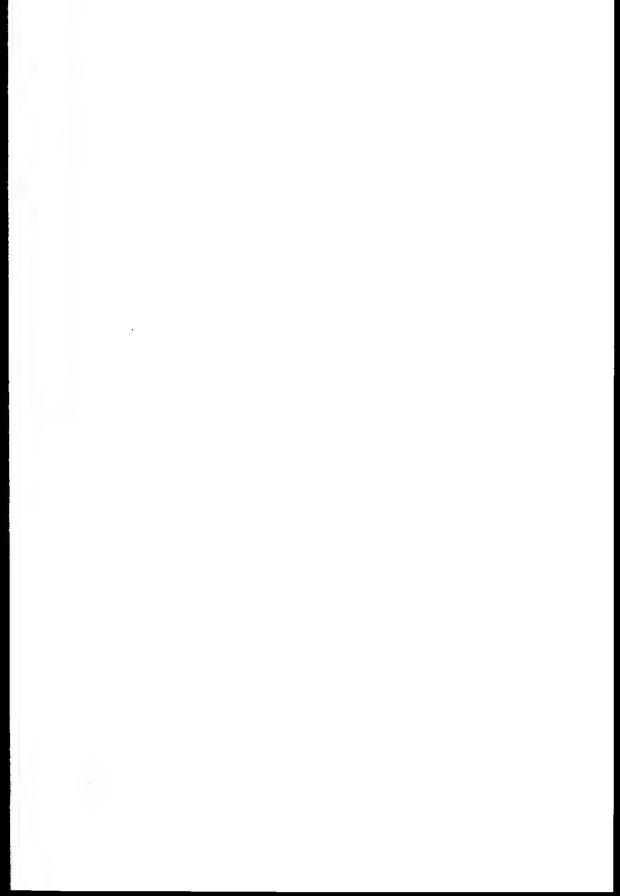
وقد رجع الحافظ ابن حجر: «أنه ميزان واحد، ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله؛ لأن أحوال يوم القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا»(٢).

وخلاصة ذلك: أن الميزان مرة جاء بلفظ الجمع، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم، ومرة جاء بلفظ الجمع أيضاً، وهو ما نطقت به السنة، ولعل الأرجح في ذلك أن يقال: إننا نشبت أن هناك موازين كما نطق به القرآن، ولم نكلف البحث عما وراء ذلك من الأمور.

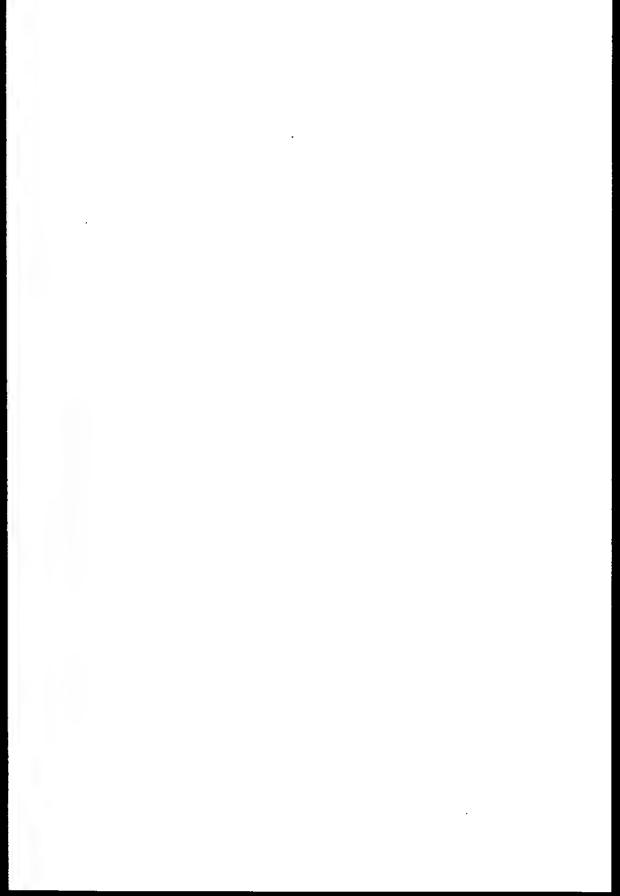
* * *

⁽١) لوامع الأنوار: ١٨٦/٢.

⁽٢) فتح الباري ١٣/ ٥٣٨.







الفصل الثالث عشر هل توزن أعمال الجن؟

تكلمنا فيما مضى عن أحكام الإنس في الآخرة، وذكرنا لكل موقف فصلاً خاصاً بهم، مثل وجوب الإيمان بالغيب، ثم حشر الخلق إلى الموقف، ثم الموقف، ثم ما يقع فيه من أمور مما ذكرناه مفصلاً.

ولما كان العالم الآخر ـ الذي يشاطر الناس في التكاليف وفي سكنى هذه الدار، ويشاطرهم سكنى الدار الآخرة أيضاً ـ هم الجن، ولما كنا قد فصلنا هذه المواضيع وجعلناها قاصرة على عالم الأنس، أردنا ـ استيفاء للموضوع وتكميلاً للبحث ـ أن نكمل هذه الدراسة بذكر ما يتعلق بالجن من أحكام الدار الآخرة.

وقبل البدء بذلك، نعرف الجن في اللغة وفي الاصطلاح:

المراد بالجن في اللغة:

الجن في اللغة له عدة معان تدور أكثرها حول الاستتار والاختفاء، وقد عرفهم الليث بقوله: «الجن جماعة ولد الجان، وجمعهم الجنّة».

والجان هو أبو الجن، خلق من نار، ثم خلق منه نسله، ويطلق الجان أيضاً على الحية البيضاء الكبيرة. ويقال لكل ما ستر: قد جنّ وقد أجنّ. (والجنين: الولد في الرحم، والجميع الأجنة).

وقال الله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ السَلْيُلُ رَأَىٰ كُو كَبًا ﴾ [الانعام: ٧٦]، «يقال جنّ عليه وأجنه الليل، إذا أظلم حتى يستره بظلمته»، «وسموا جناً لأنهم استجنوا من الناس فلا يرون، أو لأنها تتقي ولا ترى (١٠٠٠).

وقال الراغب: «أصل الجن: ستر الشيء عن الحاسة، يقال: جنه الليل وأجنه وجن عليه فجنه؛ ستره (٢).

تعريف الجن في الاصطلاح:

قال الراغب في تعريفهم وبيان الفرق بينهم وبين الملائكة :

«والجن يقال على وجهين:

أحدهما: للروحانيين المستترة عن الحواس كلها بإزاء الإنس؛ فعلى هذا تدخل فيه الملائكة والشياطين؛ فكل ملائكة جن، وليس كل جن ملائكة، وعلى هذا قال أبو صالح: الملائكة كلها جن.

وقيل: «بل الجن بعض الروحانيين، وذلك أن الروحانيين ثلاثة: أخيار، وهم الملائكة، وأشرار وهم الشياطين، وأوساط فيهم أخيار وأشرار، وهم الجن»(").

⁽۱) انظر: تهذيب اللغة للأزهري ٢١٢/١٠-٥ وانظر: المغرب في ترتيب المعرب ١٦٦/١ وانظر: القاموس المحيط ٢١٢/٤ والصحاح ٥/ ٢٩٣ وغير ذلك من كتب اللغة في مادة قجن».

⁽٢) المفردات ص: ٩٨.

⁽٣) المفردات ص: ٩٩.

ويدل لهذا قوله تعالى حاكياً عنهم قولهم: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشُدِ فَآمَنَا بِهِ وَلَـن نُشْرِكَ بِرَبَنَا أَحَدًا ﴾ [الجن: ٢٠١].

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ [الجن: ١١]. ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولْئِكَ تَحَرُّواْ رَشَدًا ﴾ [الجن: ١٤]

الأدلة على وجودهم :

الأدلة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه ﷺ على وجود الجن كثيرة جداً.

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن الإنس لا يشاهدونهم، مع وجودهم وكثرتهم، وقد استفاضت النصوص بذكرهم، وهم عالم وأم، لا يعلم بتفاصيل أحوالهم وأشكالهم إلا الله سبحانه وتعالى، ولهم قوة على التشكل والتخييل.

والغرض الآن هو إثبات وجودهم، واشتراكهم مع الأنس في جميع التكاليف الدنيوية، ثم بيان أحكامهم في الآخرة بالنسبة لما قدمنا من الأبواب.

١ ـ الأدلة على وجودهم من القرآن الكريم:

قال الله تعالى في بيان وجود الجن، وأصل خلقتهم، وأنها من النار:

﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ [الحجر: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [الرحمن: ١٥].

وقد بين الله سبب خلقه لهم، وجعله نفس السبب الذي خلق لأجله الإنس، فقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنْ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ لأجله الإنس، فقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنْ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]

وقال تعالى في شأنهم مع ربهم يوم القيامة، وأنهم يختلفون عن الإنس: ﴿ فَيَوْمَئِذِ لِا يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌ ﴾ [الرحمن: ٣٩].

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كُثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنس ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

﴿ وَتَمَّتُ كَلِمَهُ رَبِّكَ لأَمْلاَنَ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود: ١١٩]

﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ (١) [الصافات: ١٥٨].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي يخبر الله تعالى فيها عن الجن، ودورهم مع الأنس، وعن تكاليفهم، وحشرهم، وسؤالهم، وذكرهم مع الإنس في آيات الوعد والوعيد في سياق واحد، وما إلى ذلك مما يطول استقصاؤه.

⁽١) أي علمت الجن أن الذين ينسبون إلى الله البنات إنهم لمحضرون في العذاب يوم القيامة . انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٢٣.

فكل هذه الآيات على الله على أن الجن والأنس حكمهم حكم واحد، في الدنيا من ناحية التكاليف، وفي الخن والأنس حكمهم حكم واحد، في الدنيا من ناحية التكاليف، وفي الآخرة من ناحية الثواب والعقاب، وبعد ذكر تلك الآيات نذكر بعض الآحاديث الواردة في السنة بشأنهم.

٢ ـ الأدلة من السنة على وجود الجن وأصل خلقتهم ودخولهم في الثواب والعقاب مع الإنس:

وردت في السنة النبوية أحاديث كثيرة في شأن الجن، ونشير هنا إلى بعض ما جاء بشأنهم، ومن ذلك:

إخباره عليه الصلاة والسلام عن خلق الجن، كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله عنها : «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مماوصف لكم، (۱)

وأخبر عَلَيْ عن صعود الجن إلى السماء لاستراق السمع، بما جاء في حديث ابن عباس قال: «وكان الجن يصعدون إلى السماء يسمعون الوحي، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعاً، فأما الكلمة فتكون حقاً، وأما ما زاد فيكون باطلا، فلما بعث رسول الله عَلَيْ منعوا مقاعدهم، فذكروا ذلك لإبليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم إبليس: ما هذا إلا من أمر قد حدث في الأرض، فبعث جنوده، فوجدوا رسول الله عَلَيْ قائماً يصلي بين جبلين أراه قال: بمكة فأتوه فأخبروه، فقال: هذا الذي حدث في يصلي بين جبلين أراه قال: بمكة فأتوه فأخبروه، فقال: هذا الذي حدث في

⁽١) صحيح مسلم ٤/ ٢٢٩٤.

الأرض¹⁾.

وعن وفودهم عليه، وإسلامهم، وطعامهم، يقول عَلِيْ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أنه كان يحمل مع النبي عَلِي إداوة لوضوئه وحاجته، فبينما هو يتبعه بها فقال: «من هذا؟» فقال: أنا أبو هريرة، فقال: أبا أبو هريرة، فقال: أبا أبعني أحجار أستنفض^(۱) بها، ولا تأتني بعظم ولا بروثة (۱) »، فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي حتى وضعت إلى جنبه، ثم انصرفت، حتى إذا فرغ مشيت معه، فقلت: ما بال العظم والروثة؟ قال: « هما من طعام الجن، وأنه أتاني وفد جن نصيبين، ونعم الجن، فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم ألا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعماً (۱).

وقال عَلَيْكَ _ في قصة الرجل الذي قتل الحية ثم مات من وقته - : «إن بالمدينة جناً قد أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنما هو شيطان، (٥) .

ونكتفي بهذه الأحاديث الواردة في شأن الجن.

وقد تبين لمنا من عرض الأدلة السابقة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه عَلِي أنه لا شك ولا شبهة في وجود الجن وخلقهم، وأن الحكمة من

⁽١) أخرجه الترمذي في سنته ٥/ ٤٣٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

⁽٢) أستغض: أي أستنجي.

⁽٣) الروث: هو رجيع ذوات الحافر، النهاية لابن الأثير ٢/ ٢٧١.

⁽٤) أخرجه البخاري ٧/ ١٧١.

⁽٥) صحيح مسلم ١٧٥٦/٤.

خلقهم هي نفس الحكمة من خلق الإنس، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وإذا كان الله تعالى قد كلفهم بعبادته وتوحيده، فقد اتفقوا مع الإنس في جميع الأحكام الدنيوية والأخروية في باب الثواب والعقاب، وليس لمن ينكرهم أي مستند، لا من العقل، ولا من النقل.

وأما مجرد الاستبعاد لوجودهم لأننا لا نشاهدهم فليس بدليل؛ إذ كم من عوالم لا نشاهدهم لا يعلمهم إلا الله تعالى. وكم من أصوات في هذا الكون لا نسمعها، وقد تواترت الأدلة بوجودهم، وأطبق على القول بوجودهم كل عاقل، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن، ولا في أن الله أرسل محمداً عَلِيلِهُ اليهم، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن.

أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فهم مقرون بهم عاقرار المسلمين وإن وجد فيهم من ينكر ذلك، وكما يوجد في المسلمين من ينكر ذلك، وكما يوجد في المسلمين من ينكر ذلك، ذلك؛ كما يوجد في طوائف المسلمين كالجهمية والمعتزلة من ينكر ذلك، وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذلك، وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواتراً معلوماً بالاضطرار، ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة، بل مأمورون منهيون (١٠).

وقد عرفنا فيما مضي وجود الجن، وأصل نشأتهم، وأنهم من نار، كما

⁽۱) مجموع الفتاوي ۱۹/۱۹.

تقدم قول الرسول على في ذلك، وقد ذكرت تفاصيل كثيرة في كتب أهل العلم، مثل: «هواتف الجان للخرائطي»(۱) ، «وآكام المرجان في أحكام الجان»(٦) ، وكذا كتاب «عالم الجن والشياطين»(٦) ، وغيرها من الكتب، وفيها تفصيلات لا يتسع المقام لبسط ذكرها هنا؛ إذ الغرض هنا هو ذكر إثبات وجودهم، وأنهم مكلفون، وأن ما يجري في الدار الآخرة على الإنس يجري عليهم.

وبعد أن انتهينا من ذكر الأدلة على وجود الجن من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه عَلَيْ ومن أقوال أهل العلم، بقي أن نعرف أحكامهم بالنسبة لأمور يوم القيامة.

ومما يجدر بالذكر، أن النصوص قليلة جدًا فيما أعرف بالنسبة لما ذكر في الجن، من الوقوف في المحشر، والشفاعة فيهم أو منهم، وكذا محاسبتهم، ووزن أعمالهم، ومرورهم على الصراط، وشربهم من الحوض، وإيتاء صحفهم . . . إلخ ما ذكرنا من تفاصيل ذلك مع الإنس، ولعل ذلك ـ فيما أتصور ـ يرجع إلى أمرين:

١ ـ إما لأن تلك الأمور تشمل الجن والإنس، فاكتفي بذكر الإنس.

٢ ـ أو أن أمرهم في الآخرة يختلف عن أمر البشر في بعض الأمور ولم
 تبين التفاصيل الأخرى.

⁽١) أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل السامري الخرائطي.

⁽٢) لبدر الدين أبي عبد الله عمر بن عبد الله الشبلي الحنفي المتوفي سنة: ٧٦٩ هـ.

⁽٣) للدكتور/ عمر سليمان الأشقر.

وإذا كان الأمر كذلك فإن الوقوف والاكتفاء بالنصوص الواردة فيهم، وترك ما قيل من تفصيلات تحتاج إلى إثبات، هو الأولى، ويكون ذلك كافياً بالنسبة لأمر الجن وأحكامهم.

* * *

هل توزن أعمال الجن؟ وهل يحاسبون؟

أما بالنسبة لموضوعنا الذي نحن بصدده وهو: هل توزن أعمال الجن؟، فإننا قد رأينا مما تقدم من النصوص أنهم مكلفون، وأنه يقع عليهم الثواب والعقاب، ومعنى هذا أنهم يحاسبون شأنهم شأن البشر من بني آدم.

وقد أورد القرطبي سؤالاً قال فيه:

«فإن قيل: أخبر الله عن الناس أنهم محاسبون مجزيون، وأخبر أنه يملاً جهنم من الجنة والناس أجمعين، ولم يخبر عن ثواب الجن ولا عن حسابهم بشيء فما القول في ذلك عندكم؟ وهل توزن أعمالهم؟»

وقبل ذكر إجابته، فإن مما يرد على من قال بعدم وزن أعمالهم وحسابهم بحجة أن الله لم يخبر عن ثوابهم وحسابهم، أن الله تعالى قد أخبر عن ثوابهم وعن حسابهم وسؤاله لهم في آيات كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَ يُسْأَلُ عَن ذَنْبه إنسٌ وَلا جَانٌ ﴾ [الرحمن: ٣٩].

وقد بينا المقصود من هذا النفي فيما مضى من باب الحساب، كذلك فإن مما يستدل به على ثوابهم وعقابهم ووزن أعمالهم وحسابهم، دخولهم في عموم إخبار الله تعالى عنهم في وعده ووعيده.

وأما إجابة القرطبي في إثبات ثواب الجن ووزن أعمالهم وحسابهم فهو أن الله تعالى لما قال: ﴿ إِنَّ الله عِنْ آمَنُوا وَعَمِلُوا السَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِهِمْ أُولَٰتِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [هود: ٢٧].

دخل في الجملة الجن والإنس، فثبت للجن من وعد الجنة بعموم الآية ما ثبت للإنس، وقال: ﴿ أُولْنَكَ اللَّذِيسِنَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمِ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِن الَّجِنِ وَالإنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِيسِنَ ﴾ [الأحقاف: ١٨]، ثم قال: ﴿ ولكُل درجات مما عملوا ﴾ [الأنعام: ١٣]، وإنما أراد: (لكل من الجن والإنس) فقد ذُكروا في الوعد والوعيد مع الإنس.

وأخبر تعالى أن الجن يسألون فقال خبراً عما يقال لهم : ﴿ يَا مَعْشَرَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنسَذِرُونَكُمْ لِقَاءَ اللَّجِنِّ وَالإنسِ أَلَمْ يَأْتَكُمْ رُسُلٌ مِنسَكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنسَذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

وهذا سؤال، وإذا ثبت بعض السؤال ثبت كله»، ثم ذكر بعض الآيات التي سبق أن ذكرنا الاستدلال بها، ثم قال: «ولما جعل رسول الله عَنَالَ وادهم كل عظم، وعلف دوابهم كل روث، فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم الجان، فجعلهم إخواننا، وإذا كان كذلك فحكمهم كحكمنا في الآخرة سواء، والله أعلم (()).

على أنه ما زال الأمر مفتقراً إلى دليل صريح في وزن أعمالهم كما توزن أعمال البشر

华 华 华

⁽١) التذكرة ص: ٣٨١.

إثبات ثواب الجن وعقابهم

وقد ذكر الله تعالى في آيات كثيرة أن الجن يجري عليهم العقاب كما يجري على الإنس، فقد قال تعالى في شأن توبيخه لهم وعن تعذيبهم هم والإنس. ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتَكُمْ رُسُلٌ مّنكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ آياتي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسنَا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

وفي هذه الآية التصريح بأنهم قد جاءتهم الرسول كما جاءت الإنس، وأنذرتهم أمر الآخرة، وقد اعترفوا بهذا في مقابل تهديد الله وتوبيخه لهم، فمن سعد منهم دخل الجنة ومن شقى منهم دخل النار.

قال تعالى: ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَم قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِنَ الْجِنِ وَالإِنسِ فِي النَّارِ ﴾ [الأعراف: ٣٨] ، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيسَرًا مِنَ الْجَنِ وَالنَّارِ ﴾ [الأعراف: ٣٨] ، وقال تعالى: ﴿ لأَمْلاَنَ جَهَنَم مِنَ وَالإِنسِ ﴾ الخ الآية الكريمة [الأعرف: ١٧٩] ، وقال تعالى: ﴿ لأَمْلاَنَ جَهَنَم مِن الْجِنّةِ وَالسنّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة: ٣١] ، وقال تعالى في خطابه للإنس والجن : ﴿ وَلَمَسنُ خَسافَ مَقَسامَ رَبّهِ جَنّتَانِ آلَ فَيأَي آلاء رَبّكُمَا تُكذّبانِ ﴾ [الرحمن: ٤١-٤٤].

وقد اختلف العلماء في ثواب الجن على أعمالهم، ألهم ثواب؟ أم ليس لهم ثواب إلا مجرد النجاة من النار؟ على قولين:

فقيل: لا ثواب لهم إلا النجاة من النار، ثم يقال لهم: كونوا تراباً مثل

البهائم، وهو قول أبي حنيفة وحكاه ابن حزم وغيره عنه.

وساق ابن أبي الدنيا بسنده إلى ليث بن أبي سليم أنه قال: «ثواب الجن آن يجاروا من النار ثم يقال لهم: كونوا تراباً».

وساق أبو محفص بن شاهين بسنده إلى أبي الزناد قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، قال الله تعالى لمؤمني الجن وسائر الأم: كونوا تراباً، فحينئذ يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً».

والقول الثاني: أنهم يثابون على الطاعة ويعاقبون على المعصية، وهو قبول ابن أبي ليلى ، ومالك، وذكر ذلك مذهبا للأوزاعي وأبي يوسف ومحمد، ونقل عن الشافعي وأحمد بن حنبل، فقال: نعم، لهم ثواب وعليهم عقاب، وهو قول أصحابهما وأصحاب مالك.

وسئل ابن عباس: هل لهم ثواب وعليهم عقاب؟ فقال: «نعم، لهم ثواب وعليهم عقاب»: وساق ابن شاهين بسنده إلى ضمرة بن حبيب بن صهيب الزبيدي: هل للجن ثواب؟ فقال: نعم، قال أرطأة ـ أحد الرواة ـ: ثم نزع - احتج - ضمرة بهذه الآية ﴿ لَمَ يَطْمِثْهُنَّ إِنَسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌ ﴾ [الرحمن: ٥٦]

وذكر ابن أبي ليلى أن دليل ثواب الجن قوله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٌ مِّمًّا عَمِلُوا ﴾ [الأنعام: ١٣٢] وهو ما قاله أيضاً محمد بن رمضان الزيات من علماء المالكية.

وقال حرملة: سئل ابن وهب وأنا أسمع، هل للجن ثواب وعقاب؟ قال ابن وهب: قال الله تعالى: ﴿ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمِ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلهم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ [نصلت: ٢٥].

وذكر ابن رشد عن ابن القاسم أنه قال: «للجن الثواب والعقاب، وتلا قول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۞ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لَجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن: ١٤، ١٥].

وقال مغيث بن سمي: «ما خلق الله تعالى من شيء إلا وهو يسمع زفير جهنم غدوة وعشية، إلا الثقلين الذين عليهم الحساب والعقاب»(١).

وقال البرديسي: «قال الماوردي: اتفق العلماء على أن الجن يعذبون في الآخرة على المعاصي، قال تعالى: ﴿ لاَ مُسلاَنَ جَهنّه مِنَ الْجنة وَالنّاسِ الْجَمْعِينَ ﴾ واختلف في مؤمنهم ومطيعهم، هل يدخل الجنة وينعم فيها مجازاة له على طاعته؟ أم لا يدخلونها بل يكون ثوابهم النجاة من النار، ثم يقال لهم: كونوا تراباً كالبهائم؟ ذهب إلى ذلك جماعة، والصحيح أنهم يدخلونها ويتنعمون فيها بالأكل والشرب وغيرهما، وهو قول الحسن والضحاك ومالك بن أنس وابن أبي ليلى وغيرهم، خلافاً لبعض الحنفية كما تقدم»(٢).

* * *

وقوفهم في المحشر

وإذا كنا قد أثبتنا وقوف البشر في المحشر فإن الجن يقفون أيضاً مع الإنس وقد تقدم في أحاديث نزول الله تعالى لفصل القضاء: أن الملائكة تحيط

⁽١) بتصرف من كتاب آكام المرجان ص: ٥٥-٥٦.

⁽٢) تكملة شرح الصدور ص: ٤٨-٤٨.

بمن في الموقف من الجن والإنس وسائر ما خلق الله دائرة.

لكنني لم أجد أنهم يأتون إلى الأنبياء ويطلبون الشفاعة إلى الله تعالى كما فعلته الإنس، أو أنهم يأتون إلى الموقف بالهيئات والحالات التي يأتي بها البشر.

على أنه لا يمنع ذلك من حصول هذه الأمور، فربما تكون ثابتة فيهم ولكن لم يذكروا، استغناءً بذكر حال الإنس.

* * *

شمادتمم يوم القيامة

وجاء في الحديث: أنهم يكونون من الشهود يوم القيامة، وقد ورد من حديث ابن أبي صعصعة أن أبا سعيد قال له: « إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في باديتك أو غنمك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس إلا شهد له يوم القيامة»، قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله تَلِيدًا "(1).

* * *

هل الجن يبرون الله في الدار الآخرة؟

اختلف العلماء في وقوع رؤية الجن لربهم، فذهب بعضهم إلى أن الجن لا يرون الله تعالى وأن الرؤية مخصوصة بالإنس، وذهب بعضهم إلى أن الجن يرون ربهم.

⁽١) صحيح البخاري ٢/ ٨٧ والموطأص: ٧٦.

ومن الذين منعوا رؤيتهم: ابن عبد السلام.

ومن الذين قالوا برؤيتهم: القاضي جلال الدين البلقيني، وابن العماد والشيخ سراج الدين البلقيني، فيما يذكره عنهم الشبلي^(۱).

وقد وردت النصوص صريحة في رؤية المؤمنين من البشر له عز وجل، أما رؤية الجن له فلم أستطع معرفة دليله.

* * *

هل يدخل كفار الجن النار ومؤمنهم الجنة؟

أما دخول كفارهم النار فهذا أمر متفق عليه، كما ذكر الشبلي، واستدل هؤلاء الذين قالوا بعذابهم بقول الله تعالى ﴿ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَّبًا ﴾ [الجن: ١٥].

وأما دخول المؤمن منهم الجنة، فهي مسألة خلافية بين العلماء، ويمكن حصر ذلك الخلاف في الأمور الآتية:

١ ـ أنهم يدخلون الجنة؛ وعليه جمهور العلماء.

٢- أنهم لا يدخلونها؛ بل يكونون في ربضها؛ يراهم الإنس من حيث لا يرونهم، وهذا القول مأثور عن مالك والشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد.

٣- أنهم على الأعراف.

٤ - الوقف^(۱) ، أي فلا يحكم لهم بجنة و لا نار .

⁽١) آكام المرجان ص: ٦١،٦٠.

⁽٢) آكام الرجان ص: ٥٧.

وقد قدمنا ثبوت أن عليهم مثل ما على الإنس من الثواب والعقاب.

* * *

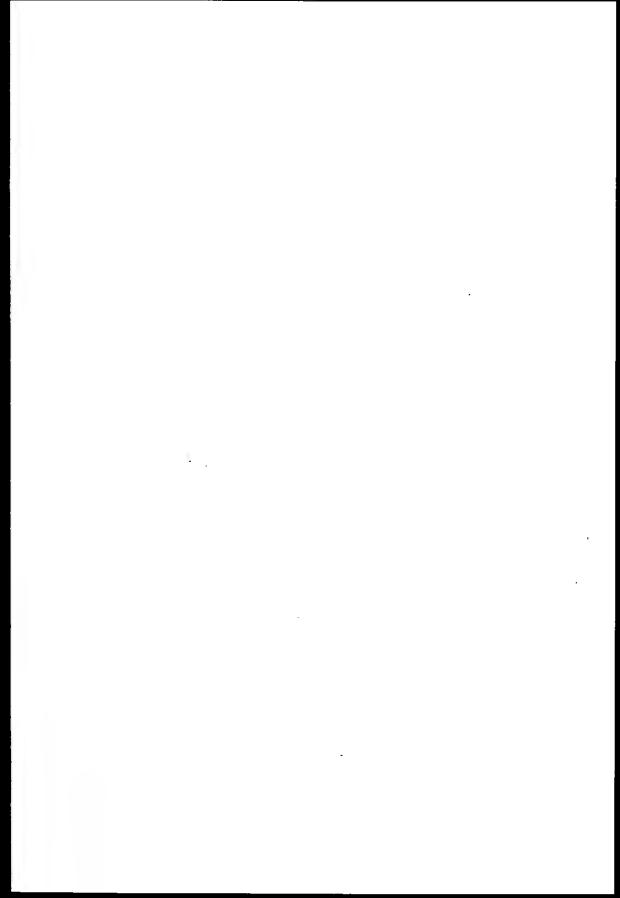
مَل تَشَارِكَ الْجَن الْإِنْسَ فَي أَخَذُ الصَّحَفُ بِالْيَـَمِينَ أَوَ الشَّمَالَ؟

ومَل يشربون من الحوض؟ ومَل يجتازون الصراط؟ ومَل يقفون على القنطرة؟

لم يتيسر لي الاطلاع على نص يثبت هذه الأمور أو ينفيها، على أنه لا يمنع في ما أرى و أن يكون منهم من يشرب من الحوض ومنهم من يذاد عنه خصوصاً وأنهم مكلفون مثل الإنس، ونبيهم ونبي الإنس واحد وهو محمد على الأذا كان الله قد أكرم نبيه محمداً على بهذه الفضيلة له ولأتباعه عموماً، فإن الجن حينئذ يدخلون في هذا التكريم ومن آمن منهم واستقام، شأنهم شأن الإنس في الشرب والمنع، وكذلك المرور على الصراط والوقوف بالقنطرة وإعطاء الكتاب باليمين أو الشمال، كل هذه الأمور غير مستبعد مشاركتهم الإنس فيها.

والله أعلم بذلك.

* * *



البابالعاشر

الصراط

ويشتمل على الفصول الآتية:

تمهيد

الفصل الأول: تعريف الصراط:

١_ في اللغة.

٢_في الأصطلاح.

الفصل الثاني: الأدلة على إثبات الصراط:

١_ من القرآن الكريم.

٢ ـ من السنة النبوية.

الفصل الثالث: وصف الصراط والمرور عليه.

الفصل الرابع: متى يتم المرور على الصراط

الفصل الخامس: الدكهة في نصب الصراط.

الفصل السادس: مسافة الصراط.

الفصل السابع: الهنكرون للصراط.

الفصل الثامن: هل يهر جهيبع الخلق على الصراط.

الفصل التاسع: أول من يجوز الصراط.

الفصل العاشر: شعار الهو منين على الصراط.

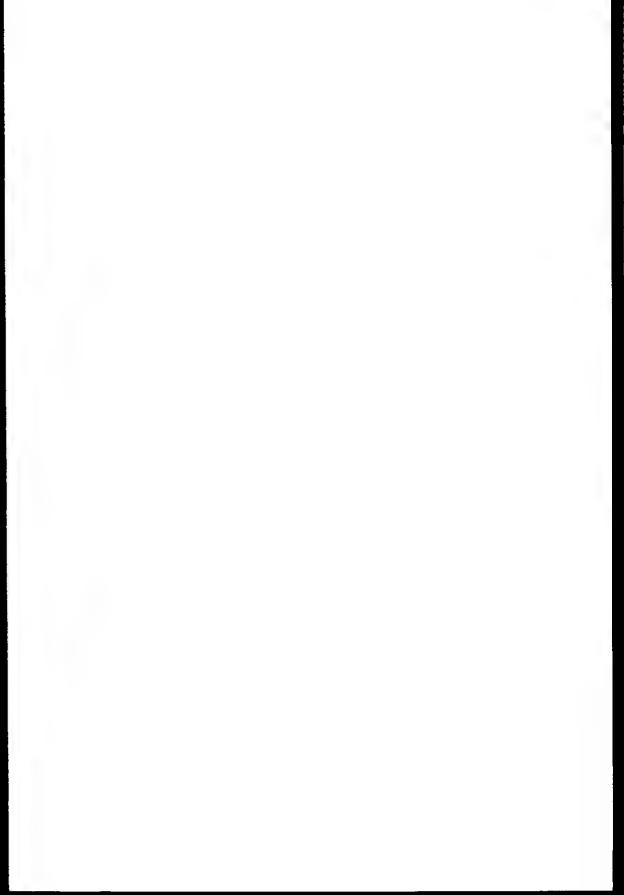
الفصل الحادي عشر: الأعمال الموجبة للجواز على الصراط.

الفصل الثاني عشر: عل الصراط قد خلق أم سيخلق في

يوم القيامة؟.

الفصل الثالث عشر: هل يبقى الصراط إلى خروج عصاة

الموحدين من النار أم لا؟.



البابالعاشر الصاط (()

زمغيد:

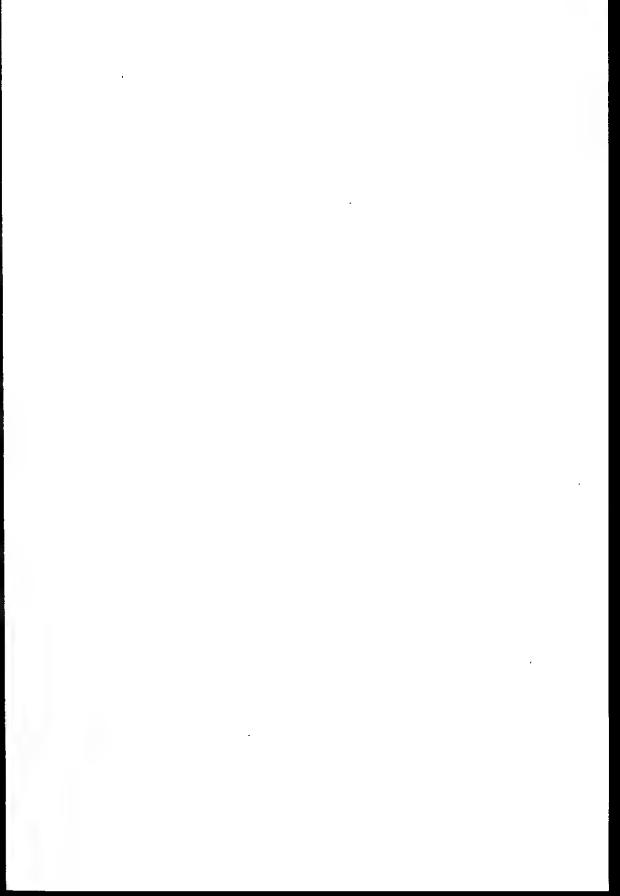
هذه المسألة كغيرها من المسائل الغيبية التي يجب الإيمان بها؛ لثبوتها بالقرآن الكريم والسنة النبوية، واعتقاد ما أثبتته النصوص فيها هو الحق دون اللجوء إلى التأويلات في النصوص التي أثبتتها، لاستبعادها في عقول بعض الناس؛ بل نؤمن بها كما جاءت في الشرع من غير تأويل، مجتنبين ما صار عليه أهل البدع من المعتزلة، وغيرهم بمن نفاها بالكلية، أو أولها بالتأويلات البعيدة عن الصواب، كما سيأتي.

فإن هذا ليس من الإيمان بها، ولا من التسليم لما جاء به الحق فيها، ولا هو بالأمر الذي صار عليه عامة السلف، كما سنفصل الكلام في ذلك بعرض الأدلة وأقوال أهل العلم.

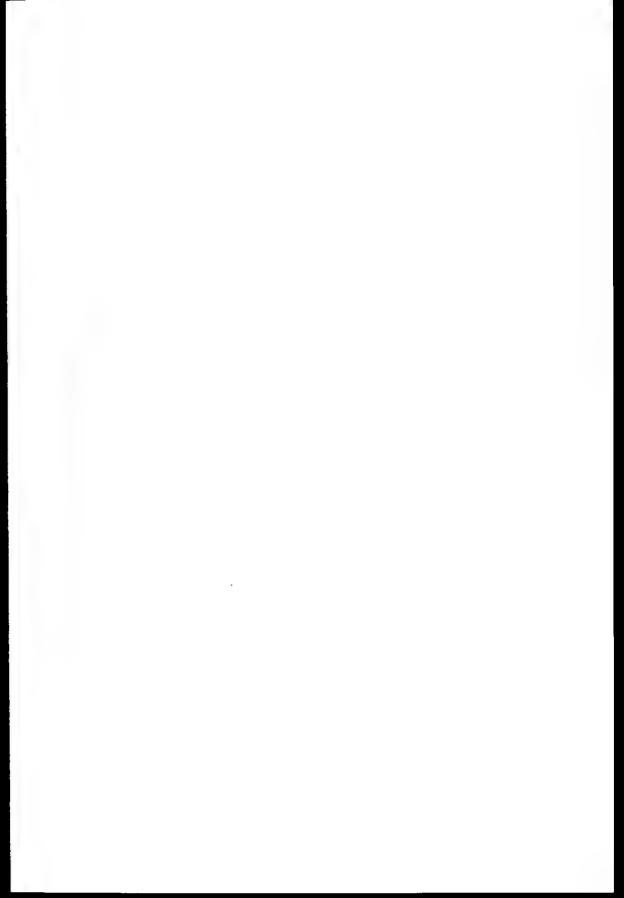
وقبل البحث في تفاصيل ما قيل عن الصراط نعرفه أولاً في اللغة وفي الاصطلاح.

* * *

⁽١) بعضهم يسميه الصراط، وبعضهم يسميه جسر جهنم، وكلا الاسمين بمعنى واحد.







الفصل الأول تعريف الصراط

١ ـ تعريف الصراط في اللغة:

الصراط في اللغة بكسر الصاد: الطريق الواضح المستقيم، وهو يستعمل بلفظ الصاد أو السين أو الزاي.

والسراط في الأصل: هو البلع، ومنه سمي صراطاً لأنه يسترط المارة فيه لكثرة سلوكهم به، أي يبتلعهم.

قال الأزهري فيما نقله عن بعض العلماء في تعليل تسمية الطريق الواضح صراطاً -: «إنما قيل الطريق الواضح سراطاً لأنه كان يسترط المارة»(١)

وقال الجوهري: «سرطت الشيء بالكسر أسرطه سرطاً بلعته، واسترطه ابتلعه» (۲).

وقال الفيروز آبادي: «الصراط بالكسر: الطريق»(٣).

وقال الراغب: «الصراط: الطريق المستقيم، قال: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِراطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ويقال له: سراط»(٤).

⁽١) تهذيب اللغة جـ ١٢ ص ٣٣٠.

⁽٢) الصحاح جـ٣ ص ١٣٠.

⁽٣) القاموس المحيط جـ ٢ ص ٣٨٤.

⁽٤) المفردات ص ٢٨٠، وانظر: نرهة الأعين النواظر ص٣٨٤، وأنظر اللآلي البهية ص ٧١.

وقال عن إطلاقه بالسين: «السراط: الطريق المستسهل، أصله من سرطت الطعام وزردته: ابتلعته، فقيل سراط تصوراً أنه يبتلعه سالكاً، أو يبتلع سالكه، . . وكذا سمي الطريق اللقم والملتقم اعتباراً بأن سالكه يلتقمه الله الله المناطقة المناطقة

وقال الوزاني: «الصراط: بالصاد، أو السين، أو الزاي المحضة، ومعناه لغة: الطريق الواضح، مأخوذ من صرطه يصرطه إذا ابتلعه؛ لأنه يبتلع المارة»(٢).

وقد ذكر الله تعالى لفظة الصراط في القرآن الكريم في تسعة وأربعين موضعاً، على معان مختلفة لكنها متقاربة في المعنى.

ونقل ابن جرير: أن الأمة أجمعت على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وأن هذا الاستعمال كذلك في جميع لغة العرب⁽⁷⁾، وذكر أن الشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى.

وهذا الإجماع الذي ذكره ابن جرير في معنى الصراط هو أحد المعاني الواردة في معنى الصراط، أما معانيه الأخرى فمنها:

١ - بيان طريق الهداية والإرشاد، وهذا رأى ابن عباس.

٢ ـ القرأن الكريم ؛ هذا رأي علي بن أبي طالب.

٣- الإسلام، وهذا رأي جابر بن عبد الله، ورواية أخرى عن ابن عباس، ورأي ابن مسعود، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ونواس بن سمعان

⁽١) المفردات ص ٢٣٠.

⁽٢) النشر الطيب جـ ٢ ص ٣٧٩.

⁽٣) جامع البيان جـ ١ ص ٧٢ ـ ٧٥.

الأنصاري.

٤ ـ دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره، هذا رأي ابن الحنفية (١) .

وهناك أقوال أخرى في معنى الصراط ذكرها أهل العلم من علماء التفسير وغيرهم.

والواقع أن هذه الأقوال ليست متباينة ، فإن لفظة الصراط تصدق عليها جميعاً ؛ لأنها ترجع إلى شيء واحد وهو المتابعة لله وللرسول عَلَيْكُ ، كما ذكر ابن كثير (٢).

ومن الواضح أن السلف وإن كانوا يفسرون الصراط بمعناه اللغوي ـ من أنه الطريق أو طريق الهداية والرشاد ـ فإنهم ما كانوا يغفلون حقيقته الشرعية .

٢ ـ تعريفه في الاصطلاح:

يراد به هنا: ما ثبت في السنة النبوية أنه جسر ممدود على متن جهنم، أرق من الشعرة وأحد من السيف، يعبره الخلائق بقدر أعمالهم.

وقد بوب البخاري لإثباته في الشرع بقوله: «باب: الصراط جسر جهنم»، وقال ابن حجر: «أي الجسر المنصوب على جهنم، لعبور المسلمين عليه إلى الجنة»(٣).

ويقول النووي في تعريفه له: «وهو جسر على متن جهنم يمر عليه الناس

⁽١) جامع البيان جـ ١ ص ٧٥.

⁽۲) تفسير القرآن العظيم جـ ١ ص ٢٧.

⁽٣) فتح الباري جـ ١١ ص ٤٠٦.

كلهم، فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم - أي منازلهم - والآخرون يسقطون فيها (١) .

وقال السفاريني: «والحق أن الصراط وردت به الأخبار الصحيحة وهو محمول على ظاهره بغير تأويل، كما ثبت في الصحيحين، والمسانيد والسنن والصحاح عما لا يحصى إلا بكلفة، من أنه جسر مضروب على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق»(").

وقال البرديسي: «وهو جسر ممدود على متن جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف، يجوزه العباد بقدر أعمالهم»(٣).

وقال المرداوي في تعريفه شرعاً «وفي الشرع: جسر ممدود على جهنم، فيرده الأولون والآخرون»(٤).

وقد اتفق جمهور العلماء على تعريف الصراط بأنه: جسر ممدود على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق.

وما تقدم من تعريف الصراط بأنه جسر ممدود على متن جهنم هو التعريف الواضح المفهوم، لكن هناك من يعرف الصراط بأنه: «الجسر الذي بين الجنة والناز يمر الناس عليه على قدر أعمالهم»(٥)، أو أنه: «قنطرة جهنم بين الجنة والنار»(١).

⁽١) شرح النووي لمسلم جـ ١ ص ٤٣٠ .

⁽٢) لوامع الأنوار جـ ٣ ص ١٩٢.

⁽٣) تكملة شرح الصدور ص ٣٠.

⁽٤) اللآلىء البهية ص ٧١.

⁽٥) أنظر: شرح الإبانة ص ٩٦.

 ⁽٦) هذا التعريف للمرداوي في اللآلئ البهية ص ٧١، وهو ما ذكره أيضاً الشيخ/ عبد العزيز
 المحمد السلمان في الأسئلة والأجوبة الأصولية ص ٢٢٥.

وقد مشى على هذا التعريف بعض العلماء، وفي هذا التعريف إشكال يبدو في قولهم: «بين الجنة والنار»، فإن المفهوم من الأحاديث أن الصراط منصوب على متن جهنم، وتكون جهنم تحته، ولهذا يسقط فيه من يسقط في أثناء عبورهم إلى الجنة.

فإذا كان الصراط بين الجنة والنار، فكيف يتصور سقوط من يسقط فيه، أو خطف الكلاليب له في أثناء سيره إلى الجنة وقد تجاوز النار؟ فتعريفه بأنه بين الجنة والنار تعريف مشكل، إلا أن يراد به أنه يبتدئ من أول النار ويستمر عليها إلى أن يصل إلى الجنة، مع أنه في الحقيقة إنما وضع لاجتياز الناس فوق النار.

وقد ثبت أن المؤمنين إذا نجوا من الصراط أوقفوا على قنطرة؛ ليقتصوا مظالم كانت بينهم، وليهذبوا وينقوا، وهذه القنطرة غير الصراط، وإن كان فيها خلاف سنذكره إن شاء الله عند بحث القنطرة، ولعل هذا التعريف ينطبق على هذه القنطرة عند من يسميها صراطًا آخر.

ولكن الصراط إذا أطلق في الشرع، فإنه يراد به الجسر المنصوب على متن جهنم يعبره البشر الى الجنة.

ومن أول معناه، وقال أن المراد به: الأدلة الواضحة ـ كما قال بعض المعتزلة وغيرهم، كما سيأتي بيانه ـ لاشك أنه أبعد النجعة عن الحقيقة، وعرفه بغير تعريفه الشرعي، وتأول تأويلاً بعيداً، وقصر حقيقته الشرعية على الحقيقة اللغوية، والأحاديث التي صرحت بأوصافه ـ كما سيأتي ذكرها ـ من

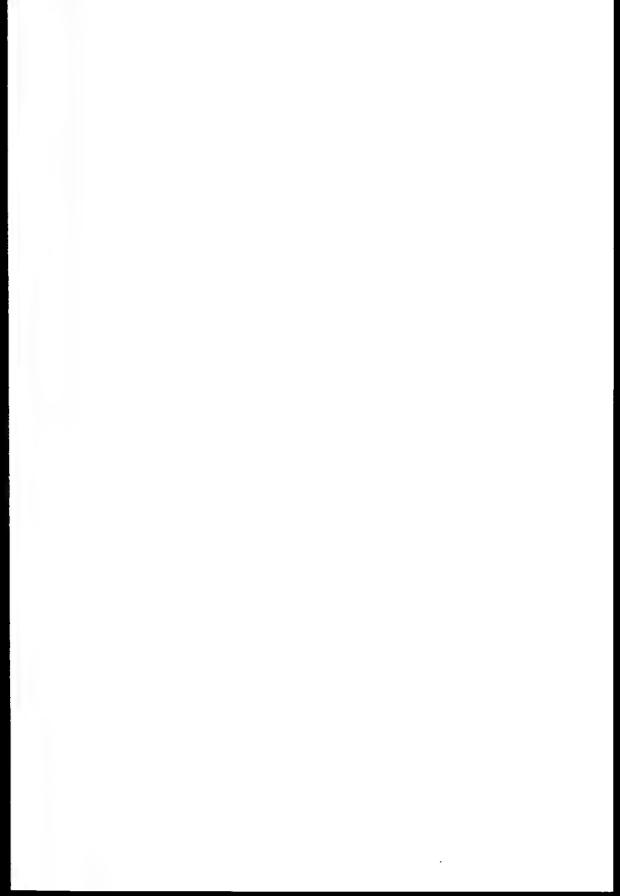
أنه دحض مزلة، وفيه خطاطيف وكلاليب تأبي هذا التعريف وترده.

وقد اتضح مما سبق أن الصراط في اللغة هو: الطريق، وأما في الشرع فهو: جسر على متن جهنم؛ جسر حقيقي يعبره البشر إلى الجنة.

وبعد أن ذكرنا تعريفه لغة واصطلاحاً، نبين فيما يلي أدلة إثباته.

* * *





الفصل الثاني الأدلة على إثبات الصراط

1_ من القرآن الكريم:

ثبت الصراط في السنة النبوية بلفظه الصريح كما سنعرض بعض الأحاديث المثبتة لذلك.

أما من القرآن الكريم فإنه لم يأت التصريح به كما جاء في السنة، غير أن هناك آيات بعض العلماء جعلها صريحة في ذكر الصراط، وبعضهم يجعلها إشارة إليه، ويحمل ما ورد في القرآن الكريم من ذكر الصراط على ما يراد به من معناه اللغوي، ومن تلك الآيات قول الله تعالى: ﴿ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِراطِ الْجَحيم ﴾ [الصافات: ٢٣].

قال الطبري في معناها: «أي احشروا هؤلاء المشركين وآلهتهم التي كانوا بعبدونها من دون الله فوجهوهم إلى طريق الجحيم»(١).

وهذه الآية ليست فيها التصريح التام بذكر الصراط في اصطلاح الشرع، إلا أن يقال: إن طريق الجحيم هو أخذهم إلى الصراط، ومنه إلى النار.

وقال الخازن: ﴿ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ ، قال ابن عباس: أي

⁽١) جامع البيان جـ ٢٣ ص ٤٧ تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ٤ .

دلوهم إلى طريق الجحيم، ﴿ وَقِفُوهُمْ ﴾ أي احبسوهم، ﴿ إِنَّهُم مَّسْتُولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤] لما سيقوا إلى النار، حبسوا عند الصراط للسؤال (١٠٠٠).

وهذا ما أشار إليه صاحب النشر الطيب، وذكر أن «الآية في دلالتها على الصراط الأخروي احتمال وليس بصريح، (٢٠) .

وعن السر في التعبير بلفظة الصراط دون غيرها من الكلمات التي تؤدي هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾، قال الرازي عن ذلك: «وإنما قال الصراط ولم يقل السبيل ولا الطريق وإن كان الكل واحداً وليكون لفظ الصراط مذكراً بصراط جهنم؛ فيكون الإنسان على مزيد خوف. وخشية (٢٠).

ويذكر الوزاني أن أبا الحسن استدل عليه بقوله تعالى: ﴿ فَلا اقْتَحُمَ الْعَقَبَةَ ﴾ [البلد: ١١]، بأن العقبة هنا: هي الصراط، وهو ما قال به مجاهد والضحاك(1).

وفي تفسير العقبة أقوال كثيرة، منها هذا القول (أي تفسير العقبة بأنها الصراط الذي يضرب على جهنم كحد السيف). وهو ما ذكره أيضاً الشوكاني ونسبه إلى مجاهد والضحاك والكلبي (٥).

وهذا احتمال أيضاً كما قال صاحب النشر الطيب(١) وليس بصريح في

⁽١) تفسير الحازن جدة ص ١٦.

⁽٢) النشر الطيب جـ ٢ ص ٣٨٠.

⁽٣) التفسير الكبير جـ ١ ص ٢٥٧.

⁽٤) النشر الطيب جـ ٢ ص ٣٧٩.

⁽٥) فتح القدير جـ ٥ ص ٤٤٤.

⁽٦) النشر الطيب جـ ٢ ص ٣٨٠.

ثبوت الصراط الآخروي، ولهذا يقول الجمل: «العقبة في الأصل الطريق الصعب في الجبل، واقتحامها مجاوزتها، وليس هذا المعنى مراداً هنا، بل المراد بها هنا: مجاهدة النفس فيفعل الطاعات وترك المحرمات، والمراد باقتحامها: فعلها وتحصيلها»(۱).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِنكُ مَ إِلاَّ وَارِدُهَا كَ انَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مُقْضِيًّا ۞ ثُمَّ نُنجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

وهي إشارة إلى وجود الصراط، إذ لا يكون الورود إلا بالمرور على الصراط على متن جهنم، على أحد الأقوال التي سنذكرها في مبحث الورود.

وقد صرح عبد الله بن مسعود بذلك كما ذكر الطبري، حيث قال: «حدثنا خلاد بن أسلم، وساق بسنده إلى ابن الأحوص عن عبد الله في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِنكُ مُ إِلا وَارِدُهَ ا ﴾ قال: الصراط على جهنم مثل حد السيف» إلخ كلامه (٢٠).

وقال العلامة الجمل في تفسيره لمعنى الورود وأقوال السلف فيه: «وقالت فرقة: الورود: المرور على الصراط، وروى عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار والسدي، ورواه السدي عن ابن مسعود عن النبي عَنِينًة ، وقاله الحسن أيضاً، فالورود: أن يمروا على الصراط، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهِ عَنْ اللَّهُ مَنَّا الْحُسْنَىٰ أُولْئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ الأنبياء: ١٠١] قالوا: فلا يدخل النار من ضمن الله أن يباعده منها، وأجاب

⁽١) الفتوحات الإلهية جـ ٤ ص ٥٣٩.

⁽۲) جامع البيان جـ ١٦ ص ١١٠.

الأولون بأن معنى قوله: ﴿ أُولَتِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ أنهم مبعدون عن العذاب فيها والاحتراق بها، قالوا: فمن دخلها وهو لا يشعر بها ولا يحس منها وجعاً ولا ألماً فهو مبعد منها (١٠).

وما سبق ذكره يدل على أنه لم يرد في القرآن الكريم نص صريح متفق عليه غير قابل للاحتمال في ذكر الصراط الأخروي وهو الجسر الممدود على جهنم ـ فيما استطعت معرفته ـ غير الآية المذكورة سابقاً من سورة مريم .

ولكن بعض العلماء يذكر أن أدلته في القرآن الكريم على هذا المعنى كثيرة لكنه لم يذكر دليلاً على ذلك، بل يكتفي بذكر القول أن فيه أدلة من القرآن(٢)

٢ ـ الأدلة من السنة النبوية على إثبات الصراط:

ثبت ذكر الصراط بأوصافه في السنة النبوية في عدة أحاديث، ونعرض فيما يلي بعض الأدلة المثبتة لذلك ، وأول ما نبدأ به منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أناس: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فذكر الحديث، وهو حديث طويل، ومحل الشاهد منه قوله عَلَيْ : ،ويضرب جسر جهنم، قال رسول الله عَلَيْ : فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومنذ اللهم سلم سلم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله، فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل ثم ينجو، ("). إلى آخر

⁽١) الفتوحات الإلهية جـ٣ ص ٧٤.

⁽٢) انظر: اللآلىء البهية ص ٧١.

⁽٣) أخرجه البخاري جـ ١١ ص ٤٤٥ ، ويوب له بقوله: (باب: الصراط جسر جهنم).

الحديث في وصف الصراط.

وفي هذا الحديث تصوير دقيق للجسر، وحالة مرور الناس عليه، ووصف ما عليه من كلاليب التي تشبه شوك السعدان في الشكل لا في الحقيقة، حتى ليكاد القارئ يشاهده، ويشاهد مرور الناس عليه، واختلاج الناس فيه، وبطش جهنم بهم بسبب أعمالهم.

وأما معنى تلك الكلاليب فهي جمع كَلُّوب. قال الأزهري: «والكلاب والكلوب: خشبة في رأسها عقافة منها أو من حديد»(١)، وقد ضبط كلمة «الكلوب» بفتح الكاف وضم اللام.

وقال النووي في ضبط كلمة «كلوب»: إنها «بفتح الكاف وضم اللام المشددة، وهو حديدة معطوفة الرأس، يعلق فيها اللحم، وترسل في التنور. ثم نقل عن صاحب المطالع قوله: إن الكلوب هي خشبة في رأسها عقافة حديد، وقد تكون حديداً كلها، ويقال لها أيضاً كلاب»(٢).

وهذه الكلاليب إنما شبهت بشوك السعدان في الصورة الظاهرة كما . قلنا، وإلا فإن كلاليب جهنم ليست كهذه في الحجم، فقد جاء أن كل كلوب من كلاليب جهنم يأخذ أكثر من ربيعة ومضر.

وقد ذهب بعض العلماء في معنى تلك الكلاليب إلى تأويلها بمعنى الشهوات، فقد نقل الحافظ ابن حجر عن القاضي أبي بكر بن العربي قوله: «هذه الكلاليب هي الشهوات المشار إليها في الحديث الماضي: وحفت النار بالشهوات، قال: فالشهوات موضوعة على جوانبها، فمن اقتحم الشهوة

⁽١) تهذيب اللغة جـ ١ ص ٢٥٩.

⁽٢) شرح النووي لمسلم جـ ١ ص ٤٣٠.

سقط في النار لأنها خطاطيفها»(١).

وعن الزين بن المنير قوله: «تشبيه الكلاليب بشوك السعدان خاص بسرعة اختطافها، وكثرة الانتشاب فيها، مع التحرز والتصون، تمثيلاً لهم بما عرفوه في الدنيا، وألفوه بالمباشرة، ثم استثنى؛ إشارة إلى أن التشبيه لم يقع في مقدارهما»(٢).

وبعد أن نقل ابن حجر هذا الكلام لابن العربي، لم يعلق عليه بشيء.

ومثل هذا ما ينقله الوزاني عن أبي طاهر القزويني في قوله: "وما جاء من الكلاليب: فهو عبارة عن علائق الدنيا، فكما تجذب صاحبها للدنيا كذلك تجذبه للهاوية، والحبو والزحف إشارة إلى تثاقل ظهور الناس بالمظالم، وأما الزالون فهم الناكبون في الدنيا عن الصراط المستقيم" (").

وهذه الأقوال تأويلات تحتاج إلى إثبات، إذ كيف تتفق هذه التأويلات مع وصف الرسول عَلَيْكَ لتلك الكلاليب بالكبر؟ ثم بالتمثيل لها بأشياء محسوسة معروفة؟ فكيف تكون الشهوات مثل شوك السعدان تخطف من أمرت بخطفه؟ هذا لا يتفق مع مفهوم الأحاديث، والله أعلم.

ثم إنه لو ساغ تأويل الكلاليب بالشهوات؛ لساغ تأويل كثير من أمور الآخرة، وهو باب لا ينبغي فتحه؛ إذ إنه سيفضي إلى تأويل كل ما جاء به الشرع من أخبار الغيب وأخبار اليوم الآخر، وهذا أمر معلوم البطلان.

وقد بين عليه الصلاة والسلام موضع تلك الكلاليب أين تكون بالنسبة للصراط، من أنها تكون في حافتيه وهو ما جاء في صحيح مسلم: «وفي

⁽۱)، (۲) فتح الباري جـ ۱۱ ص ٤٥٣.

⁽٣) النشر الطيب جـ ٢ ص ٣٨٠.

حافتي الصراط كلاليب معلقة، مأمورة بأخذ من أمرت به، الحديث. وسيأتي ذكره.

وورد في بعض الروايات قوله عَلَيْ : وبه كلاليب، أو وعليه كلاليب النار، أو كما في بعضها الآخر: وفي جهنم كلاليب، وليس في هذه الروايات تعارض، فإنه يتلخص من ذلك أن تلك الكلاليب معلقة بالصراط على المتداده، والصراط على جهنم، فإذا أضيفت تلك الكلاليب إلى الصراط؛ فباعتبار أنها معلقة به، وإذا أضيفت إلى جهنم؛ فباعتبار أن الصراط على جهنم.

وأما السعدان: فهو جمع، وواحدتها: سعدانة، وهو نبات ذو شوك، يضرب به المثل في طيب مرعاه، ولهذا يقال: «مرعى ولا كالسعدان»، وهو ينبت في السهول، وهو من جيد مراعي الإبل»(١).

قال النووي: «وأما السعدان ـ بفتح السين وإسكان العين المهملة ـ وهو نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب»(٢) .

وقال البرديسي: «شوك السعدان ـ بفتح المهملة وسكون الثانية وبإهمال الدال ـ نبت له شوك عظيم من كل الجهات مثل الحسك (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عَلَيْكُ أنه قال: وفيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومنذ أحد إلا

⁽١) مجمع الأمثال ص ٢٧٥، والنهاية لابن الأثير جـ ٢ ص ٣٦٧.

⁽۲) شرح النووي جـ ۱ ص ٤٣١.

⁽٣) تكملة شرح الصدور ص ٣١.

الرسل، وكلام الرسل يومنذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، عير أنه لا هل رأيتم شوك السعدان، غير أنه لا علم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من يخردل ثمينجو، (۱) إلى آخر الحديث.

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله عَلَيْكَ : «ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شبوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل أو المجازى أو نحوه، (٢) إلى آخر الحديث.

وأما قوله عَيَّا : «فاكون أول من يجيز». وفي الرواية الأخرى «فاكون أول من يجوز». وفي الرواية الثالثة : «فاكون أنا وأمتي أول من يجيزها»؛ فإن المراد من مجموع هذه الروايات هو إثبات أن الرسول عَيَّا هو أول الأم جوازًا على الصراط هو وأمته، ثم بعده سائر الأم، كما سيأتي بيانه.

وأما المخردل ثم ينجو: فهذا وصف لصنف من أصناف المارين على الصراط، والمخردل: بالخاء المعجمة، وفي رواية بالجيم، ورجح ابن قرقول الخاء المعجمة والدال المهملة.

والمعنى: أن كلاليب النار تقطعه فيهوي في النار، كما قال الهروي: «ويحتمل أن يكون من الخردل، أي جعلت أعضاؤه كالخردل، وقيل معناه:

⁽١) صحيح البخاري جـ ١٣ ص ٤١٩ ، والمسند جـ ٢ ص ٢٩٣ .

⁽٢) صحيح البخاري جـ ١٣ ص ٤١٩ ، ومسلم جـ ١ ص ٤٣٠ .

أنها تقطعهم عن لحوقهم بمن نجا، وقيل: المخردل، المصروع، ورجحه ابن التين فقال: هو أنسب لسياق الخبر^{١١٥}.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ـ من حديث طويل ـ قال: قال رسول الله عنه . من حديث طويل ـ قال : قال رسول الله عنه : «ثميوتي بالجسر، فيجعل بين ظهري جهنم، قلنا : يا رسول الله وما الجسر؟ قال : مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب مفلطحة، لها شوكة عقيفاء، تكون بنجد يقال لها: السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا، (٢٠) الحديث .

وهذا الحديث وصف آخر لمرور الأم على الصراط، وتفاوتهم في سرعة السير وبطئه، وما يقع لهم في أثناء سيرهم من أهوال، فالجسر مدحضة مزلة منزلق شديد لا تثبت عليه قدم (٦)، والخطاطيف والكلاليب قد نصبت لخطف من أمرت بخطفه، فمنهم من يسلمه الله تعالى؛ فلا يحس بألم تلك الخطاطيف والكلاليب، ومنهم من ينجوا لكنه يصيبه خدوش تؤثر في جلده، ومنهم من تخطفه فتنتهي به إلى مقر جهنم مكدوساً فيها مسوقاً بشدة وعنف من ورائه؛ ليكون فوق من سبق، يكدسون كما تكدس الدواب في سيرها إذا ركب بعضها بعضاً.

⁽١) انظر: فتح الباري جـ ١١ ص ٤٥٤.

⁽٢) صحيح البخاري جـ ١٣ ص ٤٢١.

⁽٣) قال النووي في معنى دحض هو ابتنوين دحض وداله مفتوحة والحاء ساكنة، ومزلة: بفتح الميم، وفي الزاي لغتان مشهورتان: الفتح والكسر، والدحض والمزلة بمعنى واحد: وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر، ومنه، دحضت الشمس: أي مالت، وحجة داحضة: لا ثبات لها النووي جـ ١ ص ٤٣٧.

فهم ثلاثة أصناف كما بينهم الحديث: قسم يسلم فلا يناله شيء أصلاً، وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص، وقسم يكردس ويلقى فيسقط(١)، وكل قسم منها ينقسم أقساماً تعرف بقوله: «بقدر أعمالهم كما قال ابن حجر(٢).

وفي حديث طويل أخبر عَن أن الأمانة والرحم تقومان جنبتي الصراط، فقال: ووترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط، فقال: ووترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق قال: قلت: بأبي أنت وأمي، أي شيء كمر البرق، قال: ألم تروا البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الربح، ثم كمر الطير وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم.

حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به؛ فمخدوش ناج ومكدوس في النار، والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفًا، (").

وهذا الحديث بيان لهيئة الناس في مرورهم على الصراط.

وقد أخبر عَيَّ أن الأمانة والرحم ترسل فتقومان جنبتي الصراط، والسبب في قيامهما ذلك: هو لأدائهما الشهادة للشخص أو عليه بما كان يفعله تجاههما، من القيام بهما، وأداء الواجب الذي أمر الله به نحوهما، والوفاء والتمام الذي كان يسير عليه في حياته الدنيا، أو تشهدان عليه بالخيانة والغدر وعدم القيام بالواجب نحوهما.

⁽١) انظر: شرح النووي لمسلم جـ ١ ص ٤٣٨، وانظر: تكملة شرح الصدور ص ٣١.

⁽٢) فتح الباري جـ ١١ ص ٤٥٤.

⁽٣) صحيح مسلم جـ ١ص ٤٧٥.

قال ابن حجر في معنى إرسالهما على جنبتي الصراط: «أي يقفان في ناحيتي الصراط»، قال: «والمعنى أن الأمانة والرحم لعظم شأنهما وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما يوقفان هناك للأمين والخائن والمواصل والقاطع فيحاجان عن المحق ويشهدان على المبطل».

وقال الطيبي: «ويكن أن يكون المراد بالأمانة ما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾ [الأحزاب: ٧٧]. وصلة الرحم ما في قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ [النساء: ١] فيدخل فيه معنى التعظيم لأمر الله، والشفقة على حلق الله، فكأنهما اكتنفتا جنبتي الإسلام الذي هو الصراط المستقيم، وفطرتي الإيمان والدين القويم »(١)

فشأن الأمانة والرحم عظيم، وقد هدد الله ورسوله القاطع بالعذاب الشديد، واللعن والصمم والعمى في الدنيا، وقد سبق للرحم يوم خلقها الله أن تعلقت به عز وجل وقالت: «هذا مقام العائذ بك يا رب؛ فقال لها: أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ فقالت: بلى يا رب، قال: فذلك لك، (٢).

وأخبر عَلَيْ أن الناس يكونون على الصراط يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «سألت رسول الله عَلَيْ عن قوله عز وجل: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال:

⁽١) انظر: فتح الباري جـ ١١ ص ٤٥٣.

⁽٢) أخرجه البخاري جـ ١٣ ص ٤٦٥ «التوحيد»، ومسلم في كتاب البر جـ ٤ ص ١٩٨٠.

علىالصراط»(١).

وزاد أحمد على الرواية السابقة لمسلم: وإن هذا لشيء ما سألني عنه أحد من أمتي قبلك ثم ذكر الحديث(٢).

وهذا الحديث فيه إخبار بسعة الصراط، وأن الناس يكونون عليه حينما يحسصل التبديل في الأرض والسموات، وهنا إشكال يرد وهو: أن النصوص قد جاءت بأن الناس يقفون على الأرض المبدلة في الموقف، وهي الأرض التي تطهر لنزول المولى عز وجل.

وهذا الحديث يفيد أن التبديل يحصل والناس على الجسر، ومعلوم أن الجسر متأخر عن الموقف؛ فمعنى هذا أن الناس وقفوا على الأرض قبل تغييرها، وهذا معارض بالأحاديث الأخرى التي يذكر فيها نزول الله في غير هذه الأرض، أي في الأرض التي تطهر لنزول الله تعالى.

والجواب عن ذلك كما ذكره العلامة البيهقي رحمه الله بقوله: "فيحتمل أن يكون هذا في وقت خروجهم من القبور إلى أن تبدل الأرض وتمد مد الأديم؛ ثم يكونون عليها "(").

وفي روايسة لابن ماجه عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله عَلَيْ : «يوضع الصراط بين ظهراني جهنم على حسك كحسك السعدان، ثم يستجيز الناس؛ فناج مسلم، ومحدوج به ثم ناج، ومحتبس به، ومنكوس فيها، (١٠).

⁽١) مسلم جـ ٥ ص ٦٥٩، والترمذي جـ ٥ ص ٢٩٦، وابن ماجه جـ ٢ ص ١٤٣٠.

⁽٢) المسندجة ص١٠١.

⁽٣) انظر: كتاب البعث والنشور بتحقيق الصاعدي ص٣٩٣.

⁽٤) ابن ماجه جـ ٢ ص ١٤٣٠، وأحمد جـ ٣ ص ١١.

وفي لفظ آخر عن أبي سعيد قال: قال رسول الله عَلَيْهُ: «ثم يوضع الصراط بين ظهري جهنم، والأنبياء بناحيتيه، قولهم: اللهم سلم سلم سلم سلم سلم سلم سلم والأنبياء بناحيتيه، قولهم: اللهم سلم سلم سلم سلم وانه لدحض مزلة، وإنه لكلاليب وخطاطيف قال عبد الرحمن (۱): ولاأدري لعله قد قال: تخطف الناس ، وحسكة تنبت بنجد يقال لها: السعدان قال: ونعتها لهم ، فأكون أنا وأمتى لأول من مر، أو: أول من يجيز ، قال: فيمرون عليه مثل البرق، ومثل الربح، ومثل أجاويد الخيل والركاب،؛ فناج مسلم، ومخدوش مكلم؛ ومكدوس في النار، (۱) إلخ.

وعن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله عَنِينَ : «شعار المؤمن على الصراط: رب سلم سلم (٣) .

وعن أنس بن مالك قال: سألت النبي عَلَيْكُ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: «أنا فاعل»، قال: قلت: يا رسول الله، فأين أطلبك؟ قال: «اطلبني أول ما تطلبني على الصراط»، قال: قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فأطلبني عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «فاطلبني عند الحوض، فإنى لا أخطىء هذه الثلاث المواطن، (3).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه: عن النبي عَظِيدٌ قال: «يحمل الناس على الصراط يوم القيامة، فتقادع بهم جنبتا الصراط تقادع الفراش في النار، قال:

⁽١) يعني عبد الرحمن بن إسحاق، أحد رواة الحديث.

⁽٢) مسند أحمد جـ ٣ ص ١٧.

⁽٣) الترمذي ج ٤ ص ٦٢١ ثم قال: اقال أبو عيسى: هذا حديث غريب من حديث المغيرة ابن شعبة لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق.

⁽٤) الترمذي جـ٤ ص ٦٢١ قال أبو عبسى: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

فينجي الله تبارك وتعالى برحمته من يشاء،(١) إلى آخر الحديث.

وعن أنس رضي الله عنه قال: حدثني نبي الله عَلَيْهُ: •إني لقائم أنتظر أمني تعبر على الصراط، (٢). الحديث.

وقد أخبر عَنَا له حاما في بعض الأحاديث التي سقناها أنه قائم على الصراط يدعو لأمته بالنجاة واجتياز الصراط بسلام، وفي بعض الروايات أخبر عَنَا الأنبياء على ناحيتي الصراط يقولون: رب سلم سلم.

ويجاب عن هذا بأن الرسول عَلَيْكُ أخبر مرة عن نفسه، ومرة أخرى عن جميع الأنبياء، والله أعلم.

وأخرج ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عَلَيْكَة : «يؤتى بالموت يوم القيامة، فيوقف على الصراط؛ فيقال: يا أهل الجنة؛ فيطلعون خانفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، ثم يقال: يا أهل النار؛ فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، فيقال: هل تعرفون هذا؟ قالوا: نعم، هذا الموت. قال: فيؤمر به فيذبح على الصراط، ثم يقال للفريقين كليهما: خلود فيما تجدون، لا موت فيها أبداً، (٣).

ونكتفي بذكر ما تقدم من الأحاديث على إثبات الصراط وما يتعلق به من أمور.

ويتضح من خلال تلك النصوص أنه: ممر رهيب، وعقبة خطيرة، عليه من أنواع التعذيب ما لا يعلم، إلا الله، عليه كلاليب مثل شوك السعدان،

⁽١) مستدأحمد ج٥ ص ٤٣.

⁽٢) المسندج ٣ ص ١٧٨.

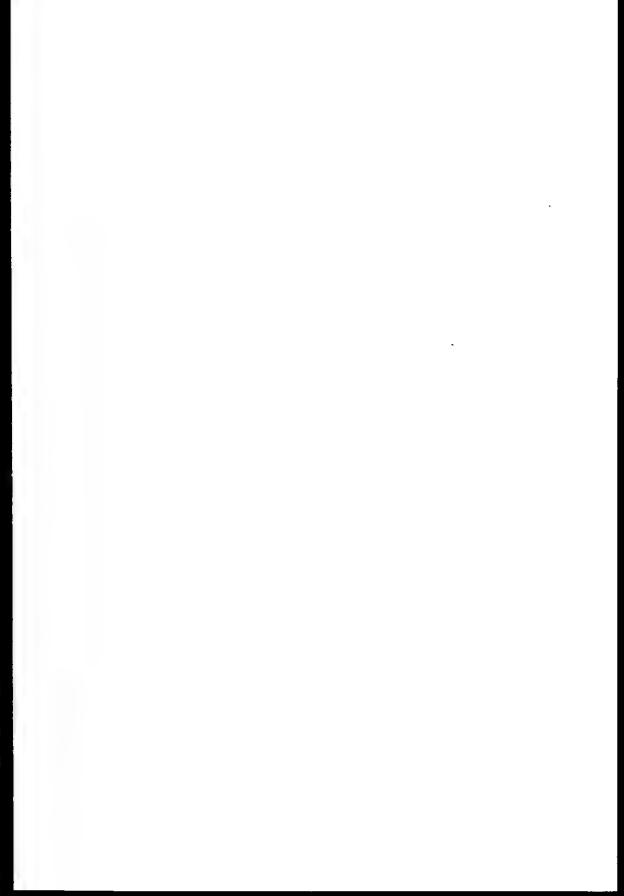
⁽٣) أخرجه ابن ماجه جـ ٢ ص ١٤١٧.

تخطف من أمرت بخطفه، لا يعلم قدر عظمها إلا الله.

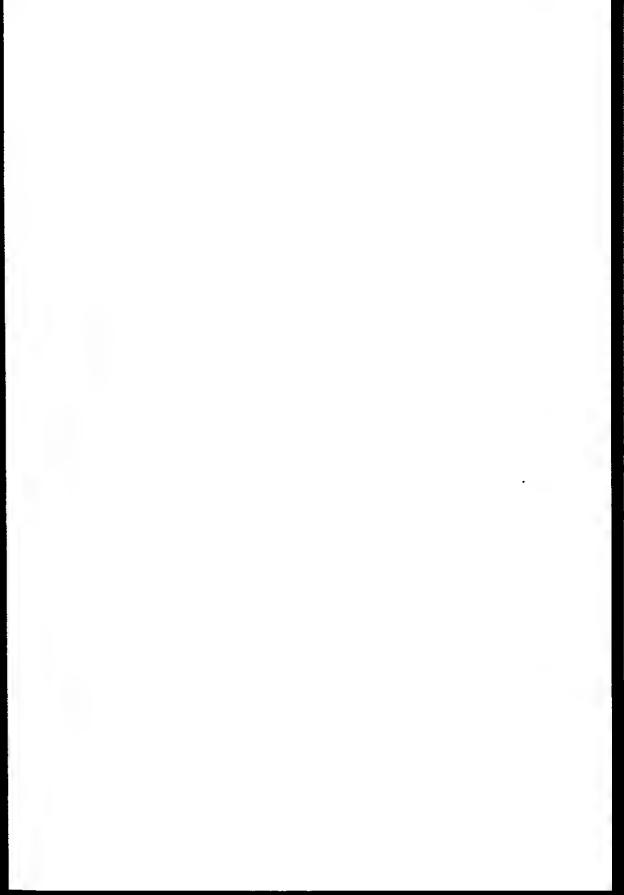
لا يتكلم عليه أحد غير الرسل، ودعاؤهم عليه: اللهم سلم سلم، وهو دحض مزلة، ينزلق فيه المارة بسرعة، وأول من يجيزه الرسول محمد عَيْنَة وأمته إكراماً وتشريفاً لهم، وثبت كذلك أن الناس يختلفون في سرعة المرور عليه، ويختلفون في أخذهم لأنوارهم، كل ذلك حسب العمل، وهم يدعون: اللهم سلم سلم.

وهذا ولا شك يشير إلى خطورة الصراط والمرور عليه؛ إذ هو مظنة الهلكة إن لم يكتب الله السلامة لمن يجتازه؛ فهذا يسقط، وهذا يزحف، وذاك يمر مسرعاً، وهذا تصيب جوانبه النار، وهذا تخطفه الكلاليب، وحقاً إنه من المسالك الخطيرة الرهيبة، أعاننا الله عليه بفضله ورحمته

* * *







الفصل الثالث وصف الصراط والمرور عليه

وقد اتضح مما سبق أن الصراط يمتاز بصفات عديدة يمكن إيجازها فيما يأتي:

١ ـ أن الصراط ممر رهيب جداً، تقف الرسل على جانبيه، يدعون للخلق المارين عليه بالسلامة والنجاة.

٢ ـ أن عليه كلاليب وخطاطيف وحسك مثل شوك السعدان، معلقة به
 تخطف من أمرت بخطفه .

٣ - أنه مدحضة مزلة، فهو على دقته أيضاً منزلق لا تثبت عليه قدم؛ إلا
 إذا كتبت لها الثبات بأن كان صاحبها من أهل السعادة.

٤ ـ ومن أوصاف الصراط ـ إضافة إلى ما تقدم ـ أنه أحد من السيف ،
 وأدق من الشعرة .

وقد خالف بعض الناس في ثبوت هذا الوصف، وذهبوا إلى تأويلات وأقوال مضطربة، تاركين ما بان ثبوته من أنه أحد من السيف وأدق من الشعرة.

فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد أنه قال: "بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف"(١).

⁽١) مسلم جـ ١ ص ٤٤١ (النووي).

وقد نسب ابن منده هذا القول إلى سعيد بن أبي بلال(١) ، وبعضهم يسميه سعيد بن هلال(٦) .

وفي مسند الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله عَلِيه قال: «لجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف، عليه كلاليب وحسك يأخذون من شاء»(٣).

وعن عبيد بن عمير رضي الله عنه: عن النبي عَلَيْكُ أنه قال: «الصراط على جهنم مثل حرف السيف» بجنبتيه الكلاليب والحسك، فيركبه الناس فيتخطفون، والذي نفسي بيده إنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر، (٤)

وكان عبيد بن عمير يقول: «أيها الناس: إنه جسر أعلاه دحض مزلة ، مر الأول فنجا ، ومر الآخر فناج ومخدوش ، والملائكة على جنبات الجسر يقولون: رب سلم سلم . قال: وإن الصراط مثل السيف على جسر جهنم ، وإن عليه كلاليب وحسكاً ، والذي نفسي بيده إنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر (٥٠) .

وعن أنس عن النبي عُلِيَّةً قال: والصراط كعد الشفرة أو كعد السيف، وإن الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات، وإن جبريل لآخذ بحجزتي(1) وإني لأقول: يا

⁽١) تحقيق كتاب الإيمان جـ ٣ ص ٧٨١ للدكتور/ على بن محمد ناصر الفقيهي.

⁽٢) النشر الطيب جـ ٢ ص ٣٨١.

⁽٣) المستدجة ص١١٠.

 ⁽٤) قال المنذري عن هذا الحديث: إنه رواه البيهقي مرسلاً وموقوفاً على عبيد بن عمير،
 «الترغيب والترهيب جـ٤ ص ٤٢٩».

ويذكر ابن حجر أنه من مرسل عبيد بن عمير، فتح الباري جـ ١١ ص ٤٥٤ .

⁽٥) النهاية جـ ٢ ص ١٧٩ وعزاه إلى ابن أبي الدنيا.

⁽٦) حجزتي: أصل الحجزة هي موضع شد الإزار. انظر: النهاية لابن الأثير جـ١ ص٣٤٤.

رب سلم سلم، فالزالون والزالات يؤمنذ كثير، (١) .

وعن أنس أيضاً عن النبي عُلِيه قال اعلى جهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف، أعلاه نحو الجنة دحض من لق، بجنبتيه كلاليب وحسك من النار، يحبس الله بها من يشاء من عباده، الزالون والزالات يومنذ كثير، والملائكة بجانبيه قيام ينادون: اللهم سلم سلم (۲) إلخ الحديث.

ولابن منيع عن أبي هريرة ـ رفعه ـ: «الصراط كحد السيف».

وللطبراني والبيهقي بسند صحيح عن ابن مسعود قال: "يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرهف" (").

وقد روى هذا الحديث الطبراني بإسناد حسن كما يذكر المنذري(٤٠).

وهذه الروايات كلها تفيد صحة وصف الصراط بأنه أحد من السيف وأدق من الشعرة.

وقد ذكر الأشعري أن المسلمين اختلفوا في وصف الصراط إلى قولين رئيسيين:

ـ فريق يثبت الصراط على ضوء ما تقدم من النصوص.

ـ وفريق آخر يؤول ما جاء من هذا الوصف إلى تأويلات بعيدة ؛ كالقول بأنه طريق للعبور عليه فحسب، وبعضهم يذهب إلى أبعد من هذا ؛ حيث يذكر أن هذا الوصف من ضرب المثل للخفي الغامض بالشيء المعروف.

⁽١)، (٢) التخويف من النار ص ١٦٩ وعزاه إلى البيهقي.

⁽٣) النشر الطيب جـ ٢ ص ٣٨٢.

⁽٤) الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ٤٢٥.

وفي هذا يقول: «واختلفوا في الصراط؛ فقال قائلون: هو الطريق إلى الجنة وإلى النار، ووصفوه فقالوا: هو أدق من الشعر وأحد من السيف، ينجي الله عليه من يشاء.

وقال قائلون: هو الطريق ، وليس كما وصفوه بأنه أحد من السيف وأدق من الشعرة، ولو كان كذلك لاستحال المشي عليه (١٠).

ولكنه وهو يذكر اختلاف الناس في ذلك لم يبين من هم الذين وصفوه بتلك الأوصاف، ومن هم الذين امتنعوا عن وصفه؛ وسنشير إليهم.

والواقع أن الخلاف في صفة الصراط لا ينحصر في هذين الأمرين؛ فقد ذكر العلماء أقوالاً أخرى، فهناك من يقول: «إنه يدق ويتسع بحسب ضيق النور وانتشاره، فعرض صراط كل أحد بقدر انتشار نوره»(٢).

وهناك من يذهب إلى التوقف في حقيقته، كالوزاني، في قوله: «ولو قيل: بالوقف ما بعد؛ لأن كيفيته لا تتلقى إلا من الشارع، ولم يرد فيه نص صريح»(٣).

وهناك من يذهب إلى تأويلات أخرى، كنقل الوزاني والبرديسي عن الكمال ـ في شرحه لما ورد في مسلم من وصف الصراط أنه أحد من السيف وأدق من الشعرة ـ «بأن ذلك يضرب مثلاً للخفي الغامض، وأول كونه أحد من السيف: بسرعة إنفاذ الملائكة أمر الله تعالى بإجازة الناس عليه» إلى أن يقول: «وقال بعضهم: كل من الرقة والحدة؛ كناية عن شدة المشقة»(٤).

⁽١) المقالات ج ٢ ص ١٦٤.

⁽٢)، (٣) النشر الطيب جـ ٢ ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣، وانظر: تكملة شرح الصدور ص ٣١.

⁽٤) النشر الطيب جـ ٢ص ٣٨٣.٣٨٢، وانظر: تكملة شرح الصدور ٣١.

ويقول القرطبي: «ذهب بعض من تكلم على أحاديث هذا الباب(١) في وصف الصراط بأنه أدق من الشعر وأحد من السيف: أن ذلك راجع إلى يسره وعسره على قدر الطاعات والمعاصي، ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى ؟ لخفائها وغموضها.

وقد جرت العادة بتسمية الغامض الخفي دقيقاً؛ فضرب المثل له بدقة الشعر؛ فهذا والله أعلم من هذا الباب.

ومعنى قوله: وأحد من السيف: أن الأمر الدقيق الذي يصعد من عند الله تعالى إلى الملائكة في إجازة الناس على الصراط يكون في نفاذ حد السيف، ومضيه؛ إسراعاً منهم إلى طاعته وامتثاله، ولا يكون له مرد، كما أن السيف إذا نفذ بحدة وقوة ضاربة في شيء لم يكن له بعد ذلك مرد.

وأما أن يقال إن الصراط نفسه أحد من السيف وأدق من الشعر: فذلك مدفوع بما وصف من أن الملائكة يقومون بجنبيه، وأن فيه كلاليب وحسكاً، أي أن من يمر عليه يقع على بطنه، ومنهم من يزل ثم يقوم، وفيه أن من الذين يمرون عليه من يعطى النور بقدر موضع قدميه، وفي ذلك إشارة إلى أن للمارين عليه مواطئ الأقدام، ومعلوم أن رقة الشعر لا يحتمل هذا كله.

ثم قال أيضاً: وقال بعض الحفاظ: «إن هذه اللفظة ليست بثابتة»(٢) . ولكن القرطبي وهو ينقل هذه الآراء لم يوافق عليها كما سيأتي . وذهب القرافي كذلك إلى إنكار أن يكون الصراط أدق من الشعرة وأحد

⁽١) وهو يشير إلى رأي الزركشي كما في تكملة شرح الصدور ص ٣٢.

⁽٢) التذكرة ص ٣٣٣.

من السيف، كما ينقله عنه الشيخ الطيب في قوله: «وقال القرافي: لم يصح في الصراط أنه أدق من الشعر وأحد من السيف شيء، والصحيح أنه عريض، وفيه طريقان يمنى ويسرى، فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين، وأهل الشعاوة ذات الشمال، وفيه طاقات؛ كل طاقة تنفذ لطبقة من جهنم»(١).

وقال السفاريني: «وأنكر العلامة القرافي كون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف ، وسبقه إلى ذلك شيخه العزبن عبد السلام»(٢).

ويقول السفاريني عن القرافي إنه - تبعاً للبيهقي - يؤول ما جاء في وصف الصراط - السابق الذكر - : بأن أمره أدق من الشعر، فإن يسر الجواز عليه وعسره على قدر الطاعات والمعاصي، ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى، وقد جرت العادة بضرب دقة الشعر مثلاً للغامض الخفي، وضرب حد السيف لإسراع الملائكة في المضي لامتثال أمر الله وإجازة الناس عليه»(").

ويذكر الوزاني أن هذا الرأي لم ينفرد به القرافي ، « بل قال به جماعة من المحققين كعز الدين والزركشي والبيهقي» (١٠) .

وقد أيد الشيخ على الأجهوري رأي القرافي، وذكر أنه: لا ينبغي أن يعدل عنه لحديث عائشة رضي الله عنها في ذكر وقوف الناس على الصراط، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات، كما نقله عنه الوزاني في قوله: "وقال الشيخ على الأجهوري: الظواهر تدل لما قاله القرافي؛ فلا يعدل عنها، منها: حديث أن الناس يكونون عليه يوم تبدل الأرض غير الأرض؛

⁽١) النشر الطيب جـ ٢ ص ٣٨١.

⁽٢) ، (٣) لوامع الأنوار جـ ٢ ص ١٩٣.

⁽٤) النشر الطيب جـ ٢ ص ٣٨١.

وهو في الصحيح»(١) .

والواقع أن تلك الأقوال تأويلات؛ فقد رأينا مما سبق ثبوت وصف الصراط بأنه جسر أدق من الشعرة وأحد من السيف، وأما الآراء السابقة، فيتضح من استعراضنا الآتي لها، أنها ليس عليها دليل.

أما رأي القرافي الذي تقدم؛ فإنه يرد عليه أنه نفى صفات وأثبت صفات أخرى تحتاج إلى دليل، وكان الأولى أن يقول بما جاء به الدليل، فإثباته أن فيه طريقين يمنى ويسرى، وأنه عريض، وأن فيه طاقات؛ لا يتفق مع مفهوم الأحاديث الصحيحة المتقدمة التي تفيد أنه طريق واحد كما وصف في الأحاديث السابقة.

ولهذا يذكر صاحب النشر الطيب أنه قد تعقبه ابن ناجي بحديث مسلم عن أبي سعيد. (١) .

وقد انتقده أيضاً صاحب إضاءة الدجنة فقال:

وما يقال أنه أرق من شعر صدقه فهو حق وفي صحيح مسلم ماأرشدا إليه والضرير فيه أنشاده والسرب لا يعجازه إمشاؤهم عليه إذ لم يعيه إنشاؤهم وللقرافي هناكا كالم

وأما الاستدلال بحديث عائشة ـ في ذكر أن الناس يكونون على الصراط

⁽١) النشر الطيب ص ٣٨٣.

⁽٢) النشر الطيب جـ ٢ ص ٣٨١.

⁽٣) المصدر السابق.

يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات على أن الصراط ليس بذلك الوصف (أي أدق من الشعرة وأحد من السيف)؛ فإنه لا يتم الاستدلال به على نفي صفة الصراط المراد إثباته.

وذلك أن الجسر هذا الذي يقف عليه الناس؛ لا يلزم منه أن يكون المقصود به جسر جهنم، فقد ذهب بعض العلماء إلى أن هذا مكان آخر يقف عليه الناس، وليس هو الجسر الذي يمرون فوقه إلى الجنة، أو لعل المراد بهذا الجسر: الظلمة التي هي دون الصراط، والتي فيها تقسم الأنوار.

وهذا ما ذهب إليه الأبي أيضاً في شرحه لصحيح مسلم؛ حيث قال: «الصراط يحتمل أنه الصراط المعروف، ويحتمل أنه اسم لموضع غيره تستقر الخلق عليه، وكأنه الأظهر، للحديث المتقدم، وقد سألته عائشة: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض؟ قال: «هم في الظلمة دون الجسر»(١).

ثم ما الذي يمنع أن تكون قدرة الله تعالى اقتضت أن الصراط يكون بتلك الدقة، وهو مع ذلك يستوعب الخلق حينما يتم تبديل السموات والأرض؟ ؛ فقدرة الله تعالى لا يحدها حد.

وأما قول من ذهب إلى التوقف في صفة الصراط بحجة أنه لم يرد به نص، أو ورد عن الصحابة دون التصريح برفعه، فإنه قول يحتاج إلى إثبات؛ إذ النصوص تشهد بخلافه.

وقد تقدم في الأدلة ما يثبت وصف الصراط بالصورة المذكورة، كما

⁽¹⁾ شرح الأبي لمسلم جـ ٧ ص ١٩٤.

أخرج مسلم عن أبي سعيد، وهؤلاء يردون هذا الحديث، ثم يتكلفون في رده أجوبة غير مقنعة؛ فهم يعللون ردهم له: تارة بأنه من قول أبي سعيد، وتارة بأنه لعله أخذه عن بعض أهل الكتاب، وتارة يحكمون عليه بالإرسال، كما ذكر صاحب النشر الطيب ذلك عن زروق.

وقد استنبط الوزاني من قول أبي سعيد: "بلغني": "أنه لم يسمعه من النبي عَلَيْ وهوالظاهر كما يقول الوزاني و إلا لرفعه، وإنما سمعه من غيره أي صحابي آخر ولم يذكره، هذا إذا قلنا إنه سمعه من صحابي، وأما إن قلنا إنه تلقاه من أهل الكتاب، أو ممن أخذه منهم؛ فليس بحديث أصلاً "(١).

وفي قول الوزاني: «أن أبا سعيد يحتمل أنه سمع هذا الكلام من صحابي آخر ولم يذكره، أو أنه تلقاه من أهل الكتاب، أو عمن أخذه منهم كلها احتمالات لا تقوى على نفي صحة وصف الصراط بذلك، فلو أن أبا سعيد سمعه من صحابي آخر على أنه حديث عن رسول الله على ، وتحرج أبو سعيد فلم يقل: سمعت النبي على الله عدهذا قادحاً في صحة رفعه؛ فإن الصحابي حينما يقول: «بلغني» لا يحتمل إلا أنه بلغه عن الرسول على السواء كان ذلك مباشرة، أو عن صحابي آخر، ولا شك أن كلام الصحابة له حكم الرفع، وخصوصاً في مثل هذه المسائل الغيبية.

ويبعد أن يكون أبو سعيد الخدري سمعه من أهل الكتاب ـ كما يذكر الوزاني في تعليقه على قول أبي سعيد: «بلغني»، بأنه يحتمل أن يكون عن

⁽١) النشر الطيب جـ ٢ ص ٣٨١.

النبي عَيَالَكُ ، أو عن أهل الكتاب الذين أمرنا ألا نصدقهم ولا نكذبهم "(1) فلو أنه بلغه عن أهل الكتاب؛ لكان الظن به أن يبين ذلك ، فسكوته دليل على أنه بلغه عمن يرتضي قوله ، ولكنه لم يشأ التصريح بنسبة ذلك إلى الرسول على أنه الرسول على أن أبا سعيد كان يعتقد بطلان هذا الوصف لما أخبر به إخبار مقر بذلك ، مع أن هذا الوصف ورد أيضاً عن غيره بروايات مرفوعة عن أبي هريرة وابن مسعود وسعيد بن هلال .

وخلاصة القول: أنه يتضح مما سبق في وصف الصراط: أنه أحد من السيف، وأدق من الشعرة، وأن قول من ذهب إلى أنه من ضرب المثل للخفي الغامض بالشيء المعروف، أو أن كونه أحد من السيف بسرعة إنفاذ الملائكة لأمر الله، وأن كلا من الرقة والحدة كناية عن شدة المشقة، أو أن ذلك الوصف للصراط راجع إلى يسره وعسره على قدر الطاعات. . . إلى آخر أقوالهم السابقة؛ فإنها كلها تأويلات لا تتفق مع ظواهر النصوص، وليس لأهلها ما يستندون عليه في هذا النفي؛ إلا مجرد الاستبعاد لأن يكون الضراط بهذا الوصف الدقيق، مع ما جاء أن الملائكة تقف على جانبيه، وأن الناس يمشون عليه، وأن عليه كلاليب وحسكاً، إلى آخر أوصافه التي تدل برعمهم على نفي أن يكون أحد من السيف وأدق من الشعرة وقد سبق أن ذلك غير مستحيل على الله تعالى .

وعلى هذا؛ فإن القول الراجح: أن هذه الأوصاف، وإن كانت واردة في

⁽١) النشر الطيب جـ ٢ ص ٣٨١.

الصراط، فإنها لاتمنع أن يكون الصراط بهذا الوصف من الدقة، ويمشي عليه الناس؟ فإن قدرة الله تعالى ليس لها حدود.

ويدل لهذا الترجيح أمور:

١ ـ ورود روايات وأخبار تفيد ذلك، كما ذكرت سابقاً.

٢ ـ أن هذه الصفات هي التي قواها جمهور العلماء واعتقدوا
 صحتها، كما تدل عليه أقوالهم الآتية:

* قال الحافظ أبو عبد الله عبيد الله بن بطة العكبري: «جاء في الحديث: أنه أحد من السيف وأدق من الشعرة»(١).

* وقال النووي: "وأصحابنا المتكلمون وغيرهم من السلف يقولون إن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف، كما ذكره أبو سعيد الخدري رضى الله عنه "٢٠).

* وقال السفاريني: «قال العلماء: الصراط أدق من الشعرة، وأحد من السيف، وأحمى من الجمرة»(٣).

* وقال القرطبي ـ يرد على من يزعم استبعاد وصف الصراط بأنه أحد
 من السيف وأدق من الشعرة ـ:

⁽١) كتاب الإبانة ص ٩٦. تحقيق د. رضا نعسان.

⁽٢) شرح النووي لمسلم جـ ١ ص ٤٣٠ .

⁽٣) لوامع الأنوار جـ ٢ ص ١٩٠.

«ما ذكره هذا القائل مردود بما ذكرنا من الأخبار ، وأن الإيمان يجب بذلك، وأن القادر على إمساك الطير في الهواء؛ قادر على أن يسك عليه المؤمن؛ في حجريه أو يمشيه، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند الاستحالة، ولا استحالة في ذلك للآثار الواردة في ذلك، وبيانها بنقل الأثمة العدول، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نورا".

٣- أن الذين نفوا ثبوت تلك الصفات؛ ليس لهم مستند في نفيهم إلا الاستبعاد العقلي أن يكون بهذه الصفة وعشي عليه البشر، ولكن هذا الاستبعاد ـ كما قدمنا ـ لا يدل على أن الصراط لا يكون بذلك الوصف الذي يثبته أهل السنة «أنه أحد من السيف وأدق من الشعرة»؛ لأن الله قادر على أن عشيهم على ما هذه صفته، وليس ذلك على الله بعزيز.

فقد عرف في الدنيا - بالمشاهدة - أن من أتقن رياضة شيء، سهل عليه ما يصعب على غيره، وقد ذكر كثير من الناس: أن بعض من أتقن الرياضة يستطيع أن يمشي على الحبل الدقيق، فإذا كان هذا يحصل في الدنيا من البشر؛ فكيف يعجز الله تعالى أن يمشيهم على الصراط؟ .

فنفي صفة الصراط بحجة أنه لا يمكن المشي عليه وهو بهذه الدقة والحدة تأويل بعيد جداً، وذلك التأويل باطل - كما قال السفاريني: « لوجوب حمل النصوص على حقائقها»، «وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء، أو الطيران في الهواء، أو الوقوف فيه»(٢).

أما من ناحية مرور الخلق على الصراط: فقد سبقت الإشارة إليه في

⁽١) التذكرة ص ٣٣٣.

⁽٢) لوامع الأنوار جـ ٢ ص ١٩٢.

الأحاديث السابقة، وقد بينت تلك الأحاديث أن الخلق يختلفون في مرورهم عليه اختلافاً عظيماً، ومتفاوتاً غاية التفاوت، قوة وبطئاً، صعوداً وانحداراً، فوزاً وخسارة، ذلك أن السير عليه يكون بطريقة لا مثيل لها في الدنيا، وبحركب لا عهد للناس به، ذلك المركب هو العمل، وعلى كثرته أو قلته يكون السير على الصراط.

ولأن الناس أعمالهم مختلفة؛ فإن العبور عليه يكون كذلك مختلفاً.

فقسم من الناس يمرون عليه مثل طرف العين، وهؤلاء أعلى الناس مرتبة وأشرفهم منزلة.

وقسم آخر يمرون مثل البرق، وهؤلاء مثل أهل المنزلة السابقة، أهل الأعمال الكثيرة والدرجات العظيمة العالية.

وبعدهم قسم يمرون كالريح، وهم أقل من السابقين وأكثر ممن بعدهم وهم على خير كثير وفوز عظيم.

وبعدهم قسم آخر، وهم أناس يمرون مثل أجاويد الخيل، وهؤلاء أقل عسملاً. وفوزاً ممن سبقهم، وهم أول درجات الضعف في المرور على الصراط.

ثم يأتي بعدهم من يمر كأجاويد الركاب

ثم بعد هؤلاء الفضلاء تأتي الأقسام الأخرى، وهم الذين يخاف عليهم، وهؤلاء يعبرون بعد الجهد والمشقة، ومنهم من يخرج ويتم العبور، ومنهم من لم تكتب له السعادة مطلقاً أو مؤقتاً؛ فتخطفهم النار ويهوون فيها.

وأول هؤلاء من يخرج وهو ناج مسلم، لكنه بعد أن يئس ورأى أنه من الهالكين، ولكنه أحسن حظاً ممن يليه، وهم الذين ينجون ويتمون العبور على الصراط؛ لكن بعد أن أصابتهم الخدوش؛ ورأوا من الأهوال ما توقعوا به السقوط لولا لطف الله بهم.

وهؤلاء حينما يخرجون؛ يلتفتون إلى النار ويقولون: الحمد لله الذي نجانا منك بعد أن أراناك، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحداً.

ثم يأتي بعد أولئك، آخر الناجين وأضعفهم سيراً، وهم من يسحبون سحباً، أو يزحفون زحفاً على الصراط، وربما فيهم من كان في الدنيا يقطع المسافات الطويلة في ساعات قليلة؛ بل في لحظات، ولكنه هنا، بطل حوله وقوته؛ فليس له مركب إلا عمله، الذي لم يسعفه في هذا الموقف الخطير كما أسعفته قوته في الدنيا.

ثم يبقى القسم الأخير: وهم من ساء حظه وغلبت عليه شقوته، وهؤلاء لا يتمون المرور؛ بل يكدسون ويسقطون في جهنم، تخطفهم الكلاليب من كل جانب؛ لأنهم ليس لهم ما يمنعهم منها كما حصل لمن سبقهم.

وهناك أحوال كثيرة في صفة مرورهم عليه، و كلها تدل على أن المرور على الصداط إنما يتم وفق مقدار العمل الصالح الذي قدمه الشخص لنفسه في حياته الدنيا؛ فهو المركب الوحيد هنا. (١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه - أن رسول الله عَلَي قال - في صفة مرورهم ذلك، وتوزيع الأنوار عليهم -: «فيعطون نورهم على قدر أعمالهم»،

⁽۱) انظر: صحيح البخاري جـ ۱۳ ص ٤٢١ وجـ ۱۱ ص ٥٤٤، وانظر: صحيح مسلم جـ ١ ص ٤٣٨ وص ٤٧٥ وكذا ص ٤٣٠.

وقال: « فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك، ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه، ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر من يعطى نوره على إبهام قدمه يضييء مرة ويطفأ مرة؛ إذا أضاء قدم قدمه، وإذا أطفأ قام.

قال: فيمر ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف، دحض مزلة، فيقال لهم: امنطوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كشد الرجل، يرمل رملاً.

فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه: تخر يد وتعلق يد، وتخر رجل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار؛ فيخلصون، فإذا خلصوا، قالوا: الحمد لله الذي نجانا منك بعد أن أراناك، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحداً، (١).

وعند ابن أبي حاتم في التفسير - من طريق أبي الزعراء عن ابن مسعود في صفة مرورهم على الصراط -: أنهم يمرون «كمر البرق، ثم الريح، ثم الطير، ثم أجود الخيل، ثم الإبل، ثم كعدو الرجل، حتى إن آخرهم رجل نوره على موضع إبهامي قدميه، ثم يتكفأ به الصراط»(٢).

وقد اختلف العلماء في إعطاء المنافقين أنواراً يمشون بها كالمؤمنين، هل يحصل ذلك أو لا؟ اختلفوا فيه إلى قولين ذكرهما ابن رجب رحمه الله بقوله:

«وقد اختلف السلف: هل يقسم للمنافق نور مع المؤمنين ثم يطفأ؟ أو لا يقسم له نور بالكلية؟ على قولين:

١ ـ قول من ينفي ذلك، وأنه لا يقسم له نور بالكلية، قال صفوان

⁽١) أخرجه الحاكم في المستدرك جـ ٢ ص ٣٧٦.

⁽٢) فتح الباري جـ ١١ ص ٤٥٣.

ابن عمرو: «حدثني سليم بن عامر سمع أمامة يقول: يغشى الناس ظلمة شديدة ـ يعني يوم القيامة ـ ثم يقسم النور؛ فيعطى المؤمن نوراً ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئاً، وهو المثل الذي ضربه الله في كتابه، قال تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتِ فِي بَحْرِ لُجِي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِن فَوْقهِ مَوْجٌ مِن فَوْقهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْق بَعْضَ إِذَا أَخْرَجَ يَدّهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاها وَمَن لَمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُوزًا فَما لَهُ مِن نُورٍ ﴾ [النور: ٤٠].

فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن، كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير ﴿ يَــوْمَ يَقُــولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَــاتُ لِلَّذِيــنَ آمَنُــوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴾ [الحديد: ١٣].

قال: وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين، قال عز جلاله: ﴿ يُخَادِعُونَ اللّه وَهُو خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢]؛ فيرجعون إلى الموضع الذي قسم فيه النور؛ فلا يجدون شيئاً؛ فينصرفون إليهم ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيسِهِ الرّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قَبِلِهِ الْعَذَابُ ﴾ إلى قوله ﴿ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ الحديد: ١٣ ـ ١٥].

قال سليم (١٠) : « فلا يزال المنافق مغتراً حتى يقسم النور ويميز الله بين سبيل المؤمن والمنافق» (٢٠) .

٢ - «أنه يقسم للمنافقين النور مع المؤمنين؟ كما كانوا مع المؤمنين في الدنيا، ثم يطفأ نور المنافق إذا بلغ السور»(٣).

⁽١) يعنى الراوي عن أبي أمامة وهو سليم بن عامر.

⁽٢) التخويف من النار ص ١٧٢ وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

⁽٣) المصدر السابق وعزاه إلى مجاهد.

وروى عتبة بن يقظان عن عكرمة عن ابن عباس قال: ليس أحد من أهل التوحيد إلا يعطى نورا يوم القيامة، فأما المنافق فيطفأ نوره، فالمؤمن يشفق مما يرى من إطفاء نور المنافق؛ فهم: ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا ﴾ [التحريم: ٨].

وقال آدم بن أبي إياس: أنبأنا المبارك بن فضلة عن الحسن قال: قال رسول الله عَلَيْ : ويدفع يوم القيامة إلى كل مؤمن نور، وإلى كل منافق نور؛ فيمشون معه، فبينما نحن على الصراط، إذ غشينا ظلمة؛ فيطفأ نور المنافق ويضيء نور المؤمن، فعند ذلك قالوا: ﴿ رَبّنا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ﴾ حين يطفيء نور المنافقين، (۱).

وفي الختام أود التنبيه إلى أن أخباراً وردت، في صفة مرور البشر على الصراط، تحتاج إلى إثبات، منها: ما قيل من أنه لا يمر على الصراط أحد إلا بجواز فيه التصريح له بدخول الجنة؛ وهذا كالخبر الذي أورده ابن كثير عن سلمان الفارسي أن رسول الله على قال: «يعطى المؤمن جوازاً على الصراط: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان، أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية، (٢).

فهذا الخبر فيه نظر ؛ لأن ظواهر الأحاديث الصحيحة تدل على خلافه، وأن المؤمن يمر على الصراط بهيئات مختلفة دون جواز، وإنما جوازه عمله لا غير.

⁽١) التخويف من النار ص ١٧٣.

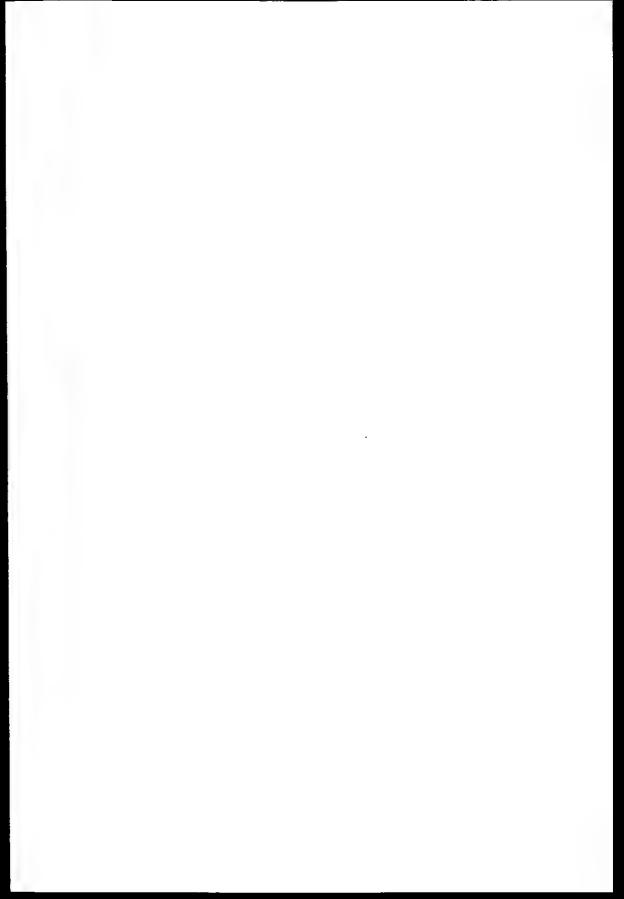
⁽٢) النهاية لابن كثير جـ ٢ ص ١٨٩ وعزاه إلى الحافظ الضياء المقدسي.

•على الصراط عقبة لا يجوزها أحد إلا بجواز من علي بن أبي طالب، فقال على: سمعت رسول الله عَلَي في الله على لاتكتب جوازاً لمن سب أبا بكر وعمر، فهذا الحديث قد رواه الخطيب وقال: موضوع عمل القصاص(١).

وكذلك ما يروى عن علي رضي الله عنه، حديث: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، ونصب الصراط؛ لم يجز أحد إلا من كان معه براءة بولاية علي رضي الله عنه، وهذا الحديث رواه الحاكم عن علي مرفوعاً، قال ابن الجوزي: موضوع، وقال صاحب الميزان: هذا خبر باطل.

⁽١) انظر: القوائد المجموعة ص ٣٨١.





الفصل الرابع متى يتم المرور على الصراط؟

ترتيب المرور على الصراط من المسائل التي لم تحدد بنص ثابت فيما رأيت _ إلا أنه بالنظر إلى الترتيب الزمني ؛ فإنه يمكن أن يقال: إنه يقع بعد الأمور التي تتم في الموقف ؛ من العرض والحساب والصحف والميزان، وذلك يكون قبل انصراف الخلق.

وهذا هو ما أشار إليه البرديسي في قوله: «فإذا وقع السؤال، ونصبت موازين الأعمال، وتطايرت الكتب عن اليمين والشمال؛ وضع الصراط على متن جهنم»(۱)، وهو ما نقله أيضاً عن القرافي بقوله: «قال القرافي: وقت المرور عليه بعد الحساب»(۱).

وترجيح القول بأنه يقع بعد هذه الأمور التي تتم في الموقف؛ نظراً إلى أن الغرض من وضع الصراط إنما هو لانصراف الناس إلى أماكن استقرارهم من الجنة أو النار، فهو متأخر عن كل ما يقع في الموقف.

قال العلامة علي بن علي بن أبي العز الحنفي: «ونؤمن بالصراط، وهو جسر على جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف، إلى الظلمة التي هي دون الصراط.... وذكر حديث عائشة، ثم قال: وفي هذا

⁽١) تكملة شرح الصدور ص ٣٠.

⁽٢) المصدر السابق ص ٣٢.

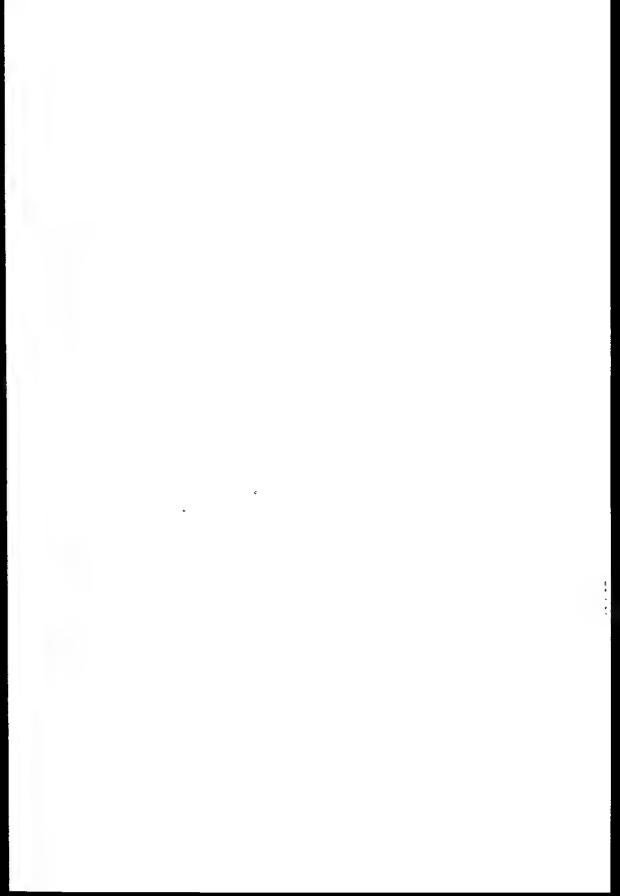
الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم (١٠).

ويظهر أن الناس جميعهم ينتقلون من الموقف إلى الظلمة ـ التي هي دون الجسر ـ كما أفادته النصوص .

* * *

⁽١) شرح الطحاوية ص ٤٩٦.





الفصل الخامس الدكمة في نصب الصراط

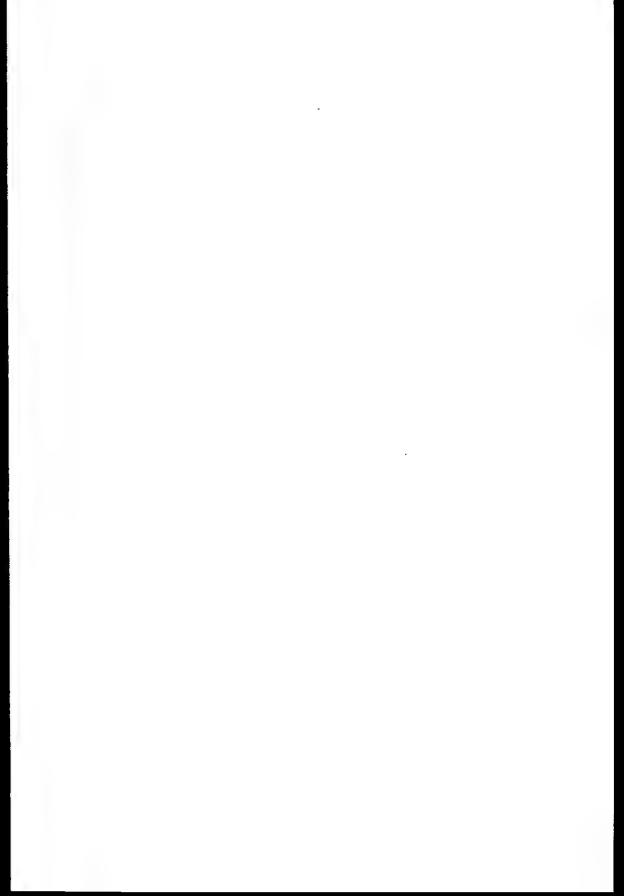
لله تعالى حكم في خلقه، وفي كل أمر من الأمور، بعضها بما يكون للعقل في استنباطه مجال، وبعضها لا يستطيع إدراك شيء منها؛ لضعفه وقصوره عن إدراكها.

ومن تلك المسائل التي ليس للعقل في تفصيلها مجال إلا بالاستناد إلى النص: الحكمة من نصب الصراط؛ إذ إن الله تعالى لو شاء أن يجتاز الخلق إلى الجنة وإلى النار دون نصب الصراط لكان ذلك ممكناً في مقدور الله تعالى؛ إذ ليس الغرض من نصبه ليستطيع الخلق السير، وإنما في ذلك حكم كثيرة وأسرار عظيمة.

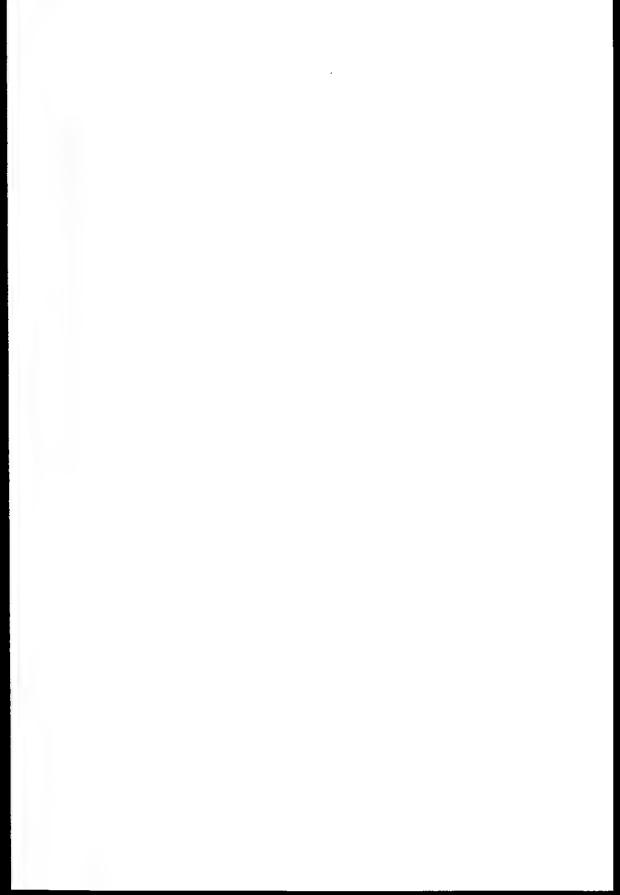
ومع ذلك فإن بعض العلماء يحاولون استنباط بعض الحكم، ويجهدون عقولهم في ذلك، قال البدر الزركشي: «الحكمة في نصبه: ظهور عظيم فضل الله تعالى للمؤمنين في النجاة من النار، ومصير الجنة بعد أسر لقلوبهم، وليتحسر الكافر بفوز المؤمنين بعد اشتراكهم في الورود»(١).

ولعل هناك حكماً أخرى لم يطلع عليها أحد إلا الله سبحانه وتعالى، وليس تكلف القول في البحث عن الحكم مما كلفنا به، وإنما المهم في هذا هو الإيمان بما ورد به النص من نصب الصراط ومرور الناس عليه على الحالات التي وصفها رسول الله على الحالة.

⁽١) تكملة شرح الصدور ص ٣٢.







الفصل السادس مسافة الصراط

لم أجد نصاً صحيحاً يثبت مسافة الصراط، ومقدار ما يجتاز العابرون عليه من الزمن، وحيث أن المسائل الغيبية _ ومنها هذه المسألة _ لا يصح فيها القول إلا بدليل ثابت؛ فإنني سوف أورد هنا ما قاله بعض أهل العلم في مقدار السير عليه، وحكم هذه الأقوال للتنبيه عليها.

وفي رواية أخرى عنه أنه قال لبشر بن الحارث: « يا بشر ، مسيرة الصراط خمسة عشر ألف فرسخ ، فانظر كيف تكون على الصراط»! (٢) .

وروى فيض بن إسحاق عن الفضيل قال: «الصراط أربعون ألف فرسخ» (۳).

ويعزو ابن كثير بسنده إلى أبي واعظ الزاهد أنه قال: "بلغني أن الصراط

⁽١) فتح الباري جـ ١٦ ص ٤٥٤، لوامع الأنوار جـ ٢ ص ١٩١.

⁽٢) التخويف من النار ص ١٧٥.

⁽٣) المصدر السابق ص ١٧٦

ثلاثة آلاف سنة: ألف سنة يصعد الناس عليه، وألف سنة يستوي الناس، وألف سنة يهبط الناس (١٠).

ويقول القرطبي: «فمنهم من يجوز الصراط على مائة عام، وآخر يجوز على ألف»(١).

وقال الوزاني فيما ينقله عن الغزالي: «وفي كلام الغزالي أن منهم من يجوز على ماثة عام، وآخر على ألف عام»(٢٠).

وعن الأقفهسي قوله: «ورد في بعض الأحاديث مسيرة ثلاثة آلاف سنة: ألف سنة صعود، وألف استواء، وألف هبوط»(٤).

وقال الوزاني: «وقيل: خمسة عشر ألف سنة: خمسة آلاف صعود، وكذا الاستواء والهبوط»(٥).

ويقول الجيلاني: «إن طوله ثلاثماثة سنة من سني الآخرة، يجوزه الأبرار، وتزل عنه الفجار، وقيل: ثلاثة آلاف سنة من سني الآخرة»(١).

وقال محمد بن السماك: «سمعت رجالاً من زهاد أهل البصرة يقولون: الصراط ثلاثة آلاف سنة: ألف سنة يصعدون فيه، وألف سنة يستوي بهم، وألف سنة يهبطون منه (٧٠٠).

وقال البرديسي: «قال الأكشرون: الصراط جسم ، طرفه في أرض

⁽١) النهاية لابن كثير جـ ٢ ص ١٨٠ وانظر: ص ١٧٩.

⁽٢) التذكرة جـ ٣٣٠.

⁽٣)، (٤)، (٥) النشر الطيب جـ ٢ ص ٣٨٠.

⁽٦) الغنية جرا ص ٧١.

⁽٧) التخويف من النار ص ١٧٦

القيامة، وطرفه الثاني في أرض الجنة، وهو على متن النار، وقالوا: إن أرض القيامة تكون على النار، وعليه يكون اجتماع الخلائق بأسرهم، ويكون الذهاب للجنة على الصراط، ولا سبيل لها إلا عليه، وهو المعني بقوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾(١).

ونسب إلى الأقفهسي قوله: «قال الأقفهسي: في بعض الأحاديث مسيرته ثلاثة آلاف سنة: ألف سنة صعود، وألف سنة هبوط، وألف سنة استواء»(٢) وهو ما نقله عنه الوزاني كما سبق ذكره.

والواقع أن تلك الأقوال وغيرها مما ورد في تحديد مسافة الصراط؛ مما لم يتضح دليله، وتكلف القول بالتحديد، دون دليل ظاهر فيها، مما لا ينبغي، ولا أدل على هذا من البون الشاسع فيما ذكروه من المسافات.

ومعلوم أن سبب ذلك يرجع إلى عدم وجود نص قاطع عن النبي عَلَيْهُ وَتَبقى هذه الأقوال الواردة عن بعض العلماء أقوالاً لا يثبت بها مثل هذا الأمر الغيبي.

أضف إلى هذا أن العلماء وهم يذكرون تلك المسافات لم يجزموا برفعها إلى رسول الله عَلَيْ الله بسند صحيح؛ بل صدروا كلامهم عند الإخبار لهذه المسافات بصيغ لا تدل على الجزم؛ بل يقولون: روي، وقيل، وبلغنا.

والظاهر الذي يتبين من النصوص أن المسافة التي يقطع بها الجسر من الأمور التي لا تنضبط، وذلك لاختلاف الأعمال التي هي مطية السير عليه،

⁽١) تكملة شرح الصدور ص ٣٢.

⁽٢) المصدر السابق ص ٣٢.

فمن كان في هذه الحياة مستقيماً على الصراط المعنوي، من التمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه على أله ، قوياً في دينه، مسرعًا إلى طاعة الله ومرضاته ؛ استقام على ذلك الصراط الحسي وسار عليه بسرعة كلمح البصر أو البرق أو الريح أو جياد الخيل، إلى غير ذلك مما ورد به النص، ومن لم يستقم عليه ؛ لم يستقم على الصراط الحسي وزل عنه وتأخر في سيره ؛ فهو يزحف، أو يسحب سحباً، أو يقوم مرة ويقف أخرى.

قال أبو طاهر القرويني: «ومن اعتاد المرور في الدنيا على صراط الإسلام؛ هان عليه المرور على صراط الآخرة، ومن لم يتعود ذلك في الدنيا؛ صعب عليه وزلت قدمه، وهل هذا الصراط إلا مثال محسوس للصراط المعنوي وبالجملة، فسرعة مرور الناس على صراط الآخرة وبطؤهم يكون على حسب مبادرتهم إلى مرضاة الله وبطئهم عنها»(۱).

وما تقدم من الأقوال التي تحدد مسافة الصراط فإنها ـ إضافة إلى عدم ثبوتها ـ لم تكن مقبولة لدى جميع العلماء، فقد حكم الحافظ ابن حجر على رواية الفضيل بن عياض بأن خبرها: «معضل لا يثبت»، وعلى رواية سعيد ابن أبي هلال بأن خبرها: «مرسل أو معضل»(٢).

والوزاني - بعد أن نقل بعض تلك الأقوال التي ذكرناها عنه في تحديد مسافة العبور على الصراط - ذكر أن القول الحق في هذا: «هو عدم التعويل على عدد»(٣).

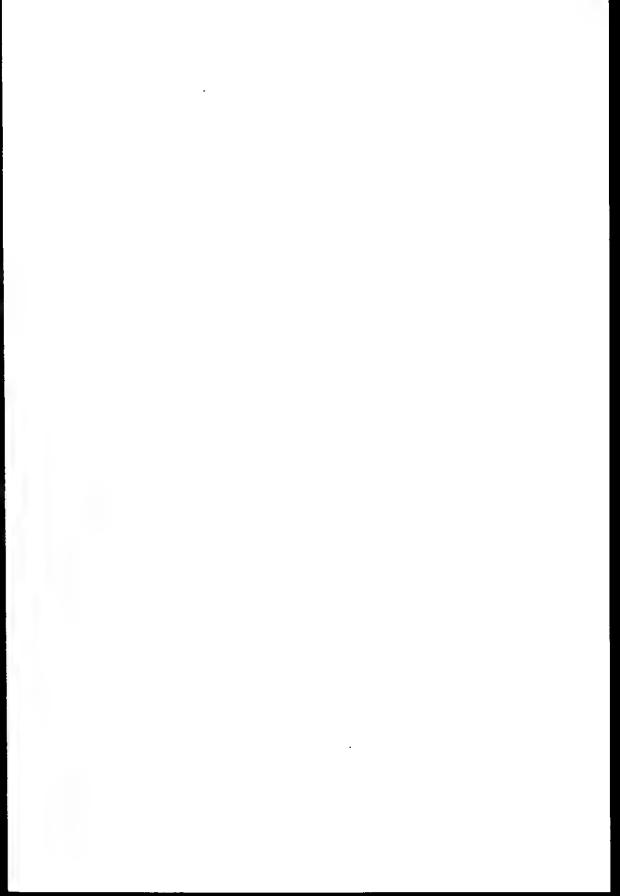
⁽١) النشر الطيب جـ ٢ ص ٣٨٠.

⁽٢) فتح الباري جـ ١١ ص ٤٥٤.

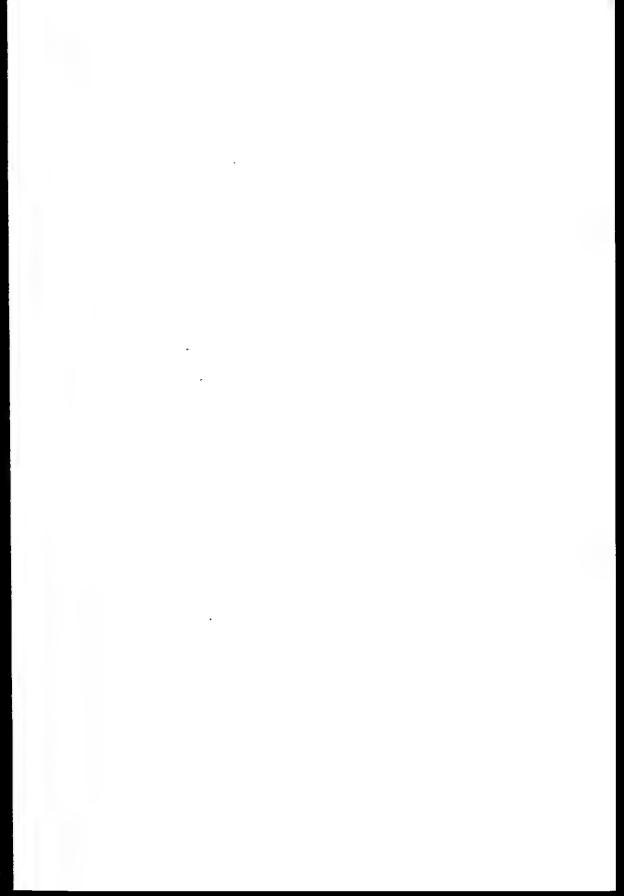
⁽٣) النشر الطيب جـ ٢ ص ٣٨٠.

وعلى هذا؛ فإن القول بتحديد مسافة العبور على الصراط بمدة محددة أمر غير ثابت، وأن مرد ذلك إلى العمل، كما تفيده النصوص؛ فتكون السرعة والبطء إنما هو نتيجة للعمل لا لطول المسافة ولا لقصرها، والله أعلم بحقيقة ذلك.

告 告 告







الفصل السابع الهنكرون للصراط

بعرض ما تقدم من الأدلة التي تشبت الصراط، والأدلة التي تشبت صفاته؛ يتضح جلياً أن ثبوت الصراط أمر حق لا جدال فيه، وأن الإيمان به واجب، وأن المنكرين له مهما تمسكوا به من تلمسات بعض الأدلة فإنها داحضة مردودة، تردها الأدلة الثابتة التي تواترت.

أما أولئك المنكرون فليس لهم ما يتمسكون به، لا من العقل ولا من النقل، ويتمثل إنكارهم فيما يأتي:

١ ـ قسم أنكره مطلقاً.

٢ ـ وقسم أنكر الصفات الواردة له في الشرع وأرجعها إلى معان أخرى
 بتأويلات باطلة.

أما الذين نسب إليهم إنكاره مطلقاً فهم المعتزلة، فيما يذكر بعض العلماء عنهم، كما في قول الشيخ الطيب: «وأنكره المعتزلة رأساً، قالوا: لأنه لا يمكن العبور عليه، وإن أمكن؛ فهو تعذيب للمؤمنين (١٠).

ويقول الوزاني عنهم: «وحملوا الصراط الوارد في الأحاديث على معناه اللغوي، فقالوا: المراد به طريق الجنة وطريق النار، ومعنى هذا أنهم

⁽١) النشر الطيب جـ ٢ ص ٣٨٠ وانظر: لوامع الأنوار جـ ٢ ص ١٩٢.

ينكرون الصراط الوارد به وبصفاته الشرع ـ

ونقل عنهم أيضاً أنهم يقولون عن الصراط إن «المراد به الأدلة الواضحة»(١).

وهو كذلك ما يذكره عنهم السفاريني في كتابه لوامع الأنوار(٢).

ولكن بالرجوع إلى كتب المعتزلة، فإننا نجد القاضي عبد الجبار يفسر الصراط بأنه الطريق فقط، وأن إثبات صراط أحد من السيف وأدق من الشعرة إنما هو من وصف الحشوية - كما يزعم - غير أنه لم يرتض قول كثير من مشايخهم - فيما يذكر - من ذهابهم إلى أن الصراط المراد به الأدلة الواضحة .

ويظهر بوضوح من تعريف القاضي عبد الجبار للصراط بأنه لا يثبت صراحة ذلك الصراط الوارد به وبصفاته الشرع فهو يقول: وهو طريق بين الجنة والنار، يتسع على أهل الجنة ويضيق على أهل النار إذا راموا المرور عليه "(۲).

وهذا التعريف الذي أثبته عبد الجبار لا ينطبق على الصراط الذي قدمنا وصفه من السنة النبوية، بل هو إثبات للصراط دون صفاته المذكورة في الأحاديث التي مر ذكرها.

وزعم القاضي عبد الجبار أن ما ورد من وصف الصراط بأنه أحد من السيف وأدق من الشعرة، وأن المكلفين يكلفون اجتيازه والمرور به، فمن

⁽۱) النشر الطيب جـ ٢ ص ٣٨٠.

⁽٢) لوامع الأنوار جـ ٢ ص ١٩٣.

⁽٣) شرح الأصول الخمسة ص ٧٣٧.

اجتازه فهو من أهل الجنة، ومن لم يمكنه ذلك فهو من أهل النار، زعم أن هذا الوصف إنما يعتقده الحشوية؛ لأن تلك الدار في زعمه قليست هي بدار تكليف حتى يصح إيلام المؤمن، وتكليفه المرور على ما هذا سبيله في الدقة والحدة.

وهذا غير مسلم، فقد ذكر بعض العلماء في الرد على المعتزلة وأمثالهم أن التكليف لا ينقطع حتى يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار والشواهد على ذلك كثيرة؛ منها السؤال في القبر، ومنها التكليف باجتياز الصراط، إلى غير ذلك.

ثم يعود القاضي فيذكر عن كثير من مشائخهم أنه ليس هناك صراط حسي، لا واسع ولا ضيق، وأن ما ورد من ذكر الصراط فإنما يراد به المعاصي والطاعات، كما في قوله: «وقد حكى عن كثير من مشايخنا أن الصراط إنما هو الأدلة الدالة على هذه الطاعات التي من تمسك بها نجا وأفضى إلى الجنة، والأدلة الدالة على المعاصي التي من ركبها هلك واستحق من الله تعالى النار».

ولكنه لم يرتض هذا القول؛ حيث رده بقوله: « إنه «مما لا وجه له؛ لأن فيه حملاً لكلام الله تعالى على ما ليس يقتضيه ظاهره».

وإن هذا القول ـ فيما يذكر القاضي ـ لم يحك إلا عن عبادة منهم(١٠) .

ويتحصل مما سبق تقريره من مذهب المعتزلة: أن بعضهم ينفي الصراط مطلقاً، وأن بعضهم يثبته لكن بغير وصفه الذي نص عليه الحديث، وإنما

⁽١) شرح الأصول الحمسة ص ٧٣٧، ٧٣٨.

يشبتونه على أنه طريق واضح بين الجنة والنار، يضيق على أهل العصيان ويتسع للمؤمنين.

وظهر كذلك أن من نسب إلى المعتزلة القول بإنكار الصراط مطلقاً، وأنهم يؤولونه بالأدلة الدالة على وجوب الواجبات وقبح المقبحات؛ ليس دقيقاً في حكمه؛ لأن هذا الرأي ليس لجميعهم، وإنما هو رأي تفرد به عبادة ـ حسب ما ذكر القاضي عبد الجبار ـ وهو من كبار علماء المعتزلة.

وإذا كان المعتزلة ينكرون الصراط وما ورد من صفاته؛ فإنهم لم يكونوا وحدهم في هذا الإنكار؛ بل قد شاركتهم فيه فرقة الإباضية، كما يذكر ذلك الطالبي في كتابه «آراء الخوارج»، فيقول عنها بأنها «تعتقد أن الصراط والميزان معنويان»، ثم قال ناقلاً عن أحد علمائهم وهو المصعبي - « وذكر عبد العزيز المصعبي صاحب كتاب «معالم الدين» أن الإباضية تنكر الصراط» (1).

وإذا كان أولئك قد نفوا وجود الصراط؛ فإن زعيم المنكرين لوجوده هو الجهم بن صفوان، فهو ينكر أن يكون في يوم القيامة صراط مادي ينصب على جهنم ليعبر عليه البشر قبل ذهابهم إلى الجنة، وهو في إنكاره هذا ليس له مايستند عليه من الشرع، ولم تعرف له حجة ولا برهان، شأنه شأن غيره

 ⁽۱) هذا الكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية كما يذكر الطالبي، وهذا النقل عنه من ص
 ۲٦٠.

⁽٢) آراء الخوارج ص ١٨٠، ثم قال الطالبي عن كلام المصعبي: «ولعله يقصد بذلك نكران الصراط الحسي».

أما بالنسبة لفرقة الإباضية: فهي فرقة قائمة بنفسها حسب ما يذكرونه في كتبهم، وينسبون مذهبهم إلى عبد الله بن إباض، وعند علماء الفرق السابقين كالأشعري والشهرستاني وابن حزم والبغدادي وغيرهم يذكرونهم في عداد الخوارج. انظر «الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها».

ممن ينفي الصراط الحسي في يوم القيامة دون دليل.

قال خالد العلي: «ولا تذكر المصادر الحجج والبراهين التي استند عليها الجهم في نفي الصراط المادي»(١).

وقد تلمس له بعض الحجج في هذا الإنكار، وهي حجج أو اعتذارات غير مجدية لجهم في نفي الصراط، فيقول: «وربما كان نفي جهم لفكرة الصراط متأتيا عن اعتقاده بأن المؤمن يذهب إلى الجنة مباشرة، وأن لا حاجة للجسر ليختبر عليه العباد، فالمؤمنون يذهبون إلى الجنة، والكفار إلى النار، وذلك لأن جهماً يعتقد أن الإيمان لا يقبل الزيادة ولا النقصان، فمن كان في قلبه إيمان دخل الجنة بدون اختبار.

ومن جهة أخرى قد يكون اعتقاد جهم أن الإسلام هو الصراط، وبذلك يدخل الجنة كل من اتبع الإسلام وآمن به، وتكون النار مصير من حاد عنه وزاغ عن طريقه»(۲).

وأما القسم الآخر ـ وهم الذين ينكرون صفات الصراط، ـ فقد تقدم ذكرهم في مبحث وصف الصراط.

وإذا كان قد وجد من ينفي الصراط أو صفاته . وهو اعتقاد خاطئ . فإنه قد وجد في الجانب المقابل من يغالي في إثبات الصراط حتى يصل في إثباته إلى الخرافات ونفي حقيقة الصراط، حيث يذهب إلى القول بأن الصراط هو شعرة من شعر جفون مالك خازن النار.

⁽١) جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي ص ٢٤٣.

⁽٢) جهم بن صفوان ص ١٤٤.

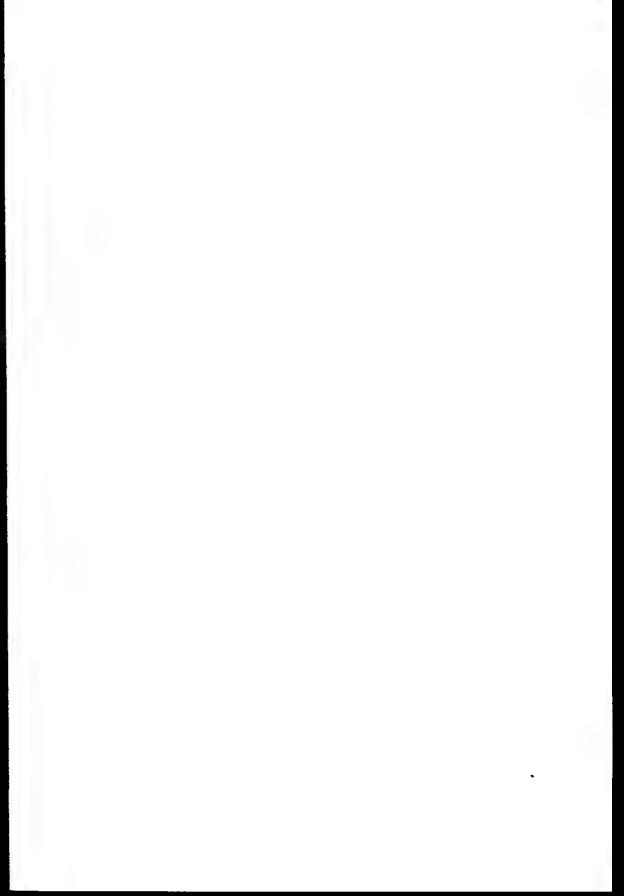
وهؤلاء النفاة والمثبتون هم على طرفي نقيض؛ فإن النفاة أنكروا ما ثبت وقوعه، وهؤلاء أثبتوا ما لم يثبت وقوعه، وهؤلاء في إثباتهم هذا قد نفوا الصراط الجقيقي؛ حيث أثبتوه شعرة من شعر جفون مالك خازن النار.

والقول الحق هو الوسط بلا إفراط ولا تفريط، وقول هؤلاء بأن الصراط شعرة من شعر جفون مالك خازن النار قول ساذج، وقد شنع عليه السفاريني بقوله: «ومن الخرافات الباردة زعم من زعم أن ماهية الصراط شعرة من شعر جفون مالك خازن النار، وهو كلام تنبو عنه المسامع ويكذبه كل سامع وإن نقله الحافظ برهان الدين الحلبي ـ فلا ينبغي أن يلتفت إليه ولا يعول عليه»(۱).

* * *

⁽١) لوامع الأنوار جـ ٢ ص ١٩٤.





الفصل الثامن هل يهر جميع الخلق على الصراط؟

وإذا كان الصراط قد نصب لأجل مرور الأم عليه؛ كما هو الغرض من نصبه، فهل يمر فيه جميعهم أم أن هناك من يستثنى من الخلق فلا يمر عليه؟

اختلف العلماء في هذه المسألة إلى فريقين:

فمنهم من يذهب إلى القول بأن بعض الخلق لا يمر عليه تشريفاً لهم، كالأنبياء، على الخلاف الذي نذكره في مبحث الورود، أو إهانة لهم وتعذيباً، كعتاة الكفار والمشركين؛ بل يذهب بهم مباشرة إلى النار قبل وضع الصراط.

ومنهم من يذهب إلى أن الكل يمر عليه.

وقد أشار ابن حجر إلى أن بعض الكفار لا يمرون عليه؛ بل يقذفون في النار قبل وضع الصراط (١٠) ، ولعله يريد عتاة الكفار لا جميعهم، ويكون مرور الكفار الآحرين على الصراط زيادة في تعذيبهم.

وينقل صاحب النشر الطيب عن الحليمي أنه زعم أن الكفار «لايمرون عليه»، ثم قال: «ولعله أراد الطائفة التي يرمى بها في النار من الموقف من غير مرور عليه، كذا قال بعضهم»، قال: «وسئل السيوطي: هل يمر إبليس

⁽١) فتح الباري جـ ١١ ص ٤٥٢.

والكفار عليه أم لا؟ فأجاب بقوله: صرح ابن برجان في الإرشاد بأن الكفار لا يمرون عليه، وفي الأحاديث ما يشهد له، وفي أحاديث أخرى ما يقتضي خلافه وأنهم يمرون.

وهذا يحمل في نظره على المنافقين، لدلالة بعض الروايات على ذلك، إلى أن يقول: «وعرف أن من تلتقطه عنق من النار من الكفار لا يمر عليه، وكذا بعث النار الذي يخرج من الخلق قبل نصب الصراط».

وهل يلتحق أهل الكتاب بالمنافقين في مرورهم على الصراط أم لا؟ .

أجاب صاحب النشر الطيب بقوله: «والظاهر أنه لا يمر على الصراط من الكفار إلا المنافقون وأهل الكتاب اليهود والنصارى، فهذه الفرق الثلاث ورد في الحديث أنهم يحملون عليه فيسقطون منه في النار، وكذا من ينصب له الميزان من الكفار، وهم طائفة مخصوصة يمرون عليه، ينظرون أوزانهم؟ لأن الميزان على الصراط»(۱).

وهو جواب البرديسي أيضاً.

وكون الميزان على الصراط مسألة تحتاج إلى إثبات؛ ذلك أن الظاهر من النصوص أن الحساب والميزان كل ذلك يقع في الموقف لا على الصراط الذي هو في الأصل موضوع لعبور الخلق عليه لا لحسابهم.

وقال البرديسي نقلاً عن شرح الجوهرة: «ير عليه جميع العباد، مكلفهم وغيسرهم، ذكورهم وإناثهم، سعيدهم وشقيهم، فدخل الأنبياء والصديقون، والمأرفون، والشهداء، والصالحون، والمرتابون، والمنافقون والزنادقة، والمسلمون (1).

⁽١) النشر الطيب جـ ٢ ص ٣٧٩، وانظر: تكملة شرح الصدور ص ٣٢.

⁽٢) تكملة شرح الصدور ص ٣٢.

وقال الحكيم: «الكفار لا يمرون على الصراط، قيل: وهو محمول على انتهاء المرور لا على ابتدائه»(١).

وذهب ابن رجب الحنبلي إلى أن المشركين لا يمرون على الصراط، فهو يقول: «واعلم أن الناس منقسمون إلى مؤمن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً، ومشرك يعبد مع الله غيره، فأما المشركون فإنهم لا يمرون على الصراط، وإنما يقعون في النار قبل وضع الصراط» (٢).

ثم استدل لهذا بما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي على أنه قال: ديجمع الله الناس، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه؛ فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها - أو منافقوها ، شك إبراهيم في أنياتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا؛ فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومنذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومنذ اللهم سلم سلم سلم "الله ألحديث في وصف الصراط والمرور عليه .

مناد: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم،

⁽١) تكملة شرح الصدور ص ٣٢ ـ

⁽٢) التخويف من النار ص ١٧١.

⁽٣) صحيح البخاري جـ ١٣ ص ٤٢١ .

وأصحاب الأوثنان مع أوثانهم، وأصحاب كل إله مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغبرات من أهل الكتاب.

ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب، فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا؛ فيتساقطون.

حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم، وإنا سمعنا منادياً ينادي: ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون، وإنما ننتظر ربنا، قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته (۱) التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق(۲) ؛ فيكشف عن ساقه؛ فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة، فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً.

ثم يؤتى بالجسر، فيجعل بين ظهري جهنم، قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجديقال لها السعدان، (٦) إلخ الحديث في وصف المرور عليه.

ثم قال ابن رجب: "فهذا الحديث صريح في أن كل من أظهر عبادة شيء سوى الله ـ كالمسيح والعزير ـ من أهل الكتاب فإنه يلتحق بالمشركين في الوقوع في النار قبل نصب الصراط، فعباد الأصنام والشمس والقمر وغير

⁽١)، (٢) لا يمنع أهل الحق إطلاق الصورة والساق على الرحمن عز وجل، لورود النصوص بإطلاقهما عليه جل وعلا، على صفة لا نعلمها، كما بينا ذلك فيما سبق.

⁽٣) صحيح البخاري جـ ١٣ ص ٤٢١.

ذلك من المشركين تتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا، فترد النار مع معبودها أولاً.

وقد دل القرآن على هذا المعنى في قوله تعالى في شأن فرعون ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقَيَامَة فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبَئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ [هود: ٩٨] .

وأما من عبد المسيح والعزير من أهل الكتاب، فإنهم يتخلفون مع أهل الملتسبين إلى الأنبياء، ثم يردون في النار بعد ذلك (١٠) .

قال: «وقد ورد في حديث آخر أن من كان يعبد المسيح يمثل له شيطان المسيح فيتبعونه، وكذلك من كان يعبد العزير، وفي حديث الصور أنه يمثل لهم ملك على صورة المسيح، وملك على صورة العزير، ولا يبقى بعد ذلك إلا من كان يعبد الله وحده في الظاهر ـ سواء كان صادقاً أو منافقاً ـ من هذه الأمة وغيرها، ثم يتميز المنافقون عن المؤمنين بامتناعهم من السجود، وكذلك يمتازون عنهم بالنور الذي يقسم للمؤمنين (1).

وير الناس على الصراط ولكن من عدا المؤمنين لا يكملون عبوره؛ بل يتساقطون فيه، وتخطفهم كلاليب النار، كل واحد في المكان الذي شاءه الله له، إلا من يلتقطهم عنق النار، فهؤلاء لا يمرون عليه ـ كغلاة الكفار ـ بل يخطفهم هذا العنق قبل اجتياز الأم على الصراط.

وصفة هذا العنق حسب ما تفيده بعض الروايات أن له لساناً وعينين تبصران، وأذنين تسمعان. ومن تلك الروايات ما يروى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي عَلَيْكُ أنه قال: وإذا جمع الله الناس في صعيد

⁽١) التخويف من النار ص ١٧١.

⁽٢) التخويف من النار ص ١٧٢

واحد يوم القيامة؛ أقبلت الناريركب بعضها بعضاً، وخزنتها يكفونها، وهي تقول: وعزة ربي لتحلن بيني وبين أزواجي أو الأغشين الناس عنقاً واحداً، فيقولون: من أزواجك؟ فتقول: كل متكبر جبار،(١)

وخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي عنه قال: «يخرج يوم القيامة عنق من الناد، لها عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق، تقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلها آخر، وبالمصورين، (٢).

قال ابن رجب عن هذا الحديث:

"وقد قبل إنه ليس بمحفوظ بهذا الإسناد" ، وإنما يرويه الأعمش عن عطية عن أبي سعيد عطية عن أبي سعيد عطية عن أبي سعيد عن أبي سعيد عن أبي سعيد عن أبي سعيد عن النبي عَنْ قال: «يضرج عنق من النار يتكلم يقول: وكلت اليوم بشلالة: بكل جبار عنيد، ومن جعل مع الله إلها آخر، ومن قتل نفساً بغير نفس، فتنطوي عليهم فتقذفهم في غمرات جهنم، خرجه الإمام أحمد وخرجه البزار ، ولفظه: «يخرج عنق من النار يتكلم بلسان طلق ذلق، لها عينان تبصر بهما، ولها لسان تتكلم بد، فتقول: إني أمرت بمن جعل مع الله إلها آخر، وبكل جبار عنيد، وبكل من قتل نفساً بغير نفس، فتنطلق بهم قبل سائر الناس بخمسمانة عام، (1).

⁽١) التخويف من النار ص ١٦٤ وعزاه إلى أبي يعلى الموصلي من حديث أبي الهيثم.

⁽٢) سنن الترمذي جـ ٤ ص ٧٠١ وقال حسن غريب صحيح.

⁽٣) التخويف من النار ص ١٦٤.

⁽٤) المستدجة ص ٤٠.

قال ابن رجب: «وقد روي عن عطية عن أبي سعيد موقوفاً»(١).

وأخرج الإمام أحمد كذلك عن عائشة عن النبي عَلَيْهُ أنه قال: ايخرج عنق من النار، فتنطوي عليهم ويتغيظ عليهم، ويقول ذلك العنق: وكلت بثلاثة، وكلت بثلاثة، وكلت بثلاثة، وكلت بمن لا يؤمن بيوم العداب، ووكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب، ووكلت بكل جبار عنيد، فينطوي عليهم فتطرحهم في غمرات جهنم (٢).

وقد ذكر العلامة ابن رجب كشيراً من الروايات في هذا المعنى، من خروج عنق النار، عن أسماء بنت يزيد عن النبي عَلَى من رواية شهر بن حوشب، ومن رواية أبي المنهال سيار بن سلامة عن شهر عن ابن عباس موقوفاً.

وعن أبي هريرة كما جاء في حديث الصور الذي خرجه إسحاق بن راهويه وأبو يعلى الموصلي وغيرهما.

وعن أبي هريرة أيضاً معزواً إلى تخريج ابن أبي الدنيا من طريق الشعبي عن أبي هريرة.

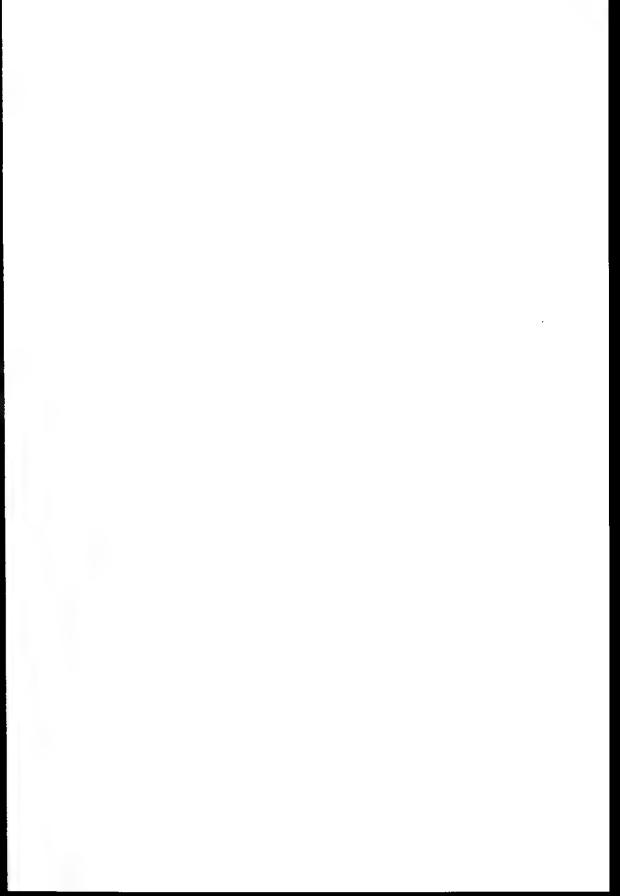
وبما رواه عبد الله ابن الإمام أحمد بإسناده إلى أبي عبد الله الجدلي عن عبادة بن الصامت وكعب»(٣).

وكل تلك الروايات تفيد أن الكل يمر على الصراط، إلا من غلا في الطغيان من الأصناف الذين مر ذكرهم.

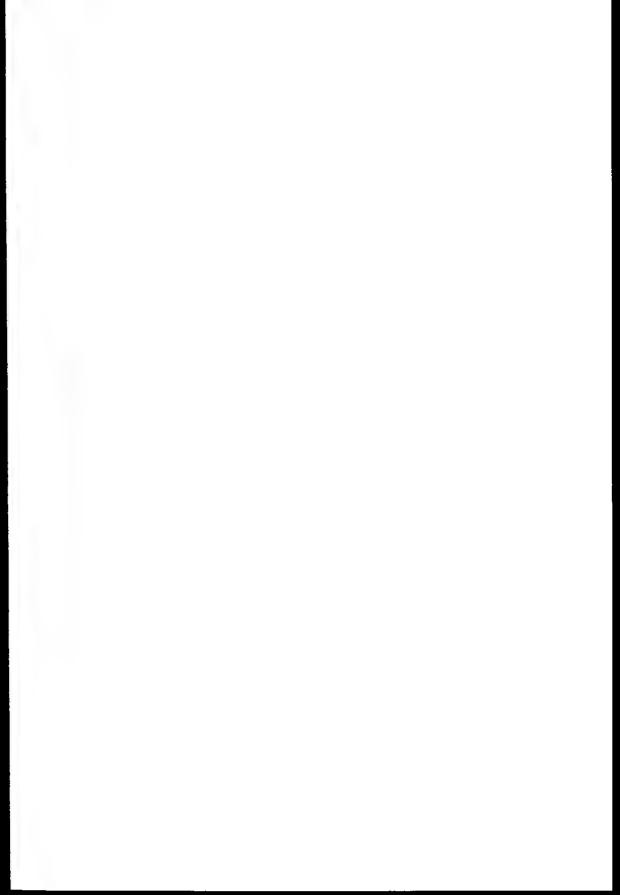
⁽١) التخويف من التار ص ١٦٤.

⁽٢) المستدجة ص١١٠.

⁽٣) انظر: التخويف من النار ص ١٦٣ ـ ١٦٥.







الفصل التاسع أول من يجوز الصراط

ثبت أن الرسول محمداً عَلَيْهُ وأمته هم أول من يجوزون الصراط؛ تكريماً وتشريفاً لهم؛ وإظهاراً لمكانة نبينا محمد عَلَيْهُ وأمته بين الأم، وقد قال عَلَيْهُ . كما في حديث أبي هريرة - «ويضرب جسر جهنم، قال رسول الله عَلِيْهُ : فاكون أول من بجين (۱) وهذه رواية البخاري.

وفي رواية الإمام مسلم قال عَلَيْ : ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتى أول من يجيز، (٢) .

ومعنى «أول من يجيز»: أي أول من يقطعه ويمضي عليه، قال النووي في ضبط هذه الكلمة إنها « بضم الياء وكسر الجيم، والزاي آخره، ومعناه: يكون أول من يمضي عليه ويقطعه، ويقال: أجزت الوادي وجزته، لغتان بمعنى واحد، وقال الأصمعي: أجزته: قطعته، وجزته: مشيت فيه (٢٠).

وقال القرطبي: «يحتمل أن تكون الهمزة هنا للتعدية، لأنه لما كان هو وأمته أول من يجوز على الصراط، لزم تأخير غيرهم عنهم حتى يجوز، فإذا أجاز هو وأمته فكأنه أجاز الناس)(1).

⁽١) صحيح البخاري جـ ١١ ص ٤٤٥.

⁽٢) صحيح مسلم جـ ١ ص ٤٣٠.

⁽٣) شرح النووي جـ ١ ص ٤٣٠.

⁽٤) انظر: فتح الباري جـ ١١ ص ٤٥٢.

وصفة ذلك أنه يناديهم مناد ليعبروا وهم بين الأم؛ فيقوم الرسول عُلِكُ حين يسمع ذلك النداء، ثم تتبعه أمته، كما في حديث عبد الله بن سلام وفيه: «ثم ينادي مناد: أين محمد وأمته؟ فيقوم، فتتبعه أمته برها وفاجرها، فيأخذون الجسر، فيطمس الله أبصار أعدائه، فيتهافتون عن يمين وشمال، وينجو النبي والصالحون»(۱).

وعن ابن عباس مرفوعاً: «فتفرج لنا الأم عن طريقنا، فنمر غراً محجلين من آثار الطهور، فتقول الأم: كادت هذه الأمة أن يكونوا أنبياء»(٢)

وقال البرديسي: «وأول من يجوز عليه محمد وأمته، فيمر أولهم كالبرق الخاطف، ثم كالريح، ثم كالطير، ثم كالخيل، ثم عدواً، ثم مشياً، ومن الناس من يزحف زحفاً، ومن الناس من يسحب سحباً، فمنهم من يسلم، ومنهم من يزل فيقع في جهنم، ومنهم من تخطفه كلاليب فتلقيه في النار، ويسمع للواقعين جلبة عظيمة وصياح عظيم يدهش العقول، والملائكة والأنبياء يقولون: رب سلم رب سلم، ولا ينطق يومئذ إلا الرسل"(").

ثم ذكر أن في بعض الروايات: «ثم عيسى وأمته، ثم موسى بأمته، يدعون نبياً نبياً، حتى يكون آخرهم نوحاً وأمته (٤).

غير أن الذي في الصحيح ـ كما تقدم ـ هو مرور النبي عَلِيُّكُ وأمته قبل

⁽١) ذكره ابن حجر جـ ١١ ص ٤٥٢ وعزاه إلى الحاكم، وهو في المستدرك جـ ٤ ص ٥٨٦.

⁽۲) ذکره ابن حجر جـ ۱۱ ص ٤٥٢.

⁽٣) تكملة شرح الصدور ص ٣٠.

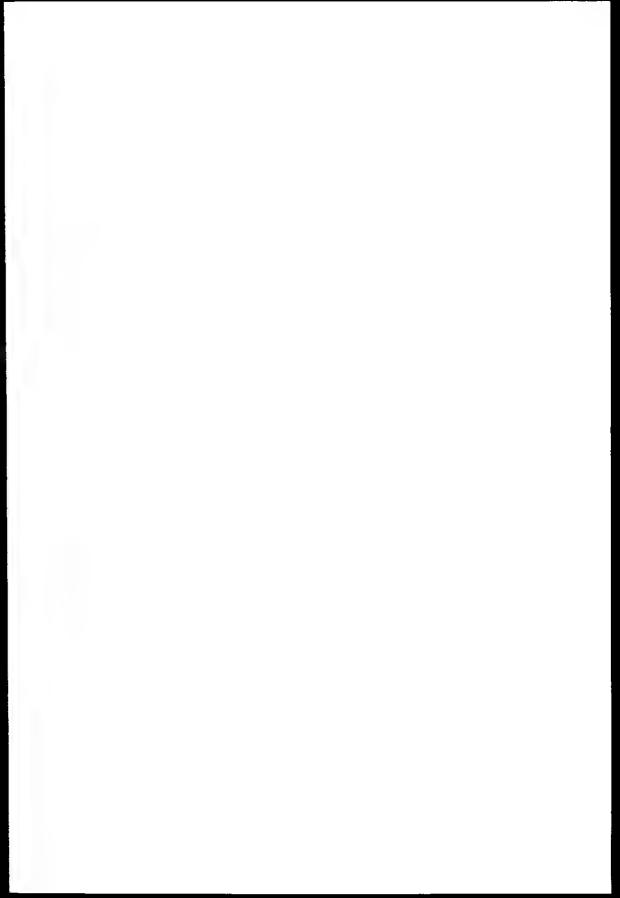
⁽٤) المصدر السابق نقلاً عن شرح الجوهرة.

الأم، وأما ما ذكره البرديسي من تلك الروايات؛ فإنه يتوقف القول بها على صحتها، وهو لم يذكر منها شيئاً.

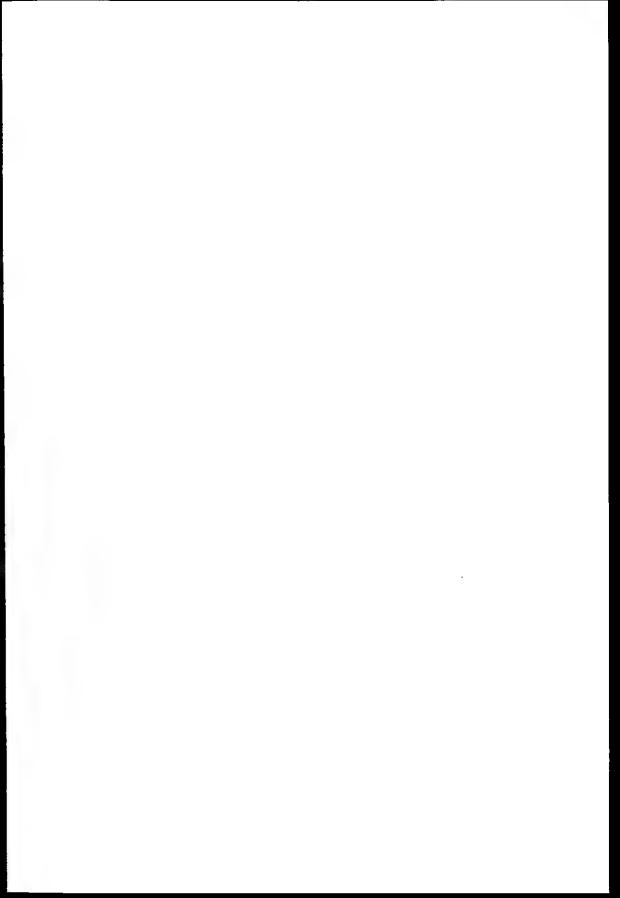
وكذا ما قيل من أن مرور الأنبياء على الصراط يكون على عكس ترتيبهم(١).

فالله أعلم بصحة ذلك.

⁽١) ذكره البرديسي ص ٨٥ معزوا إلى القرطبي.







الفصل العاشر شعار المؤ منين على الصراط

عندما يعبر الناس الصراط، تلهج الألسنة بالدعاء إلى الله تعالى أن ينجي هؤلاء المارين ويخرجهم منه بسلام، ويكون هذا الدعاء أو الشعار ـ كما وردت تسميته في بعض الأحاديث: ـ «اللهم سلم سلم».

وهل هذا الدعاء يقوله الرسل أم كل المؤمنين؟

اختلفت الروايات؛ فبعضها يذكر أن هذا الدعاء خاص بالرسل؛ لأنهم هم الذين يتكلمون فقط، ولكمال شفقتهم ورحمتهم للخلق، وبعضها يذكر أنه يقال من كل المؤمنين الذين يعبرون الصراط.

وفي صحيح البخاري ما يفيد أن القائلين هذا الدعاء هم الرسل؛ فإن من عداهم لا يتكلمون، كما في حديث أبي هريرة: «فاكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم سلم (١٠) وهذا صريح في اختصاص الرسل بهذا الدعاء.

وأصرح منه ما في الرواية الأخرى: « فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: «اللهم سلم سلم» (٢).

وفي حديث آخر قال: « فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومنذ إلا

⁽١)، (٢) انظر: الأدلة من السنة على إثبات الصراط.

الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، (١).

وهذا ظاهر في أنه لا يتكلم إلا الرسل فقط.

وهناك روايات أخرى تفيد أن المؤمنين يتكلمون أيضا، ويدعون الله بالسلامة، وشعارهم هو ذلك الدعاء: « اللهم سلم سلم.

وهذا ما يفيده حديث المغيرة بن شعبة الذي أخرجه الترمذي، وفيه: «شعار المؤمن على الصراط: رب سلم سلم (٢)

ومثله ما جاء عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله عَلَيْكَ قال: «شعار أمتي إذا ركبوا على الصراط: لا إله إلا أنت، (٣).

وهذا يفيد أن كل المؤمنين يقولون هذا الشعار، وأن الشعار أيضا ليس مقصورا على قولهم: رب سلم سلم، وهذا الحديث لو صح لكان فيه زيادة إخبار بدعاء آخر، لكن الحديث فيه راو ضعيف، وفيه راو مجهول.

قال الهيشمي عن سند الحديث:

« وفيه من وثق على ضعفه، وعبدوس بن محمد لم أعرفه » (٤٠) . ويذكر ابن رجب أن في هذا الحديث نكارة (٥٠) .

قال الحافظ ابن حجر:

⁽١) انظر: الأدلة من السنة على إثبات الصراط.

⁽٢) سنن الترمذي ج ٥ ص ٦٢٦ وقال: حديث غريب، قال: ٩ وفي الباب عن أبي هريرة »

⁽٣) ذكره الهيشمي في مجمع الزوائدج ١٠ ص ٣٥٩ وعزاه إلى الطبراني.

⁽٤) مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٥٩.

⁽٥) التخويف من النار ١٧٠.

«ولا يلزم من كون هذا الكلام شعار المؤمنين أن ينطقوا به؛ بل تنطق به الرسل، يدعون للمؤمنين بالسلامة، فسمى ذلك شعاراً لهم».

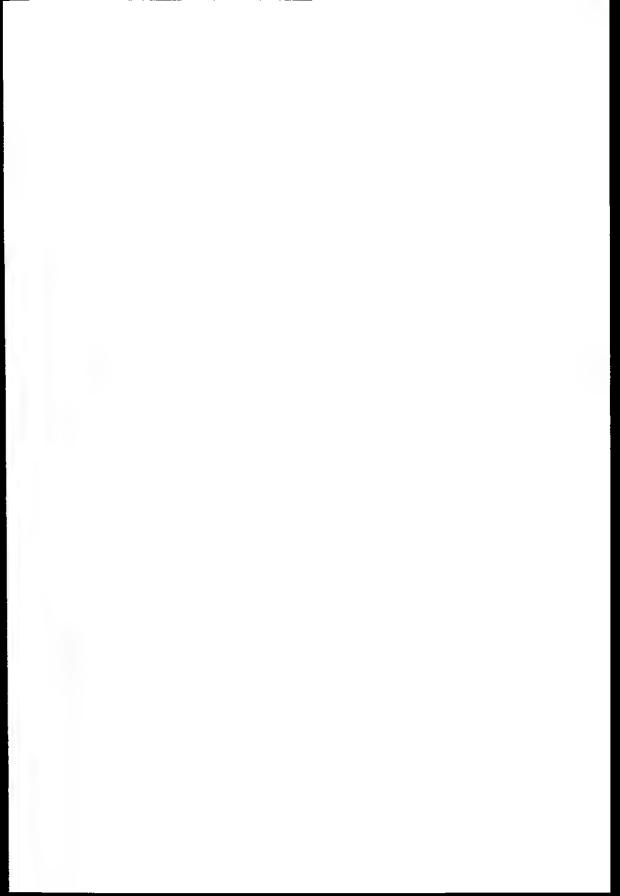
قال: "وبهذا تجتمع الأخبار"(١).

وقد جمع النووي بين الروايات التي تفيد عدم كلام الأم على الصراط واختصاص الرسل بالدعاء: اللهم سلم سلم، وبين ما جاء في بعض الأحاديث من تسمية هذا الدعاء شعاراً للمؤمنين؛ جمع بين تلك الروايات بأن ما ورد من عدم كلام الأم؛ فإنه خاص بحال الإجازة على الصراط، وما ورد من كلامهم؛ بأنه في مواطن القيامة الأخرى.

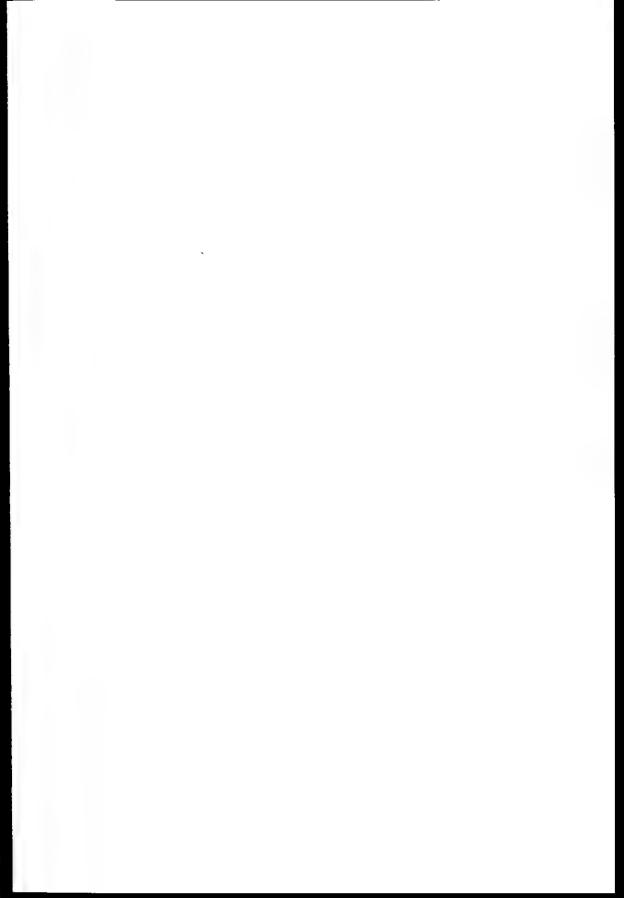
وهذا الجمع ذكره عند معنى قول الرسول عَلَيْ : ولا يتكلم يومنذ إلا الرسل، حيث قال: «معناه لشدة الأهوال، والمراد: لا يتكلم في حال الإجازة، وإلا ففي يوم القيامة مواطن يتكلم الناس فيها، وتجادل كل نفس عن نفسها، ويسأل بعضهم بعضاً، ويتلاومون، ويخاصم التابعون المتبوعين (٢٠).

⁽١) فتح الباري جـ ١١ ص ٤٥٢.

⁽٢) شرح النووي لمسلم جـ ١ ص ٤٣٠.







الفصل الحادي عشر الأعمال الموجبة للجواز على الصراط

هذه الترجمة هي ما أشار إليها البرديسي، حيث عدد أموراً يذكر أنها من الأعمال الموجبة للجواز على الصراط، وقبل أن نذكرها نقلاً عنه، فإن مما ينبغي ملاحظته قبل كل شيء، هو أن الجواز على الصراط وعدمه إنما يرجع إلى ما جاء في النصوص النبوية من أنها الأعمال، فكل عمل طيب خالص لوجه الله، يرجى من ورائه الجواز على الصراط، كما أن قلة العمل أو عدمه؛ هو الذي يبطئ بالشخص أو يسقطه في النار.

وما ذكره البرديسي أو غيره من العلماء في عد الخصال التي توجب سرعة السير على الصراط؛ فإنما هو من باب زيادة التفصيل، فقال:

«الأعمال الموجبة للجواز على الصراط:

ومنها: «من أحسن الصدقة في الدنيا؛ جاز على الصراط عدلاً، أي آمناً غير خائف، ومنها: «ألا تحدث حدثاً في دين الله برأيك».

ومنها ما ورد: «المساجد بيوت المتقين، وقد ضمن الله لمن كانت المساجد

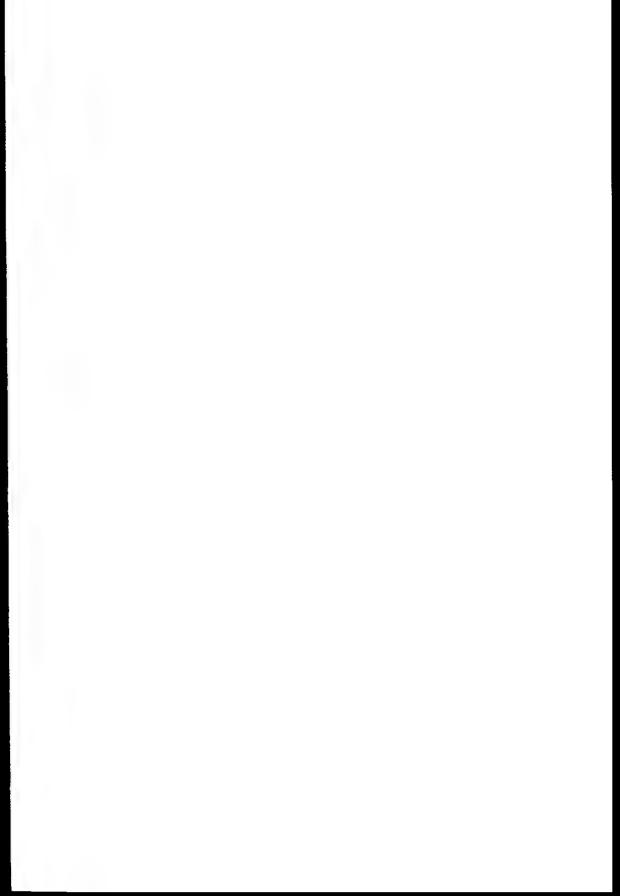
بيوتهم بالروح والراحة والجواز على الصراط مع رضوان الله.

ومنها ما ورد أن «أسرع الناس مروراً على الصراط الذين يرضون بحكم الله، وألسنتهم رطبة بذكر الله، ومنها التخفيف من أثقال الدنيا(').

وهذه المسائل لاشك أنها أعمال طيبة، فإذا تقبلها الله تعالى كانت من الأسباب التي تنجي صاحبها من الوقوع في النار، وكانت سبباً لاجتياز الصراط بأمان، والروايات التي استدل بها هي من باب الترغيب، بغض النظر عما قيل في الحكم عليها.

⁽١) تكملة شرح الصدور ص ٣٢.





الفصل الثاني عشر هل الصراط قد خلق أو سيخلق في يوم القيامة؟

هذه المسألة لم أجد فيها نصاً من القرآن الكريم ولا من السنة النبوية ينص على وجود الصراط أو عدمه الآن، ولذلك فإنه يحتمل أن يكون قد وجد منذ أن وجدت النار، كما يحتمل أن ينشئ الله خلقه في يوم القيامة لغرض إجازة الناس عليه، والذي يقول بوجوده الآن يلحظ ما اتفق عليه جميع السلف من وجود الجنة والنار الآن، ولكن هل الصراط موجود بوجود النار أو لا؟ كل ذلك قابل للإمكان.

قال عياض فيما ينقله عنه البرديسي:

«يجوز أن الله تعالى يحدث الصراط يوم الجزاء، أو أن يكون مخلوقاً موجوداً الآن كجهنم».

وقال البرديسي: "قال في شرح الجوهرة: قلت: وفي كالام ابن الفاكهاني أنه موجود، وفي كنز الأسرار نقلاً عن بعضهم جواز أن يخلقه الله تعالى حين يضرب على متن جهنم، ويجوز أن يكون خلق حين خلقت جهنم» أن

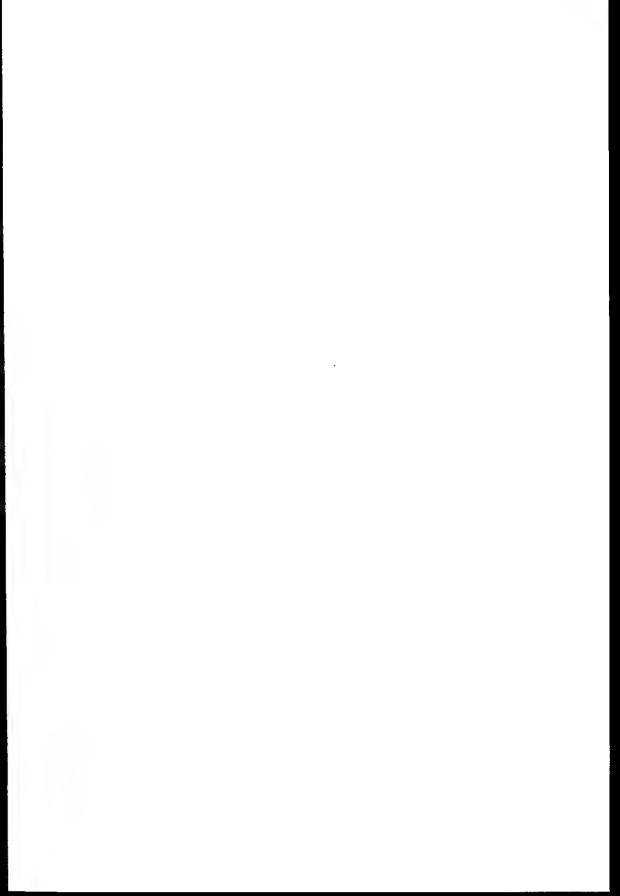
⁽١) تكملة شرح الصدور ص ٣٢.

وظاهر كلام السفاريني يشعر بالجزم بوجوده الآن، حيث قال: «إن الصراط مخلوق الآن»(۱).

والواقع أن كل ما قيل عن وجوده أو عدم وجوده مجرد احتمالات. كما قلنا. والله تعالى هو وحده العالم بحقيقة ذلك.

⁽١) لوامع الأنوار جـ ٢ ص ١٩٤.





الفصل الثالث عشر أيبقى الصراط إلى خروج عصاة الموحدين من النار أم لا؟

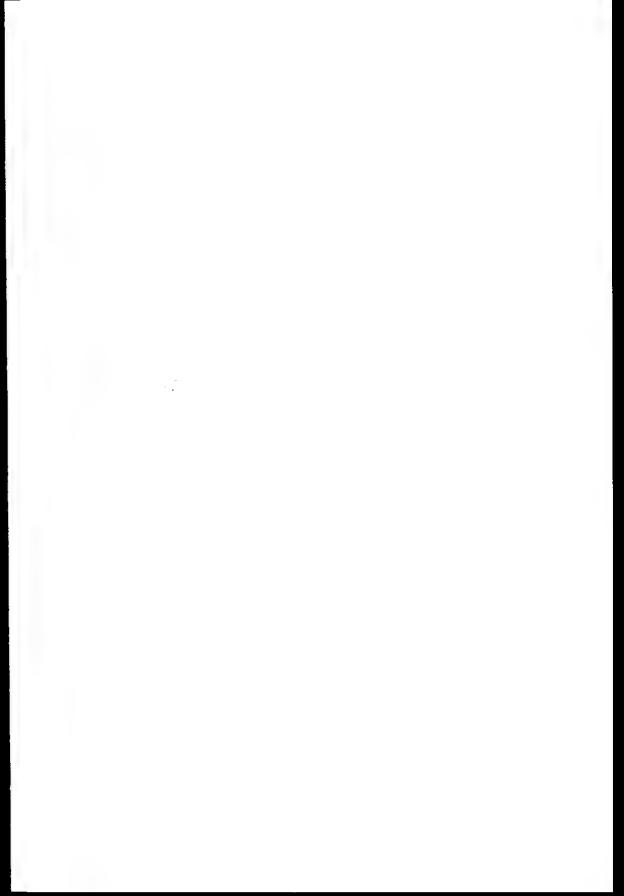
هذه المسألة كسابقتها؛ لم يرد فيها نص أو إشارة بالنفي ولا بالإثبات، قال الحليمي: «لم يثبت أن الصراط يبقى إلى خروج عصاة الموحدين من النار؛ فيتجاوزونها عليه إلى الجنة، أو يزال ثم يعاد لهم أو لا يعاد، أو تصعد به الملائكة إلى السور الذي في الأعراف»(۱).

وهذه الاحتمالات كلها تحتاج إلى نص صحيح لاعتقادها، ولعل التوقف في إثبات أحد الأمرين أو نفيه وترك هذه المسألة وسابقتها إلى علم الله تعالى أولى.

وإتماماً لبحث الصراط: فإننا سنخص الكلام عن القنطرة، والورود، وأصحاب الأعراف بأبواب مستقلة، نبين فيها المراد بالقنطرة، ومدى اتصالها بالصراط، وأقوال العلماء في ذلك، وكذلك الورود، نبين فيه المراد منه، واختلاف العلماء فيه، والقول الراجح من اختلافاتهم.

ثم نبين ما جاء بشأن أصحاب الأعراف، ما هو الأعراف؟ ومن هم أهله؟ وأرجح الأقوال في ذلك، إلى غير ذلك مما سيأتي تفصيله بشأن تلك الأمور.

⁽١) لوامع الأنوار جـ ٢ ص ١٩٤ وعزاه إلى الحليمي، وانظر: تكملة شرح الصدور ص ٣٢.



البابالحادي عشر في القنطرة

ويشتمل على الفصول الآتية:

تمهيد

الفصل الأول: ادلة إثبات القنطرة.

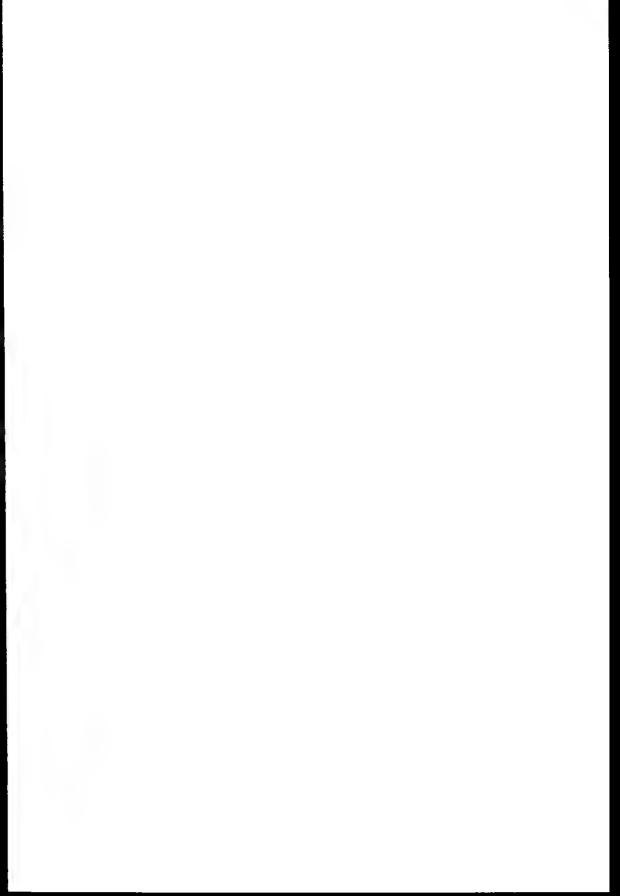
الفصل الثاني: موضع تلك القنطرة.

الفصل الثالث: مل هي قنطرة واحدة أو هي قناطر

متعددة؟ والراجح في ذلك.

الفصل الرابع: لماذا أخسر الله حسساب هؤلاء إلى

القنطرة؟.



الباب الحادي عشر القنطرة

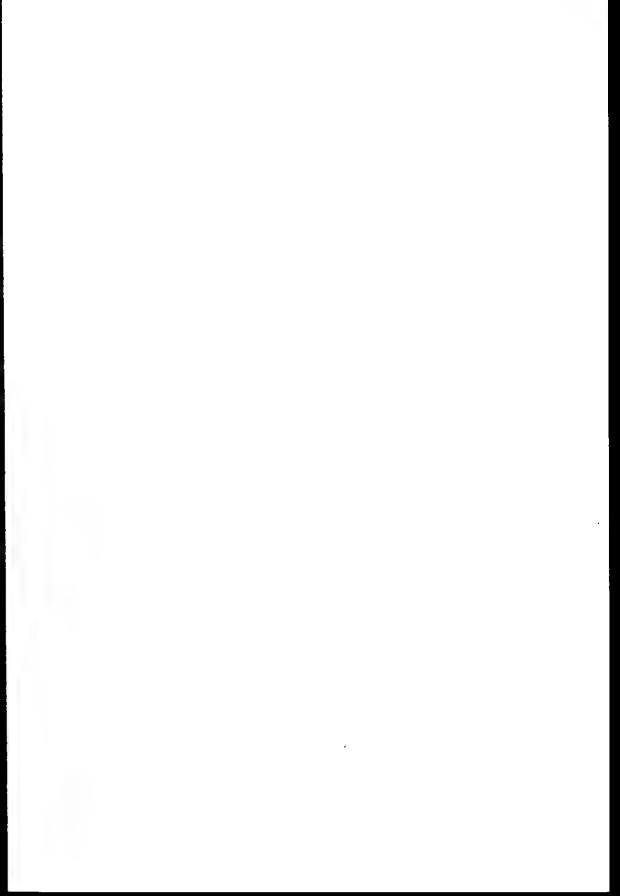
:عيهم

هذه القنطرة ثبتت في السنة النبوية، وهي خاصة لمسلك المؤمنين إلى الجنة، حيث يقفون عليها ليقتص بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا؛ أذن لهم بدخول الجنة، كما ورد بذلك الحديث، وهي أشبه ما تكون بتصفية الذهب لجعله نقياً خالصاً من كل شائبة مهما دقت.

وقد اختلف العلماء فيها: هل هي صراط مستقل وله ميزات خاصة به؟ أم إنها من تتمة الصراط العظيم المنصوب على متن جهنم؟ . . والخلاف المشار إليه إنما هو في موضعها لا في ثبوتها، فهي ثابتة بما لاشك فيه، كما يتضح من أدلتها الآتية .

| | 1 |
|--|---|
| | |
| | |
| | |
| | |
| | |





الفصل الأول أدلة إثبات القنطرة

فمن الأدلة على إثباتها: ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله على الله على الله عنه أن رسول الله على قال: وإذا خلص المؤمنون من النار، حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا؛ إذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفسي بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا، (۱).

وقال قتادة: «قال بعضهم: ما يشبه لهم إلا أهل جمعة حين انصرفوا من جمعتهم»(٢).

والمراد بهذا التقاص بينهم أي «تتبع ما بينهم من المظالم، وإسقاط بعضها ببعض» (٢) حتى يخلصوا من الآثام بمقاصة بعضها ببعض، قال ابن حجر: «ويشهد لهذا الحديث قوله في حديث جابر الآتي ذكره في التوحيد: «لا يحل لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد قبله مظلمة» (٢).

وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح من مرسل الحسن قال: «بلغني أن رسول الله عَلِينَ قال: «يحبس أهل الجنة بعدما يجوزون الصراط، حتى يؤخذ

⁽١) صحيح البخاري جـ ٥ ص ٩٦ وفي جـ ١١ ص ٩٧ وأخرجه أحمد جـ ٣ ص ١٣.

⁽٢) المسندج ٣ ص ٧٤.

⁽٣) فتح الباري جـ ٥ ص ٩٦.

⁽٤) المصدر السابق.

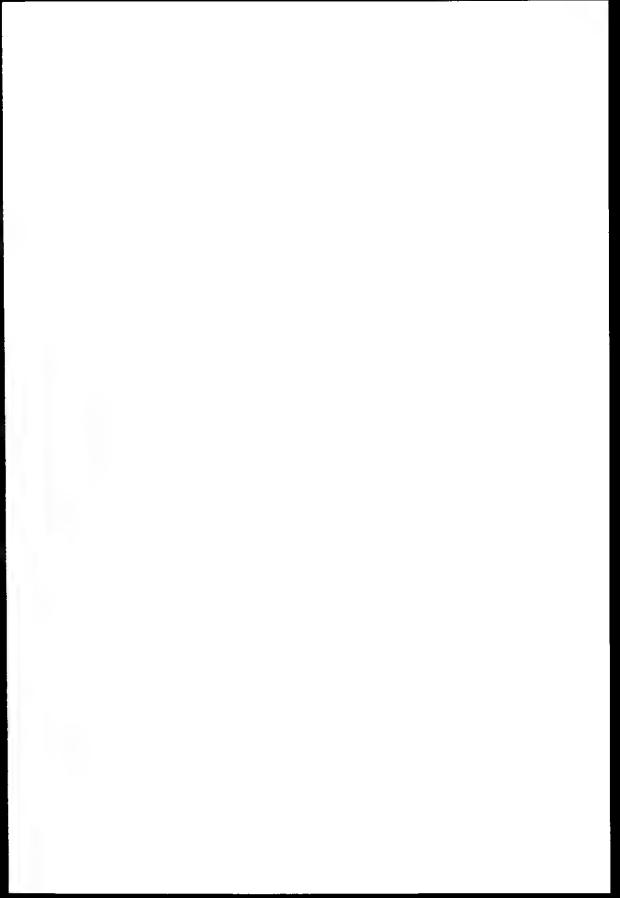
لبعضهم من بعض ظلاماتهم في الدنيا، ويدخلون الجنة وليس في قلوب بعضهم على بعضها على العضاعل، (١) .

وهو شاهد كذلك - كما يذكر ابن حجر - لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (۲) .

⁽١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٩٩.

⁽٢) نفس المرجع السابق.





الفصل الثاني موضع تلك القنطرة

أما موضع تلك القنطرة؛ فقد اختلف العلماء ـ كما أشرنا سابقاً ـ في موضعها، وحاصل الخلاف يرجع إلى أمرين: ـ

الأمر الأول: أن تلك القنطرة هي جزء من الصراط، وتتمة له.

الأمر الثاني: أنها صراط مستقل بين الصراط الأول والجنة، خاصة بمن كتبت لهم السعادة.

وبعض العلماء لم يترجح لديه أحد الأمرين.

قال ابن حجر: «واختلف في القنطرة المذكورة، فقيل: هي من تتمة الصراط، وهي طرفه الذي يلي الجنة، وقيل: إنهما صراطان، أ.

وذهب القرطبي إلى القول بأن القنطرة ليست من الصراط الأول العظيم المنصوب على متن جهنم، وإنما هي صراط ثان، وقد بوب على هذا بقوله: «باب: ذكر الصراط الثاني، وهو القنطرة التي بين الجنة والنار»، وذكر أن المؤمنين إذا خلصوا من صراط جهنم «حبسوا على صراط آخر خاص لهم» قال: «ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد إن شاء الله لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم، الذي يسقط فيها من أوبقه ذنبه،

⁽۱) فتح الباري جر ۱۱ ص ۳۹۹.

وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه"(١).

ونقل القرطبي - عن مقاتل أيضًا - ما يفيد أنه يرى أن القنطرة صراط آخر، وذلك في قوله: «قال مقاتل: إذا قطعوا جسر جهنم؛ حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار؛ فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا وطيبوا؛ قال لهم رضوان وأصحابه: ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ بمعنى التحية ﴿ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (١) [الزمر: ٧٣].

وينقل السفاريني عن السيوطي ترجيحه لكون القنطرة طرف من الصراط الذي يلي الجنة؛ أي أنه يرى أنها جزء من الصراط وتتمة له؛ حسب نقل السفاريني الآتي:

«قال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه «البدور السافرة في علوم الآخرة»: والأول ـ يعني أنه طرف الصراط الذي يلي الجنة ـ هو المختار الذي دلت عليه أحاديث القناطر والحساب على الصراط»(٢٠) .

أما الإمام ابن كثير فإنه يجعلها بعد نهاية النار، وكأنه يجعلها صراطاً مستقلاً منصوباً على هول لا نعلمه، فهو بعد أن ذكر كلام القرطبي ورأيه في هذه القنطرة من إنها صراط ثان؛ قال معلقاً عليه: قلت: هذه بعد مجاوزة النار، فقد تكون القنطرة منصوبة على هول آخر، مما يعلمه الله ولا نعلمه نحن، وهو أعلم "(3).

فهو لم يترجح لديه ـ حسبما يظهر من كلامه ـ هل هي صراط آخر أو هي

⁽١)، (٢) التذكرة ص ٣٣٩.

⁽٣) لوامع الأنوار جـ ٢ص ١٩٠ وعزاه إلى السيوطي في البدور السافرة (مخطوط).

⁽٤) النهاية جـ ٢ ص ٩٥.

متصلة بالصراط العظيم الذي هو على متن جهنم؟ .

وكذلك ابن حجر، فإنه لم يرجح أياً من القولين حيث قال:

«والذي يظهر أنها طرف الصراط عما يلي الجنة، ويحتمل أن يكون من غيره بين الصراط والجنة»(١).

والراجح فيما يظهر:

أن القنطرة صراط مستقل، وليس بمتصل بالصراط العظيم الذي يعبر عليه جميع البشر، وذلك:

١ - أن قوله على أن هذه القنطرة من الجنة والنار، يدل على أن هذه القنطرة منفصلة عن جهنم؛ لأن الصراط فوق النار، ويمتد إلى انتهائها، ثم تبدأ بعد ذلك القنطرة التي هي بين الجنة والنار، كما هو ظاهر الحديث.

وإذا كانت منفصلة ـ وهي صراط آخر ـ فكيف وصلوها والصراط قد انتهى؟.

لم أجد في ذلك جواباً ثابتاً، ولعله والله أعلم أنهم مشوا على شيء لا نعلمه، وأن هناك قناطر، ولكن هذه القنطرة هي التي يقف عليها المؤمنون.

٢ ـ أن المقصود من وضع الصراط العظيم غير المقصود من وضع القنطرة؛ إذ الصراط المقصود من وضعه ليسقط عنه أعداء الله إلى النار، وأما القنطرة فليست كذلك، وإنما هو لحكمة أرادها الله تعالى، لتنقية أحبائه من التبعات الخفيفة التي بقيت عليهم، حتى يدخلوا الجنة وليس في صدورهم غل.

⁽١) فتح الباري جـ ٥ ص ٩٦.

٣ ـ أن القنطرة قد اختصت بجزايا زائدة عن الصراط، ومن أهمها:

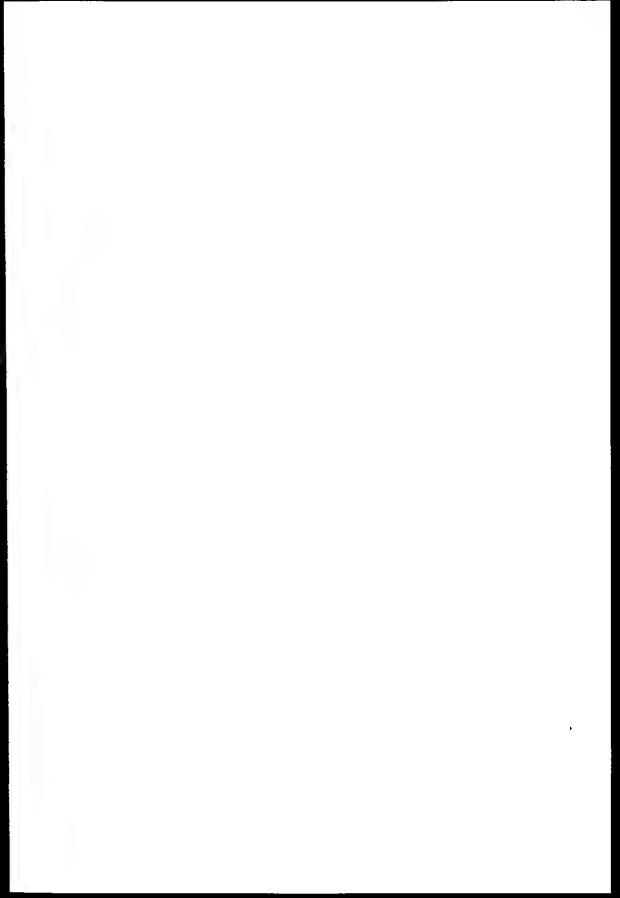
١ ـ أنه لا يسقط فيها أحد.

٢ ـ أنها لاقتصاص مظالم خاصة بين أهل الجنة .

٣- أن ذلك القصاص فيما بينهم لا يستنفد حسنات أحد منهم.

* * *





الفصل الثالث أهي قنطرة واحدة، أم قناطر متعددة؟ والراجح في ذلك

ظهر مما سبق أن الأدلة كلها تدل على وجود قنطرة يعبر عليها المؤمنون إلى الجنة؛ قنطرة واحدة وليست قناطر متعددة، غير أن بعض العلماء يذكر أنها قناطر متعددة، ويجعلونها متصلة بالجسر ، بما فيه هذه القنطرة.

كما نقل القرطبي عن بعض أهل العلم أن الناس لا يتمون العبور على الصراط حتى يجتازوا سبع قناطر، كل قنطرة يسأل عليها عن فعل من الأفعال، فقد روي عن بعض أهل العلم أنه قال: لن يجوز أحد الصراط حتى يسأل في سبع قناطر.

فأما القنطرة الأولى: فيسأل عن الإيمان بالله، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، فإن جاء بها مخلصاً والإخلاص قول وعمل - جاز .

ثم يسأل على القنطرة الثانية عن الصلاة، فإن جاء بها تامة جاز.

ثم يسأل على القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان، فإن جاء به تاماً جاز.

ثم يسأل على القنطرة الرابعة عن الزكاة، فإن جاء بها تامة جاز.

ثم يسأل على القنطرة الخامسة عن الحج والعمرة، فإن جاء بهما تامتين جاز . ثم يسأل في القنطرة السادسة عن الغسل والوضوء، فإن جاء بهما تامين جاز.

ثم يسأل في القنطرة السابعة ـ وليس في القناطر أصعب منها ـ فيسأل عن ظلامات الناس (١) .

وهذا ما ذكره البيهقي رحمه الله عن مقاتل بن سليمان، وذكر أيضاً رواية أخرى عن عبد الله بن مسعود فيها: «وراء الصراط ثلاثة جسور»، وذكر أن هذا الخبر موقوف على ابن مسعود، ومرسل بينه وبين سالم بن أبي الجعد، ورواه أبو فزارة عن سالم بن أبي الجعد من قوله، غير مرفوع إلى عبد الله، قال البيهقي: «وإن صح؛ فإنما أراد والله أعلم - أن ملائكة الرب يسألونه عما فرط فيه»(۱).

ويقول السفاريني: «وفي بعض الآثار أن فيه سبع قناطر، يسأل كل عبد عند كل قنطرة منها عن أنواع من التكليف»(٣).

وفي مجمع الزوائد عن سليمان بن حبيب المحاربي، عن أبي أمامة الباهلي ـ من حديث طويل ـ قال فيه:

ران في جهنم جسراً له سبع قناطر، على وسطه العصاة، فيجاء بالعبد، حتى إذا انتهى إلى القنطرة الوسطى قيل له: ماذا عليك من الدين؟ وتلا هذه الآية ﴿ ولا يَكُتُمُونَ اللَّهُ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٤٢] قال: فيقول: يا رب علي كذا وكذا، فيقال له: اقض دينك، فيقول: ما لي شيء وما أدري ما أقضى منها، فيقال: خذوا من حسناته،

⁽١) التذكرة ص ٣٢٩.

⁽٢) الأسماء والصفات ص ٥٤٦.

⁽٣) لوامع الأنوار جـ ٢ ص ١٩١.

فمايزال يؤخذ من حسناته حتى ما تبقى له حسنة . . . الان إلنم الحديث .

وهذا الحديث في سنده راويان ضعيفان، وما ثبت في الصحيح من أنها قنطرة واحدة هو الذي ينبغي اعتقاده.

فيظهر أن القول بتعدد القناطر يفتقر إلى دليل يثبته؛ إذ الثابت أنها قنطرة واحدة لعبور أهل الجنة إليها.

وأيضاً فإن القرطبي - وهو يذكر تعدد القناطر - يصدر الكلام بقوله: الروى عن بعض أهل العلم»، والمسائل الغيبية الاعتقادية لا تثبت بمثل هذا الكلام، ثم إن تلك الأسئلة التي تقع على القناطر المذكورة من أوليات ما يسأل عنه العبد في الموقف عند الحساب؛ لأنها مشتملة على جميع ما يحاسب عليه العبد، ويتحدد مصيره بموجب النتيجة التي تسفر عنها.

وكذلك قول السفاريني، ليس فيه الجزم برفعها إلى رسول الله عَلَيْكَ، وقوله: «وفي بعض أهل العلم».

وأما الحديث الذي ذكره الهيشمي معزواً إلي الطبراني فإن في سنده راويين ضعيفين، وهما : كلثوم بن زياد، وبكر بن سهل الدمياطي.

وفي الحديث كذلك ما تدل ظواهر النصوص على خلافه، وهو أخذ الحسنات فوق الجسر، فإن ظواهر النصوص تدل على أن الحسنات تؤخذ في الموقف أثناء الحساب والميزان، وليس هناك حساب آخر على الجسر غير ما ورد في القنطرة.

⁽۱) مجمع الزوائد جـ ۱۰ ص ٣٥٤ قال: «رواه الطبراني» وفيه كلثوم بن زياد بن بكر بن سهل الدمياطي، وكلاهما وثق وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

فالراجع من كل ما تقدم أنها قنطرة واحدة، تكون بعد عبور الجسر، جعلها الله للمؤمنين خاصة، الذين نجوا من النار باجتياز الصراط، وهذا هو الثابت في الصحيح.

ثم إن ظاهر الحديث الذي مر معنا ـ الذي فيه أن القناطر داخل جهنم ـ يعارضه الحديث الصحيح الذي فيه أن الصراط فوق جهنم، فكيف يمكن الجمع بين الحديثين، الذي ينص الصحيح منهما أن الصراط فوق جهنم، وينص الآخر على أن القناطر في داخل جهنم؟ .

وبالإضافة إلى ذلك فإن القناطر التي ذكرت خاصة بالمؤمنين، الذين يسألون عن الشهادة والصوم والزكاة . . . إلخ فكيف يكون ذلك وقد تجاوزوا الصراط؟ وكيف يدخلون جهنم ليجوزوا على هذه القناطر ويسألوا عن هذه الأمور، التي يقع عليها الحساب في الموقف ولابد؟ .

فكل ذلك مما يدل على ضعف هذا الحديث، ويؤكد أنه صراط واحد وقنطرة واحدة . . والله أعلم .

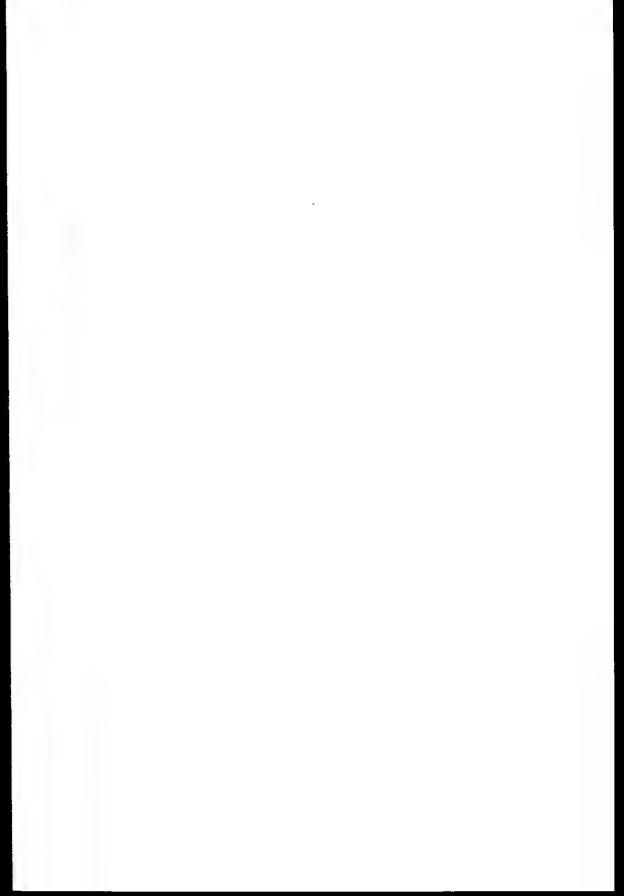
ومما ينبغي التنبيه إليه: أن ما يذكره بعض العلماء من أن الجنة تكون بعد الصراط مباشرة؛ فيه إيهام وإغفال لذكر القنطرة، ولا يصدق هذا إلا على الخارجين من النار؛ لأنهم إذا خرجوا منها فإنهم لا يحبسون على القنطرة لعدم الداعي لذلك.

وقد ذكر القرطبي أن الدارقطني أورد حديثاً في هذا، يفيد أن الجنة بعد الصراط، ولم يذكر القرطبي الحديث إلا أنه أجاب عنه بجوابين، فقال:

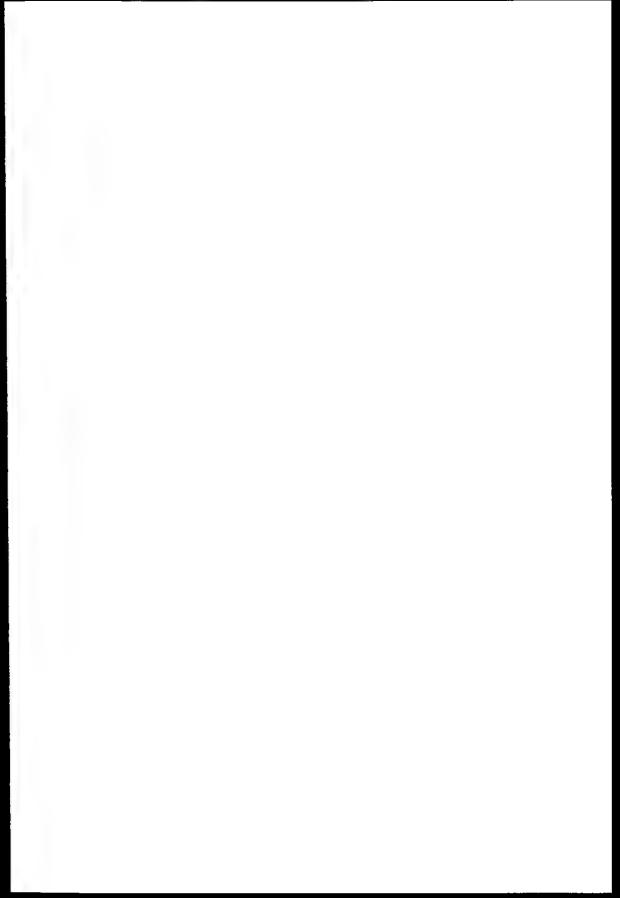
«ولعله أراد بعد القنطرة، بدليل حديث البخاري، أو يكون دنك في حق من دخل النار وخرج بالشفاعة، فهؤلاء لا يحبسون؛ بل إذا خرجوا بثوا على أنهار الجنة»(١).

华 杂 茶

⁽١) التذكرة ص ٤٠٨.







الفصل الرابع لماذا أخر الله حساب هؤلاء إلى القنطرة؟

وقد يستشكل بعض الناس وقوع القصاص بين أهل الجنة على القنطرة، مع أنهم قد نجوا من حساب الموقف وفازوا؛ لأن الله تعالى لا يترك في حسابه لعباده في الموقف أي ذنب، فكيف بقيت هذه الذنوب ليحاسبوا عليها في القنطرة؟ وما معنى هذا التقاص؟.

أما معنى هذا القصاص فقد سبق أن ذكرنا كلام ابن حجر رحمه الله عن معناه، من أن المراد به «تتبع ما بينهم من المظالم وإسقاط بعضها ببعض»(١).

وقال القرطبي: «هؤلاء المؤمنون هم الذين علم الله أن القصاص لا يستنفد حسناتهم»(٢).

ولم يتيسر لي الجواب عن مسألة ترك حساب هؤلاء السعداء إلى أن وصلوا إلى القنطرة، إلا أنه يمكن أن يقال في الجواب عن ذلك أحد وجهين:

الأول: أن الله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ومادام النص قد ثبت بذلك فليس لأحد أن يعترض على ربه؛ ويسأله لماذا أبقيت حساب هؤلاء إلى هذا المكان؟

⁽١) فتع الباري جـ ٥ ص ٩٦.

⁽٢) عن فتع الباري جـ ١١ ص ٣٩٩.

الثاني: أنه لا يلزم أن يحاسب الله المؤمنين عن كل شيء في مكان واحد، خصوصاً عن مثل هذه التبعات التي لا تؤثر في دخولهم الجنة ونجاتهم من النار، فرجا أن الله تعالى أخرها لتكون سعادتهم أكمل، ولتكون بمثابة استعداد تام لدخول الجنة وهم على طهارة تامة من الغل وشوائب النقص الأخرى . . والله أعلم بحقيقة ذلك .

* * 4

البابالثاني عشر الورود

ويشمل الفصول الآتية:

تمهيد

الفصل الأول: أقوال العلهاء في معنى الورود،

وذكر أدلة كل قول.

الفصل الثاني: القول الراجح في معنى الورود.

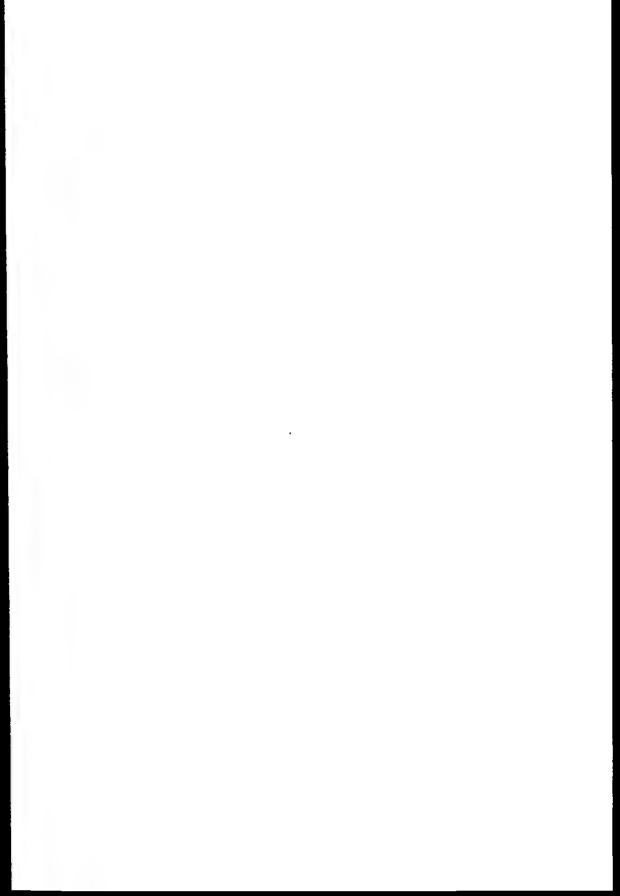
الفصل الثالث: مسألة: عل يستثنى الأنبياء من ورود

النار واجتيازها؟.

الفصل الرابع: مسألة أخرى: ما فائدة دخول أهل

السعادة النار واجتيازها فوقها وقد

كتب الله لهم النجاة؟.



البابالثان*ي عشر* الــورود

:عيهم

قَالَ الله تعالى: ﴿ وَإِن مَنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۞ ثُمَّ نُنجَى الّذينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧١-٧٢] .

وقد جاءت لفظة الورود في القرآن الكريم ـ مراداً به الدخول في النار ـ في ستة مواضع، في قوله تعالى في الآيات الآتية :

١ ـ ﴿ وَإِن مَنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] .

٢ . ﴿ يَقْدُمُ قُوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُوْرَدَهُمُ النَّارُ ﴾ [مود: ٩٨].

٣ٍ _ ﴿ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ [هود: ٩٨] .

٤ ـ ﴿ لَوْ كَانَ هَوُلاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾ [الأنبياء: ٩٩] .

٥ _ ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم: ٨٦].

٣ ـ ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨] .

وكان ابن عباس يستند إلى هذه الآيات في تفسيره للورود بالدخول في النار، فهل الورود المذكور في هذه الآيات يراد به الدخول في النار؟ أو مجرد المرور من غير إحساس بها؟.

الواقع أن هذه المسألة هي من المسائل التي وقع فيها الخلاف بين العلماء في زمن الصحابة ومن بعدهم.

أقوال العلماء في معنى الورود وذكر أدلة كل قول:

اختلف العلماء في المراد بهذا الورود إلى أقوال كثيرة، يمكن إيجازها فيما يلي:

١ ـ الورود المذكور في الآية: يراد به الدخول في النار.

٢ ـ يراد به المرور عليها؛ أي فوق الصراط.

٣ ـ يراد به الدخول، ولكنه عنى به الكفار دون المؤمنين.

٤ ـ أنه عام لكل مؤمن وكافر، غير أن ورود المؤمن المرور، وورود الكافر الدخول.

٥ ـ ورود المؤمن ما يصيبه في الدنيا من حمى ومرض.

٦ - أنه يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم.

وتلك أشهر الأقوال.

وهناك أقوال أخرى ذكرها بعض أهل العلم منها:

٧ ـ القول بالتوقف في معنى الورود.

٨ ـ ومنها القول بأن المراد بالورود هنا هو الإشراف والاطلاع والقرب
 منها ؛ حيث يكونون وهم في الموقف يشاهدون النار ، ؛ فينجيهم الله مما
 شاهدوه .

ونبدأ الآن بذكر عزو تلك الأقوال إلى أهلها ثم الترجيح فيما يأتي:

أما الذين فسروه بالدخول، من السلف: فمنهم ابن عباس، وابن مسعود وعبد الله بن رواحة، وجابر بن عبد الله، وأبو ميسرة، وابن جريج، وخالد ابن معدان.

أما ابن عباس، فقد اشتهر رأيه هذا، في جوابه لنافع بن الأزرق في مساء لات نافع لابن عباس المشهورة، فقد جاء نافع يسأل ابن عباس عن معنى الآية، فقال ابن عباس: الورود: الدخول، وقال نافع: لا ؛ فقرأ ابن عباس: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ حَصَبُ جَهَنَمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ عباس: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ حَصَبُ جَهَنَمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ أورود هو أم لا؟ وقال: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقَيَامَةِ فَأُورُدَهُمُ النّار وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ أورود هو أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها، فانظر هل تخرج منها أم لا؟، وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك، قال: فضحك نافع (١٠).

وفي رواية أخرى لعطاء بن أبي رباح قال: «قال أبو راشد الحروري يعني نافع بن الأزرق -: ذكروا هذا؛ فقال الحروري: ﴿لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ [الأنبياء: ١٠٢] قال ابن عباس: ويلك، أمجنون أنت؟ أبن قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قُوْمَهُ يَوْمَ الْقَيَامَة فَأُوْرَدَهُمُ النّار وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾، وقوله: ﴿وَنَسُوقُ الْمُحْرِمِينَ إِلَى جَهَنّمَ وِرْدًا ﴾، وقوله: ﴿وَإِن مِنكُمْ إِلاَ وَارِدُهَا ﴾، والله إن كان دعاء من مضى: اللهم أخرجني من النار سالما وأدخلني الجنة غامًا»(٢).

والروايات عن ابن عباس في هذا كثيرة وبطرق متعددة؛ يرى أن الورود المذكور في الآية يراد به الدخول لكل أحد؛ مسلماً كان أم كافراً، وهو المشهور عنه (٣).

⁽١)، (٢) جامع البيان جـ ١٦ ص ١٠٩.

⁽٣) تفسير الدر المتورجة ص ٢٨١ ـ ٢٨١.

قال الجمل: «وهذا هو تفسير ابن عباس الصحيح عند أهل السنة»(١).

وأما جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ فقد جاء عن أبي سمية أنه قال: اختلفنا هاهنا في الورود؛ فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا: يدخلونها جميعاً؛ ينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله، فقلت: إنا اختلفنا هاهنا في ذلك، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا: يدخلونها جميعاً، فأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال: "صمتا إن لم أكن سمعت يدخلونها جميعاً، فأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال: "صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله عنظة يقول: «الورود: الدخول» لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار ـ أو قال لجهنم ـ ضجيجاً من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين" أنه قال لجهنم ـ ضجيجاً من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين"

وأخرج الطبري بسنده إلى خالد بن معدان قال: «قال أهل الجنة بعدما دخلوا الجنة: ألم يعدنا ربنا الورود على النار؟ قال: قد مررتم عليها وهي خامدة».

وأخرج كذلك عن غنيم بن قيس قال: «ذكروا ورود النار، فقال كعب: تمسك النار للناس كأنها متن إهالة (٢) حتى يستوي عليها أقدام الخلائق، برهم وفاجرهم، ثم يناديها مناد: أن أمسكي أصحابك ودعي أصحابي، قال:

⁽١) الفتوحات الإلهية جـ ٣ ص ٨٣.

⁽٢) الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ٤٦٧ ـ ومجمع الزوائد جـ ١٠ ص ٣٦٠، والدر المنثور جـ ٤ ص ٢٨٠ وقال: رواه أحمد ورواته ثقات، والبيهقي بإستاد حسن، وهو في المسند جـ ٣ ص ٣٨٨.

⁽٣) معنى إهالة: قال ابن الأثير: «كل شيء من الادهان ما يؤتدم به إهالة، وقيل: ما أذيب من الإلية والشحم، وقيل الدسم الجامد، ومنه حديث كعب في صفة النار: كأنها متن إهالة: أي ظهرها » النهاية جـ ص ٨٤.

فيخسف بكل ولي لها، ولهي أعلم بهم من الرجل بولده، ويخرج المؤمنون ندية أبدانهم، قال: وقال كعب: ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة، مع كل واحد منهم عمود له شعبتان، يدفع به الدفعة فيصرع به في النار سبعمائة ألف (1).

وأخرج عن أبي إسحاق، قال: «كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال: يا ليت أمي لم تلدني، ثم يبكي، فقيل: وما يبكيك يا أبا ميسرة؟ قال: أخبرنا أنّا واردوها، ولم يخبرنا أنّا صادرون عنها (٢٠٠٠).

وعن قيس بن أبي حازم قال: «بكى عبد الله بن رواحة في مرضه، فبكت امرأته، فقال: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال ابن رواحة: إني قد علمت أني وارد النار، فما أدري: أناج منها أنا أم لا؟»(٣).

وقال أبو عمرو داود بن الزبرقان: سمعت السدي يذكر عن مرة الهمداني عن أبي مسعود: ﴿ وَإِن مِنكُم ۗ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ قال: «داخلها»(٤).

وأخرج الحاكم عن ابن مسعود أنه سئل عن قوله: ﴿ وَإِن مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ قال: «وإن منكم إلا داخلها»(٥) والروايات عن ابن مسعود كثيرة يفسر الورود في النار بالدخول فيها(١).

ومما يدل على أن الورود، المراد به الدخول: ما جاء عن سهل بن معاذ

⁽١)، (٢) جامع البيان جـ ١٦ ص ١٠٩.

⁽٣) المصدر السابق ص ١١٠.

⁽٤) المصدر السابق ص ١١٠.

⁽٥) انظر: الدر المتثور جـ ٤ ص ٢٨١.

⁽٦) المرجع السابق ص ٢٨١.

عن أبيه عن رسول الله عَلَيْكُ أنه قال: «من حرس وراء المسلمين في سبيل الله متطوعاً، لا يأخذه سلطانه بحرس، لم ير النار بعينه، إلا تحلة القسم، فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَإِن مَّنكُمْ إِلاَّ وَاردُهاَ ﴾ (١).

وكذا ما جاء عن أبي هريرة أن النبي عَيَّا قال: دمن مات له ثلاثة لم تمسه الناد إلا تحلة القسم يعنى الورود^(٢).

هذا ما يتعلق بالرأي الأول وهو تفسير الورود بالدخول في النار، وهل ذلك يشمل الأنبياء والرسل وخاصة المؤمنين أو لا؟ سيأتي جوابه في مسألة خاصة به بعد عرض آراء العلماء في الورود.

٢ ـ أما الرأي الثاني وهو تفسير الورود بالمرور عليها:

فهو رأي قتادة وغيره من علماء السلف وفي هذا يقول الطبري: «حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد عن قتادة: ﴿ وَإِن مِنكُمُ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾؛ يعني: "جهنّم، مرّ الناس عليها".. وفي رواية أخرى عن معمر عن قتادة بما سبق ("").

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي عَلَيْهُ يقول عند حفصة: «لا يدخل النارد إن شاء الله. من أصحاب الشجرة أحد من النين بايعوا تحتها) قالت: بلى يا رسول الله، فأنتهرها، فقالت حفصة: ﴿ وَإِن مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾، فقال النبي عَلَيْهُ: •قد قال الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ نُنجِي الّذِينَ اتَّقُواْ وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فيها جثيًا ﴾ »(١).

⁽١)، (٢) جامع البيان جـ ١٦ ص ١١٤.

⁽٣) جامع البيان جـ ١٦ ص ١١٠.

⁽٤) صحيح مسلم جـ٥ ص ٣٦٤، والطبري في جامع البيان جـ١٦ ص ١١٢.

قال النووي عن معنى الحديث ولا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة . . ، إلخ:

«قال العلماء: معناه لا يدخلها أحد منهم قطعاً ـ كما صرح به في الحديث الذي قبله ـ حديث حاطب ـ وإنما قال: إن شاء الله؛ للتبرك لا للشك (١٠) .

وحديث حاطب الذي أشار إليه النووي هو ما رواه جابر رضي الله عنه: أن عبداً لحاطب جاء رسول الله على يشكو حاطباً، فقال: يا رسول، ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله عَلَى : «كذبت، لا يدخلها؛ فإنه شهد بدراً والحديبية، (۲).

"وأما قول حفصة: "بلى"، وانتهار النبي عَلَيْ لها؛ فقالت: ﴿ وَإِن مَنكُمْ اللَّهِ وَارِدُهَا ﴾، فقال النبي عَلَيْ : وقد قال: ﴿ ثُمَّ نُنجِي اللَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ فيه دليل للمناظرة والاعتراض والجواب، على وجه الاسترشاد؛ وهو مقصود حفصة؛ لا أنها أرادت رد مقالته عَلَيْ ، والصحيح أن المراد بالورود في الآية المرور على الصراط؛ وهو جسر منصوب على جهنم "(").

ويقول ابن أبي العز: «واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِنكُمْ إِلاَ وَارِدُهَا ﴾ ما هو؟ والأظهر والأقوى: أنه المرور على الصراط، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثيًا ﴾.

ثم قال في تعليقه على حديث حفصة المتقدم:

«أشار عَلِي إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا

⁽۱) شرح النووي جـ ٥ ص ٣٦٤.

⁽٢) صحيح مسلم جـ٥ ص ٣٦٥.

⁽٣) شرح النووي جـ ٥ ص ٣٦٦.

تستلزم حصوله؛ بل تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه، يقال: نجاه الله منهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا ﴾ [هود: ٥٨]، ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا ﴾ [هود: ٢٦]، ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا ﴾ [هود: ٢٦]، ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا ﴾ [هود: ٩٥] ولم يكن العذاب أصابهم ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك، وكذلك حال الوارد في النار، يرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذي اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً هذا .

أما الرأي الثالث: وهو القول بأن الورود هو الدخول ولكنه عنى الكفار دون المؤمنين، فإن هذا الرأي يعزى إلى ابن عباس أيضاً، وقد ذكر هذا عنه الطبري، دون تعيين اسم الراوي عن ابن عباس؛ بل قال بسنده عن شعبة قال: أخبرني عبد الله بن السائب عن رجل سمع ابن عباس يقرؤها ﴿ وَإِن مِنكُمُ إِلا وَارِدُها ﴾؛ يعني الكفار، قال: لا يردها مؤمن (٢). ويعزى كذلك إلى عكرمة أن المراد بالورود هنا ورود الكفار ").

ويذكر ابن كثير عنهما أنهما كانا يقرآن الآية ﴿ وَإِنْ مِنهُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ يعنى الكفار(٤) .

قال الجمل: «لمناسبة الآيات التي قبل هذه، فإنها في الكفار، وهي قول الجمل: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرنَهُمْ ﴾، ﴿ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ ﴾، ﴿ أَيُّهُمْ أَشَدُ ﴾، ﴿ ثُمَّ لَنَحْضُ أَعْلَمُ بِاللَّذِينَ هُم أُولَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴾، ﴿ وَإِن مِنهُم إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ ﴿ وَإِن مِنهُم إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٦٨ - ٧١] وكذلك قرأ عكرمة وجماعة، لكن الأكثرون على أن

⁽١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠٩.

⁽٢) جامع البيان جـ ١٦ ص ١١٠ .

⁽٣) جامع البيان جـ ١٦ ص ١١٠ .

⁽٤) تفسير القرآن العظيم جـ ٣ ص ١٣٢.

المخاطب العالم كلهم كما تقدم(١).

أما الرأي الرابع: وهو أن الورود عام لكل مؤمن وكافر، غير أن ورود المؤمن: المسرور، وورود الكافر: الدخول؛ فهذا رأي ابن زيد، وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

قال الطبري: «حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿ وَإِن مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾: ورود المسلمين: المرور على الجسر بين ظهريها، وورود المشركين أن يدخلوها، قال: وقال النبي عَلَيْكُ : «الزالون والزالات يومنذ كثير، وقد أحاط الجسر سماطان من الملائكة، دعواهم يومنذ: ياالله، سلم سلم (٢).

أما الرأي الخامس: وهو أن ورود المؤمن ما يصيبه في الدنيا من حمى ومرض: فإنه يعزى هذا القول إلى مجاهد أنه قال: «الحمى حظ كل مؤمن من النار، ثم قرأ ﴿ وَإِن مَنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ ، ويستدل له بما أسنده الطبرى إلى أبي هريرة قال: «خرج رسول الله عَلَيْ يعود رجلاً من أصحابه وبه وعك، وأنا معه، ثم قال: وإن الله يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار في الآخرة، (٣).

أما الرأي السادس: وهو أن معنى الورود: هو أن يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم؛ فهذا القول يعزى أيضاً إلى عبد الله بن

⁽١) الفتوحات الإلهية جـ ٢ ص ٧٤.

⁽٢) جامع البيان جـ ١٦ ص ١١١.

⁽٣) جامع البيان جـ ١٦١ ص ١٦١. وقال ابن كثير عن حديث أبي هريرة إنه غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه ، التفسير جـ ٣ ص ١٣٣.

مسعود(١) ، وقد سبق أن أشرنا إلى أنه يفسر الورود بالدخول.

ومن الأدلة لهذا القول: ما أخرجه الترمذي والإمام أحمد، عن عبد الله ابن مسعود أن رسول الله على قال: ويرد الناس النار، ثم يصدرون منها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالربح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رجله (٢)، ثم كشد الرجل، ثم كمشيد،

قال الترمذي بعد أن أخرجه: «هذا حديث حسن» $^{(r)}$.

وهو مرفوع من رواية السدي عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود، ورواه شعبة عن السدي فلم يرفعه، وقال عبد الرحمن بن مهدي - أحد رواة الحديث: «قلت لشعبة: إن إسرائيل حدثني عن السدي عن مرة عن عبد الله عن النبي عَلَيْكُ ، قال شعبة: وقد سمعته من السدي مرفوعاً ولكني عمداً أدعه»(٤).

والحاصل أن الحديث مرفوع

أما بالنسبة للقول السابع؛ وهو القول بالتوقف:

فهو ما ذكره الشوكاني بعد أن نسبه إلى كثير من العلماء، وذلك في قوله: «وقد توقف كثير من العلماء عن تحقيق هذا الورود، وحمله على ظاهره؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِيسَ سَبَقَتْ لَهُ مَ مَنَّ اللَّحُسْنَىٰ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُون ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، قالوا: فلا يدخل النار من ضمن الله أن يبعده

⁽١) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٣٢.

⁽۲) أي كعدوه وجريه .

⁽٣) أخرجه الترمذي جـ ٥ ص ٣١٧.

⁽٤) سنن الترمذي جـ ٥ ص ٣١٧ والمسند جـ ١ ص ٤٣٣.

عنها^(۱) .

فسبب توقفهم عن تحقيق القول في الورود: أن الله أخبر أن من سبقت لهم الحسنى لا يردون النار، وأخبر في سورة مريم أنه ما من أحد إلا وسيرد النار؛ فصاروا إلى التوقف.

لكن الآية _ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِنَّا الْحُسنَىٰ. . . ﴾ إلى آخرها ـ تقوي قول من ذهب إلى أن الورود يراد به المرور العادي وعدم الدخول ؛ وهو ما يذهب إليه بعض العلماء .

وفي هذا يقول الشوكاني: «ومما يدل على أن الورود لايستلزم الدخول: قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدَّيْنَ ﴾ [القصص: ٣٣]، فإن المراد أشرف عليه لا أنه دخل فيه، وقول زهير:

فلما وردن الماء زرقاً جمامه وضعن عصى الحاضر المتخيم (٢)

أما القول الثامن ـ وهو ما ذكره العلامة الجمل عن بعض الفرق بقوله «وقالت فرقة: الورود هو الإشراف والاطلاع والقرب، وذلك أنهم يحضرون موضع الحساب وهوبقرب جهنم؛ فيرونها وينظرون إليها في حالة الحساب، ثم ينجي الله الذين اتقوا بما نظروا إليه، ويصار بهم إلى الجنة، ويذر الظالمين؛ أي يأمر بهم إلى النار»(٣) ـ فهو قول بعيد عن معنى الآية والمراد بها.

⁽١) فتح القدير جـ ٣ ص ٣٣٤.

⁽٢) فتح القدير جـ ٣ ص ٣٤٤.

⁽٣) الفتوحات الإلهية جـ٣ ص ٧٤.

القول الراجع في معنى الورود:

بعد عرض ما سبق؛ اتضح أن معنى الورود الذي ذكره الله يحتمل معاني كثيرة، ولهذا فقد اختلفت كلمة العلماء في تعريفه، والمراد منه، إلى الأقوال التي ذكرناها، والواقع أن تلك الأقوال منها ما هو قريب، ومنها ما هو بعيد، إلا أنه يمكن أن يقال:

إن القول السادس منها وهو أنه يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم هو الراجع؛ لتصريح الآية به ﴿ وَإِن مَنكُمُ إِلاَ وَارِدُهَا ﴾ ، المؤمنون بأعمالهم وأنذر الظّالمين فيها جينًا ﴾ ؛ بالإضافة إلى ما ثبت عن رسول الله عن وصف الصراط ومرور الناس عليه بحسب أعمالهم.

ولهذا يقول الطبري في ترجيحه:

"وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون، ؛ فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار، وورودهموها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله عَيَّاتُهُ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم، فناج مسلم ومكدس فيها "(۱).

وقال الشوكاني: «ولا يخفى أن القول بأن الورود: هو المرور على الصراط أو الورود على جهنم وهي خامدة فيه؛ جمع بين الأدلة من الكتاب والسنة؛ فينبغي حمل هذه الآية على ذلك؛ لأنه قد حصل الجمع بحمل الورود على دخول النار؛ مع كون الداخل من المؤمنين مبعداً من عذابها، أوبحمله على المضي فوق الجسر المنصوب عليها؛ وهو الصراط»(٢).

⁽١) جامع البيان جـ ١٦ ص ١١٢.

⁽٢) فتح القدير جـ ٣ ص ٣٤٤.

وقد رجح ابن أبي العز أيضاً القول بأن الورود يراد به المرور على الصراط كما سبق (١) .

مسالة:

ذكرنا فيما مضى أن من معاني الورود: هو أن الكل يدخل النار، كماهو رأي ابن عباس وغيره من السلف، وإذا كان الأمر هكذا فهل الأنبياء يشملهم هذا الورود أو لا؟

والجواب: أن ظاهر الآية يدل على أنهم كغيرهم من الأم، في المضي على الصراط واجتيازه، وأن الخطاب يشمل الجميع.

وذهب صاحب الفتوحات الإلهية إلى القول باستثناء الأنبياء، ولم يذكر دليلاً على استثنائهم، غير ما ذكر من أن ذلك لا يقال في حقهم؛ تأدباً لحنابهم، وإن كان ظاهر الآية ـ كما يذكر في قول ـ يفيد مرور جميع الخلق على الصراط دون استثناء أحد حتى الأنبياء (٢) .

ثم قال « فإن قيل: فهل يدخل الأنبياء النار؟ قلنا: لا نطلق هذا في حق الأنبياء أدباً معهم، ولكن نقول: إن الخلق جميعاً يردونها، كما دل عليه حديث جابر وغيره، فالعصاة يدخلونها بجرائمهم، والأولياء والسعداء يدخلونها بشفاعتهم، فبين الداخلين بون»(٣).

ويشهد لمرور الأنبياء على الصراط، ما تقدم ذكره في الأدلة على ثبوت الصراط، من قول الرسول عَلَي أنه : «فاكون أول من يجيز، ، «فاكون أنا وأمتي أول

⁽١) شرح الطحاوية ص ٤٠٩.

⁽٢) الفتوحات الإلهية جـ ٣ ص ٧٣.

⁽٣) المصدر السابق ص ٧٤.

من يجيزها ، ولا يعارض هذا ما جاء من أنه يقف على جانب الصراط ، ويدعو لأمته : « رب سلم سلم » ، فقد يقع هذا بعد أن يجتاز الصراط .

وإذا كان من أتباعه عَلَيه ، وأتباع غيره من الأنبياء عليهم السلام، من يحتاز مثل الطرف؛ فكيف باجتياز الرسل عليهم السلام.

مسألة:

ويلتحق بالسؤال السابق سؤال آخر وهو: إذا كان الله قد كتب النجاة لأوليائه وأنهم لا يدخملون النار ولا يعذبون بها، فما فائدة دخولهم النار (١) ؟.

والجواب: أنه وإن كان بعض العلماء يذكر حكمة في هذا، فإن أول ما يقال: إن الله تعالى له الحكم والأمر؛ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ولاشك أن لله تعالى حكماً عظيمة في خلقه وأفعاله، نؤمن بهذا؛ سواء أظهرت لنا الحكمة أم لم تظهر، نؤمن بما جاء به الشرع، ونعتقد أن فيه حكماً عظيمة وأسراراً جليلة.

ومن ذلك: مرور المؤمنين على الصراط وهم ممن كتبت لهم السعادة، فلا يقال: ما الفائدة؟؛ على وجه الاعتراض، ولكن نؤمن بهذا، ولا مانع أن يكون الله قد ألهم بعض خلقه القول الصواب في ذلك.

أما ما ذكره أهل العلم في الحكمة فهو:

١ ـ أن ذلك مما يزيدهم سروراً إذا علموا الخلاص منه.

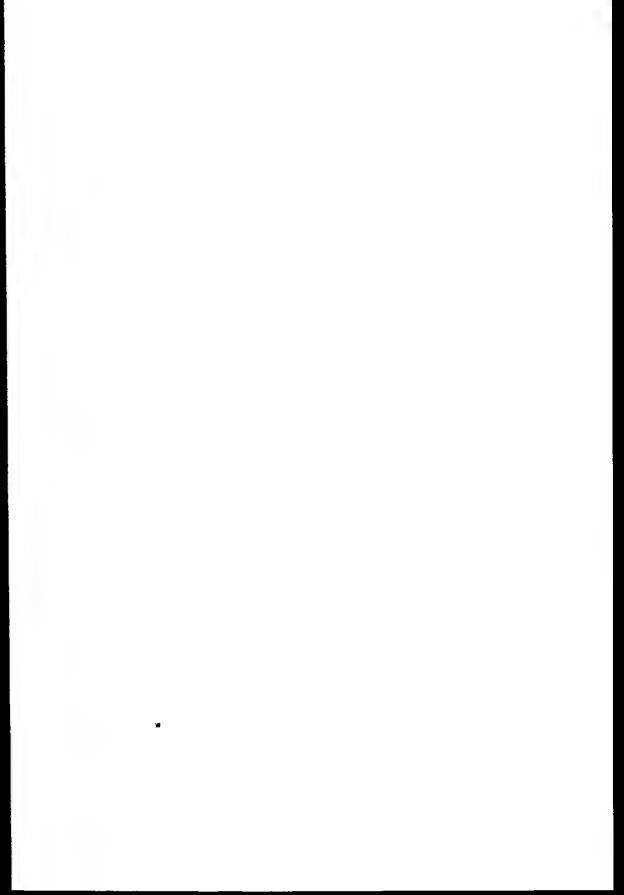
⁽١) الفتوحات الإلهية جـ ٣ ص ٧٤.

٢ ـ أن فيه مزيد هم على أهل النار ؛ حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها
 وهم باقون فيها .

٣ ـ أنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب على الكفار؛ صار ذلك سبباً لزيد التذاذهم بنعيم الجنة(١) . والله أعلم .

泰 泰 泰

⁽١) المصدر السابق.



الباب الثالث عشر أصداب الأعراف

ويشتمل على الفصول الأتية:

الفصل الأول: ما ورد في القرآن الكريم بشأن

أصحاب الأعراف.

الفصل الثاني: مناهو المراد بالأعسراف لغسة،

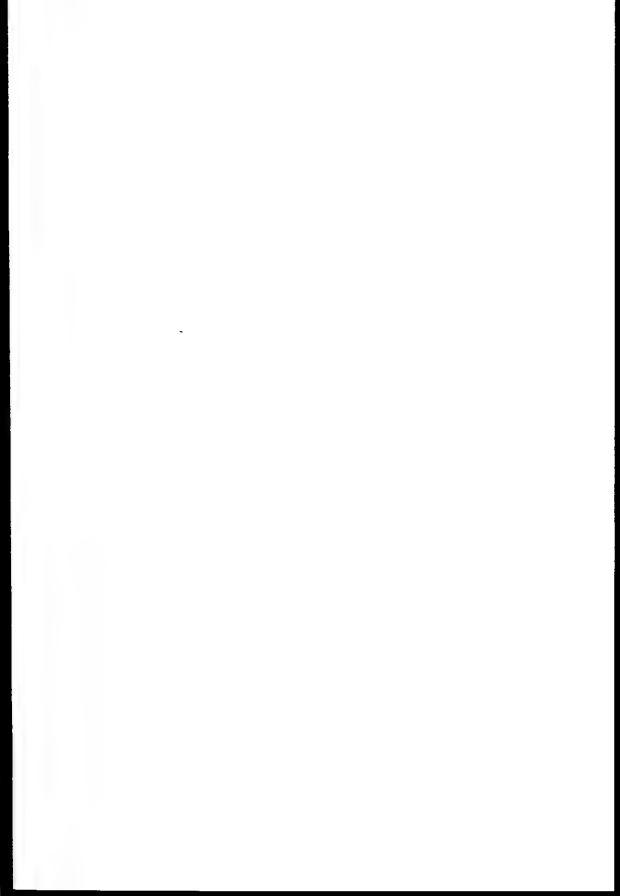
واصطلاحاً؟

الفصل الثالث: الخلاف في تعيين أصحاب الأعراف.

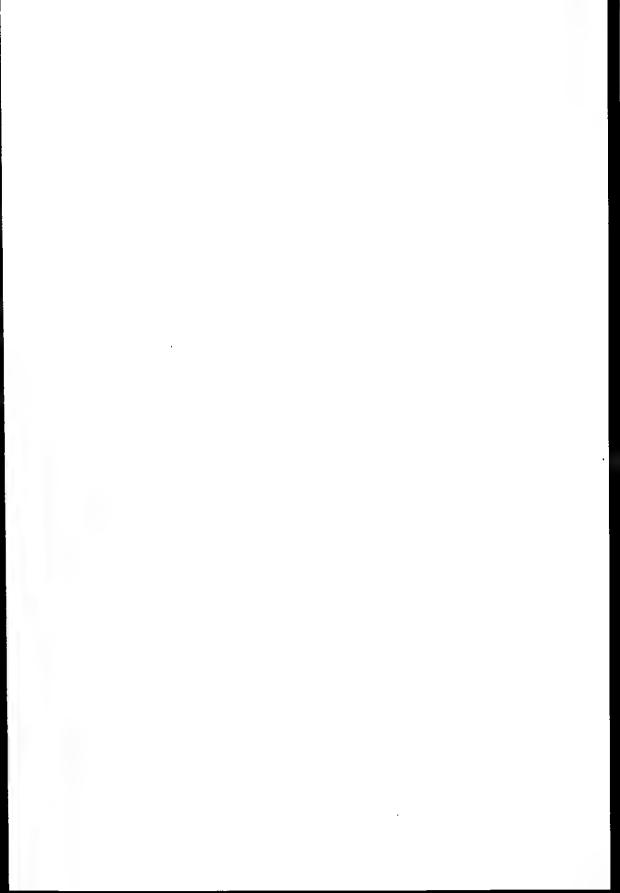
الفصل الرابع: ما هو الراجع في أهل الأعراف؟

الفصل الخامس: سورالأعراف الحاجز بين الجنة والنار،

يكون دائماً أم فترة من الفترات؟.







الفصل الأول ما ورد في القرآن الكريم بشأن أصداب الأعراف

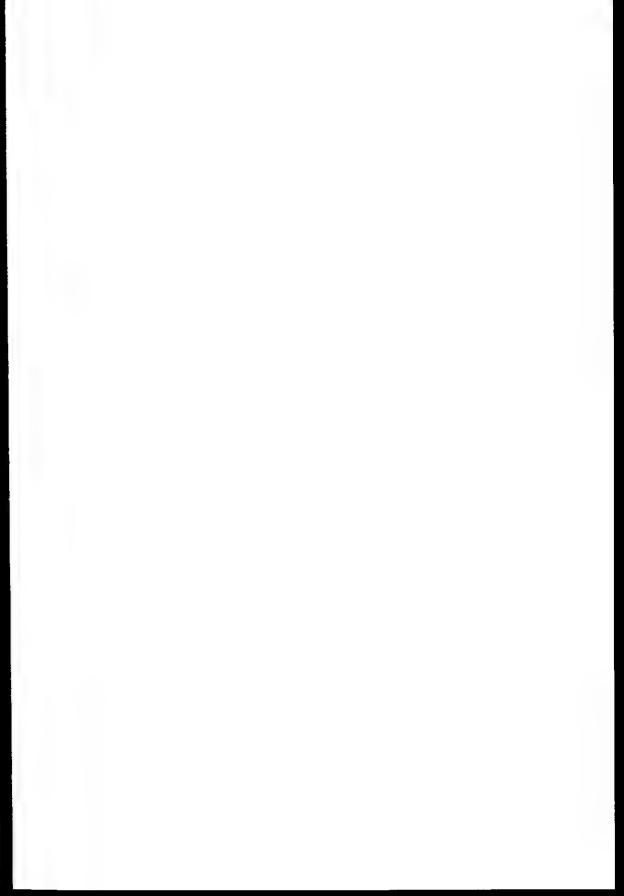
يقول الله تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيسَمَاهُمْ وَنَادُواْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٦].

ويقول تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُم قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُم جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُم تُسْتَكْبِرُونَ ﴿ آهَ أَهَوُلا اللَّهِ اللَّذِيسَ أَقْسَمْتُمْ لا مَا أَغْنَىٰ عَنكُم وَلَا أَنتُم تَحْزَنُونَ ﴾ يَنَالُهُم السَلَهُ بِرَحْمَه إِدْخُلُوا الْجَنَّة لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُم تَحْزَنُونَ ﴾ [الأعراف: ٨٤، ٤٩]

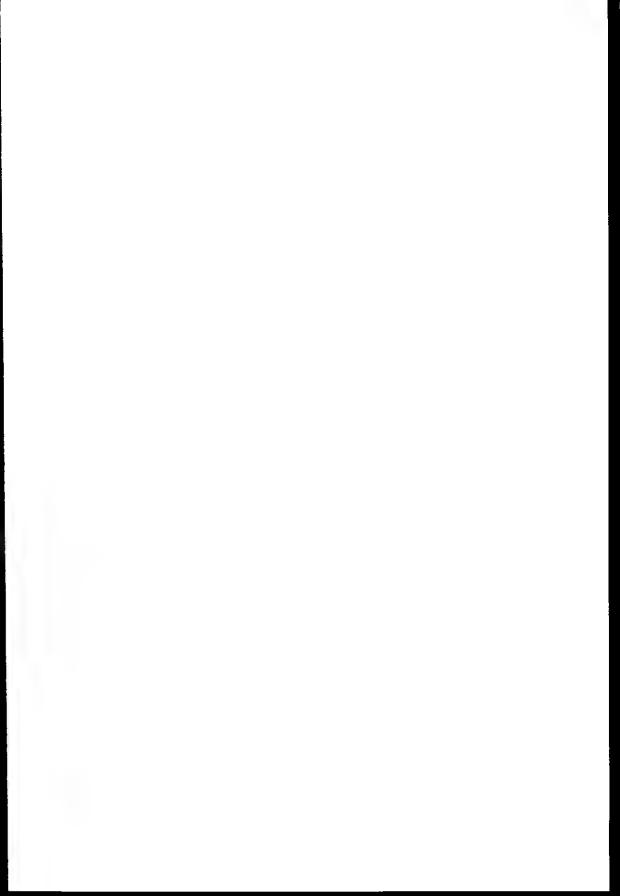
وقال تعالى: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قَبِلِهِ الْعَذَابُ ﴾ (١) [الحديد: ١٣].

* * *

⁽۱) هذا بناء على أن السور هو الأعراف، انظر: جامع البيان ٨/ ١٨٨، وهو رأي بعض السلف؛ ومنهم ابن عباس ومجاهد والضحاك وأبو جعفر. ولا يرد على هذا أن السور لا حاجة إليه لبعد ما بين الجنة والنار؛ إذ لا مانع من ذلك لإرادة الله تعالى له. انظر: التفسير الكبير ١٨٤/٨٤.







الفصل الثاني ما هو المراد بالأعراف لغة واصطلاحاً؟

معنى الأعراف لغة:

الأعراف حسب ما يظهر من أقوال العلماء . هو حاجز مرتفع بين أهل الجنة وأهل النار ، وهو في اللغة كما قال الأزهري رحمه الله: «جمع عرف؛ وهو كل عال مرتفع»(١) .

وقال الطبري: «الأعراف جمع واحدها عرف، وكل مرتفع من الأرض عند العرب فهو عرف، وإنما قيل لعرف الديك عرف؛ لارتفاعه على ما سواه من جسده (٢٠).

وقال الشوكاني: «الأعراف جمع، عرف، وهي شرفات السور المضروّب بينهم، ومنه عرف الفرس، وعرف؛ الديك، والأعراف في اللغة: المكان المرتفع»(٣).

وفي تعليل تسمية المكان المرتفع عرفاً يقول الرازي: «وذلك لأنه بسبب ارتفاعه يصير أعرف مما انخفض منه»(٤).

⁽١) تهذيب اللغة ٢/ ٣٤٦.

⁽٢) جامع البيان ٨/ ١٨٨.

⁽٣) فتح القدير ١٩٨/٢.

⁽٤) التفسير الكبير ١٤/ ٨٧.

معنى الأعراف اصطلاحاً:

وقد اختلف العلماء في معنى الأعراف إلى أقوال كثيرة، وحاصلها ما يأتي :

١ - الأعراف: هو مكان مرتفع يشرف على أهل الجنة والنار.

٢ - الأعراف: هو السور الذي ذكره الله فاصلاً بين الجنة والنار(١).

۳ ـ هو جبل بين الجنة والنار، أو تل مرتفع، ويروى عن ابن عباس أنه تل بين الجنة والنار حبس عليه ناس من أهل الذنوب، وقال سعيد بن جبير: «الأعراف جبال بين الجنة والنار، فهم على أعرافها، يقول على ذراها»(۲).

٤ - الأعراف: هو الصراط، قال ابن جريج: «زعموا أنه الصراط».

٥ ـ هو حجاب بين فريقي أهل الجنة وأهل النار ، وهو قول مجاهد.

٦ - وقال القرطبي: «وقيل إنه سور بين الجنة والنار، قيل: هو جبل أحد يوضع هناك»(٣).

ومن الذين ذهبوا إلى أن الأعراف هو السور المذكور في سورة الحديد، في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ فِي قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نَوْدِكُمْ قِيلَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقُهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنهُ فِي الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قَبِلَهِ الْعَذَابِ ﴾ [الحديد: ١٣].

ومن الذين ذهبوا إلى ذلك: السدي، حيث قال: «هو السور، وهو

⁽١) انظر: المفردات للراغب ص: ٣٣٢.

⁽٢) فتح القدير ٢٠٩/٢.

⁽٣) التذكرة ص: ٣٢١.

الأعراف،، قال: «وإنما سمى الأعراف لأن أصحابه يعرفون الناس».

وقال حذيفة: «الأعراف سور بين الجنة والنار»، وعن ابن عباس - في رواية عنه . قال: «الأعراف هو السور الذي ذكره الله في القرآن، بين أهل الجنة وأهل النار»(۱).

وقد روى البيهقي في الأسماء والصفات عن مقاتل في قوله: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ ﴾، قال: يعني بالسور حائطاً بين أهل الجنة وأهل النار، له باب؛ باطنه ـ يعني باطن السور ـ فيه الرحمة مما يلي الجنة، وظاهره من قبله العذاب، ـ يعني جهنم، وهو الحجاب الذي ضرب بين أهل الجنة وأهل النار»(٢).

وهناك أقبوال أخرى ذكرها بعض العلماء، غير إنها لا تخرج في مفهومها عما سبق.

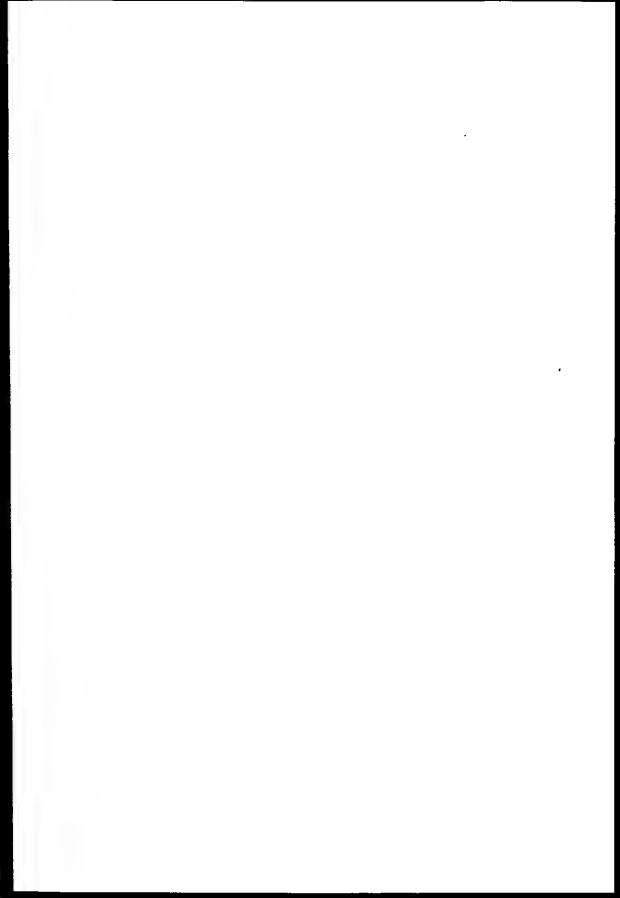
وعلى أي احتمال كان؛ فإن جميع الأقوال في الأعراف وهو: إما حجاب أو سور أو تل مشرف، أو جبال بين الجنة والنار أو أي حاجز آخر كلها تهدف إلى إثبات أن حاجزاً مرتفعاً يجعله الله في يوم القيامة بين الجنة والنار، يشرف منه أصحاب الأعراف على فريقي الجنة والنار، يعرفون كلا بسيماهم، وأن أصحابه لم يتقرر مصيرهم بعد، ولكن مالهم إلى الجنة (") كما سيأتي بيان ذلك فيما يلى.

* * *

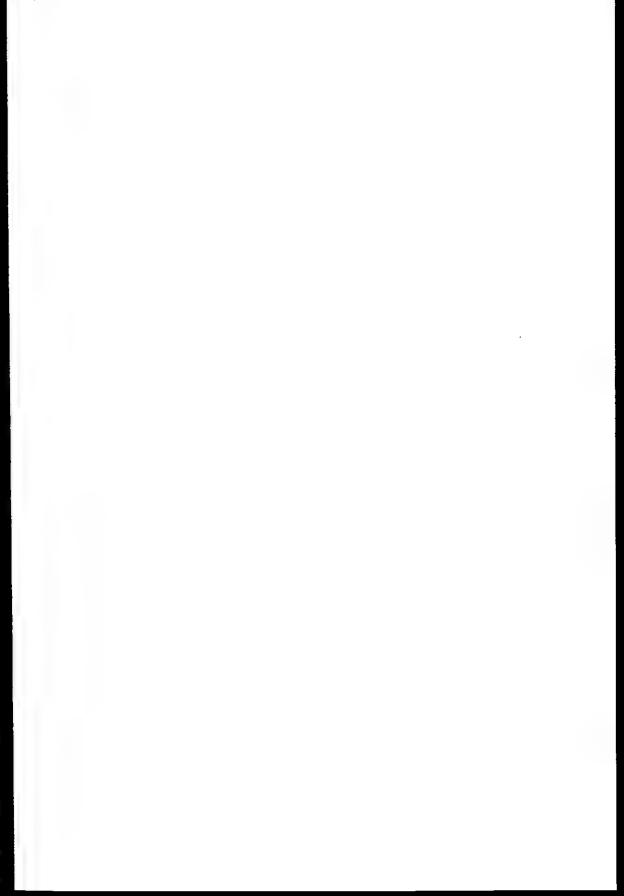
⁽١) تفسير المتار ٨/ ٤٣١.

⁽٢) أخرجه البيهقي في الأسماء و الصفات ص: ٦١٦.

⁽٣) فتح القدير ٢/ ٢٠٩.







الفصل الثالث الخلاف في تعيين أصحاب الأعراف

اختلف العلماء في تعيين أصحاب الأعراف، وفي السبب الذي صاروا به موقوفين على الأعراف، كما أخبر الله عنهم؛ اختلف العلماء في ذلك إلى آراء مختلفة وأقوال متباينة، وفيما يلي: نذكر ما قيل في تعيينهم ثم الترجيح: فمما قيل في تعيينهم:

ا ـ أنهم مساكين أهل الجنة، وينسب هذا القول إلى ابن مسعود وكعب الأحبار وابن عباس (١) .

وأخرج الطبري عن ابن عباس أنه قال: «الأعراف سور بين الجنة والنار، وأصحاب الأعراف بذلك المكان، حتى إذا بدا لله ـ هكذا بالأصل - أن يعافيهم ؛ انطلق بهم إلى نهر يقال له: الحياة، حافتاه قضب الذهب، مكلل باللؤلؤ، ترابه المسك؛ فألقوا فيه، حتى تصلح ألوانهم ويبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها، حتى إذا صلحت ألوانهم، أتى بهم الرحمن، فقال: تمنوا ما شئتم، قال: فيتمنون، حتى إذا انقطعت أمنيتهم قال لهم: لكم الذي تمنيتم ومثله سبعين مرة، فيدخلون الجنة وفي نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها، يسمون مساكين الجنة»(٢).

⁽۱) التذكرة ص: ٣٨٦. ويردعلى هذا أن الجنة ليس فيها مساكين، وليس هناك دليل على ثبوت هذا القول، ولعل القصد أنهم أقل درجات أهل الجنة.

⁽٢) جامع البيان جـ ٨ ص ١٩١.

وهو رأي عبد الله بن الحارث - أيضاً - كما أخرج الطبري عن مجاهد عن عبد الله بن الحارث قال: أصحاب الأعراف ينتهى بهم إلى نهر يقال له: الحياة، حافتاه قضب من ذهب، قال سفيان: أراه قال: مكلل باللؤلو، قال: فيغتسلون منه اغتسالة، فتبدو في نحورهم شامة بيضاء، ثم يعودون فيغتسلون فيزدادون، فكلما اغتسلوا ازدادت بياضاً، فيقال لهم: تمنوا ما شاءوا، فيقال لهم: لكم ماتمنيتم وسبعون ضعفاً، قال: فهم مساكين أهل الجنة الله الجنة الله المناول ا

٢- أنهم قوم صالحون، فقهاء، علماء، وينسب هذا القول إلى مجاهد (٢)
 ؛ وهذه صفة مدح لهم، غير أنه جاء في التفسير المنسوب إلى ابن عباس أن
 هؤلاء كانوا شاكين في الرزق (٣)
 ؛ وهذه صفة ذم، وقد وصف ابن كثير هذا
 القول بأن فيه غرابة (٤)

٣- أنهم الشهداء، ذكره المهدوي (٥)، وعزاه الشوكاني إلى القشيري وشرحبيل بن سعد (٦).

٤ - هم فضلاء المؤمنين والشهداء، فرغوا من شغل أنفسهم وتفرغوا
 لمالعة أحوال الناس، ذكره أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري(٧)،

⁽١) جامع البيان ٨/ ١٩١_ ١٩٢.

⁽٢) التذكرة ص: ٣٨٦.

⁽٣) تنوير المقباس ٢/ ١٧ مع الدر المنثور.

 ⁽٤) تفسير القرآن العظيم ٢/٢١٧.

⁽٥) التذكرة ص: ٣٨٦.

⁽٦) فتح القدير ١٩٨/٢.

⁽٧) التذكرة ص: ٣٨٦.

وعزاه الشوكاني إلى مجاهد^(١) .

٥ ـ هم المستشهدون في سبيل الله الذين خرجوا عصاة لآبائهم، ويعزى
 هذا القول إلى شرحبيل بن سعد أيضاً (١) .

وأخرج الطبري حديثين في هذا:

الأول منهما قال فيه: حدثني المثنى، وساق السند إلى يحيى بن شبل، أن رجلاً من بني النضير أخبره عن رجل من بني هلال، أن أباه أخبره، أنه سأل رسول الله عن أصحاب الأعراف، فقال: «همقوم غزوا في سبيل الله عصاة لآبائهم، فقتلوا فأعتقهم الله من النار بقتلهم في سبيله، وحبسوا عن الجنة بمعصية آبائهم، فهم آخر من يدخل الجنة، (٢٠).

وأما الحديث الثاني، فقد أخرجه عن يحيى بن شبل، مولى بني هاشم، عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: سئل رسول الله عَن أصحاب الأعراف فقال: «قوم قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم، فمنعهم قتلهم في سبيل الله عن النار، ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة، (3) ، وهذا الحديث قد ضعفه بعض العلماء (6) .

ويروى عن أبي سعيد أنه قال: سئل النبي عَنَّ عن أصحاب الأعراف فقال: «هم رجال قتلوا في سبيل الله وهم عصاة الآبانهم، فمنعتهم الشهادة أن يدخلوا

⁽١) فتح القدير ١٩٨/٢.

⁽٢) التذكرة ص: ٣٨٦.

⁽٣) جامع البيان ٨/ ١٩٢.

⁽٤) المصدر السابق.

⁽٥) انظر: تفسير المنار ٨/ ٤٣١.

النار، ومنعتهم المعصية أن يدخلوا الجنة، وهم على سور بين الجنة والنار، حتى تذبل لحومهم وشحومهم، حتى يفرغ الله من حساب الخلائق، فإذا فرغ من حساب خلقه فلم يبق غيرهم، تغمدهم منه برحمة فأدخلهم الجنة برحمته،(١)

وقد ذكر الرازي، أن القول الذي يجعل الأعراف، عبارة عن الرجال الذين يعرفون أهل الجنة وأهل النار، يعود أيضاً إلى قول من يجعل الأعراف، عبارة عن الأمكنة العالية، على السور المضروب بين الجنة وبين النار، لأن هؤلاء الأقوام لابد لهم من مكان عال يشرفون منه على أهل الجنة وأهل النار".

٢-هم: العباس، وحمزة، وعلي بن أبي طالب، وجعفر ذو الجناحين، يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضهم بسواد الوجوه، ذكره الثعلبي عن ابن عباس (٢).

وبُعد هذا القول لا يخفى؛ لأن هذا التخصيص لا معنى له، ولعله من أقوال الشيعة: بل قد ذكر محمد رشيد رضا أنه من أقوالهم، وهو كذلك لم يوجد في كتب التفسير المعتمدة عن السلف؛ قال:

"وهذا القول: ذكر الآلوسي أن الضحاك رواه عن ابن عباس: ولم نره في شيء من كتب التفسير المأثورة، والظاهر أنه نقله عن تفاسير الشيعة، وفيه أن أصحاب الأعراف يعرفون كلاً من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم؛ أي

⁽۱) جمع الفوائد ۲۰۸/۲، ثم عزاه إلى الأوسط والصغير بضعف، وفيه محمد بن مخلد الرعيني وهو ضعيف، كذا في مجمع الزوائد ٧/ ٢٣.

⁽۲) انظر: التفسير الكبير ۱۶/۸۹.

⁽٣) التذكرة ص: ٣٨٦.

فيميزون بينهم أو يشهدون عليهم، وأي فائدة في تمييز هؤلاء السادة على الصراط لل كان يبغضهم من الأمويين، ومن يبغضون علياً خاصة، من المنافقين والنواصب؟ وأين الأعراف من الصراط؟ هذا بعيد عن نظم الكلام وسياقه جداً»(1).

٧ ـ هم عدول القيامة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم، وهم في كل أمة، ذكره الزهراوي، واختاره النحاس(٢) .

قال ألعلامة محمد رشيد رضا: «فكما ثبت أن كل رسول يشهد على أمته وثبت أن أمة محمد عَلَيْ شهداء على جملة من الأم بعده؛ ثبت أيضاً أن في الأم شهداء غير الأنبياء عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّة بِشَهِيد وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَوُلاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١].

وقـال في خطاب هذه الأمـة: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيلَدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال في صفة يوم القيامة: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظَلَّمُونَ ﴾ [الزمر: ٦٩].

وهؤلاء الشهداء هم حجة الله على الناس في كل زمان بفضائلهم واستقامتهم على الحق والتزامهم للخير وأعمال البرا(").

٨. هم قوم أنبياء، قاله الزجاج(٤).

«أي يجعلهم الله تعالى على أعالي ذلك السور، تمييزًا لهم على الناس،

⁽١) تفسير المنار ٢/٤٣٣.

⁽٢) التذكرة: ص: ٣٨٦.

⁽٣) تفسير المنار ٨/٤٣٢.

⁽٤) انظر: التذكرة ص: ٣٨٦.

ولأنهم شهداؤه على الأم، ورجح هذا القول الرازي»(١). هذا كلام محمد رشيد رضاعته.

وقد أورد الرازي في تفسيره. بعد ذكر هذا القول. أن هذا الوجه لا يتفق مع معنى الآية: ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾، أي لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون في دخولها، وهذا الوصف لا يليق بالأنبياء والملائكة والشهداء.

لكنه قال في الإجابة عن هذا: «أجاب الذاهبون إلى هذا الوجه بأن قالوا: لا يبعد أن يقال: إنه تعالى بين من صفات أصحاب الأعراف أن دخولهم الجنة يتأخر؛ والسبب فيه أنه تعالى ميزهم عن أهل الجنة وأهل النار، وأجلسهم على تلك الشرفات العالية والأمكنة المرتفعة، ليشاهدوا أحوال أهل الجنة وأحوال أهل النار، فيلحقهم السرور العظيم بمشاهدة تلك الأحوال، ثم استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، فحيئنذ ينقلهم الله تعالى إلى أمكنتهم العالية في الجنة، فثبت أن كونهم غير داخلين في الجنة، لا يمنع من كمال شرفهم وعلو درجتهم.

وأما الطمع المذكور في الآية، فهو على ما ذكر هؤلاء، يكون معناه: اليقين، لا الطمع الذي لا يثق صاحبه بحصول المراد، وعلى هذا قوله تعالى عن إبراهيم: ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٨٣] فهذا الطمع طمع يقين (٢).

 ٩ - هم قوم كانت لهم صغائر لم تكفر عنهم بالآلام والمصائب في الدنيا فوقفوا، وليست لهم كبائر فيحبسون عن الجنة لينالهم بذلك غم، فيقع في

⁽١) تفسير المنار ٨/ ٤٣٢.

⁽٢) انظر: التفسير الكبير ١٤/ ٨٨.

مقابلة صغائرهم. حكاه ابن عطية القاضي أبو محمد في تفسيره (١٠).

10 - ذكره ابن وهب عن ابن عباس، قال: أصحاب الأعراف الذين ذكر الله في القرآن، أصحاب الذنوب العظام من أهل القبلة، وذكره ابن المبارك؛ قال: أخبرنا جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: أصحاب الأعراف رجال كانت لهم ذنوب عظام، وكان جسيم أمرهم لله، فأقيموا ذلك المقام، إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم بسواد الوجوه، قالوا: ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، وإذا نظروا إلى أهل الجنة عرفوهم ببياض وجوههم.

وفي رواية سعيد بن جبير عن عبد الله بن مسعود: "وكانوا آخر أهل الجنة دخو لا الجنة" () .

١١ ـ أنهم أولاد الزنا، ذكره أبو نصر القشيري عن ابن عباس(٢) .

17 ـ أنهم ملائكة موكلون بهذا السور، يميزون الكافرين من المؤمنين قبل إدخالهم الجنة والنار. قاله أبو مجلز لاحق بن حميد، فقيل له: لا يقال للملائكة رجال، فقال: إنهم ذكور وليسوا بإناث، فلا يبعد إيقاع لفظ الرجال عليهم كما وضع على الجن في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مَن الْجِنِ ﴾ [الجن: ٦]().

وذكرالطبري روايات عن أبي مجلز في تقوية هذا القول الذي يتزعمه، ويجادل في أن أهل الأعراف هم رجال من الملائكة .

⁽١)، (٢) التذكرة ص: ٣٨٧.

⁽٣) المصدر السابق.

⁽٤) جامع البيان ١٩٣/٨.

وهناك روايات كثيرة عن أبي مجلز لا حاجة إلى التطويل بذكرها، فهي لا تخلو ـ سواء أصحّت نسبتها إليه أم لم تصح ـ عن كونها قولاً من الأقوال يحتاج لصحة إثباته إلى نص عن رسول الله عَلَيْكُ .

على أن ابن كثير قد ذكر بعد إيراد الرواية عنه صحة نسبة هذا القول إلى أبي مجلز، ولكن حكم عليها بالغرابة، وعدم الانسياق مع الظاهر من وصف الملائكة، فقال: «وهذا صحيح إلى أبي مجلز لاحق بن حميد أحد التابعين وهو غريب من قوله، وخلاف الظاهر من السياق»(١).

وقال محمد رشيد رضا في سبب حكم ابن كثير على قول أبي مجلز بالغرابة: «وإنما عده غريباً عنه لمخالفته لقول الجمهور، ولتسميته الملائكة رجالاً وهم لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة»(١٠).

۱۳ - أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم «فجعلوا هناك إلى أن يقضي الله فيهم ما يشاء، ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته إياهم»(٣).

ويعزى هذا القول إلى ابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وابن عباس، والشعبي، والضحاك، وسعيد بن جبير، فمما يعزى إلى حذيفة بالسند، ما أخرجه الطبري عن الشعبي أنه قال: أرسل إليّ عبد الحميد بن عبد الرحمن، وعنده أبو الزناد، وعبد الله بن ذكوان مولى قريش، وإذا هما قد ذكرا من أصحاب الأعراف ذكراً ليس كما ذكر.

فقلت لهما: إن شئتما أنبأتكما بما ذكر حذيفة، فقالا: هات، فقلت: إن

⁽١) تفسير القرآن العظيم ٢/٢١٧.

⁽٢) تفسير للنار ٨/ ٤٣٢.

⁽٣) جامع البيان ٨/ ١٩٠، فتح القدير ١٩٨/٢.

حذيفة ذكر أصحاب الأعراف فقال: هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، فإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار، قالوا: ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، فبيناهم كذلك اطلع إليهم ربك تبارك وتعالى فقال: اذهبوا وادخلوا الجنة؛ فإني قد غفرت لكم.

وفي رواية أخرى للشعبي عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف، قال: فقال: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، وخلفت بهم حسناتهم عن النار، قال: فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم.

. وعن عامر عن حذيفة قال: أصحاب الأعراف قوم كانت لهم ذنوب وحسنات، فقصرت ذنوبهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، فهم كذلك حتى يقضي الله بين خلقه فينفذ فيهم أمره، وفيه روايات أخرى عن حذيفة وهي بمعنى ما سبق.

وهما يعزى إلى ابن مسعود، ما أخرجه الطبري عن سعيد بن جبير عن ابن مسعود، قال: «يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار، ثم قرأ قرل الله: ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَعُذُ الْحَقُّ فَمَن ثَقَلَتْ مَوَازِيسنهُ فَأُولْنَكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ وَمَنْ خَفَتْ مَوَازِينَهُ فَأُولَتِكَ الّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم ﴾ فَأُولْنَكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ وَمَنْ خَفَتْ مَوَازِينَهُ فَأُولَتِكَ الّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم ﴾ [الأعراف: ٨، ٨].

ثم قال: إن الميزان يخف بمثقال حبة و يرجح، قال: فمن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف، فوقفوا على الصراط، ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا: سلام عليكم، وإذا

صرفوا أبصارهم إلى يسارهم ونظروا إلى أصحاب النار، قالوا: ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين، فيتعوذون بالله من منازلهم.

قال فأما أصحاب الحسنات فإنهم يعطون بوراً فيمشون به بين أيديهم وبأيماتهم، ويعطى كل عبد يؤمئذ نوراً، وكل أمة نوراً، فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة، فلما رأي أهل الجنة ما لقي المنافقون قالوا: ﴿ رَبّنا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنا ﴾ [التحريم: ٨]، وأم أصحاب الأعراف فإن النور كان في أيديهم فلم ينزع من أيديهم، فهنالك يقول الله: ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾، فكان الطمع دخو لأ، قال: فقال ابن مسعود: على أن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشراً، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة، ثم يقول: هلك من غلب وحداته أعشاره (١٠)

وينسب هذا الرأي أيضاً إلى ابن عباس، فإنه كان يقول: إن أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، وهذا ما ينص عليه الطبري بسنده إلى ابن عباس أنه قال: «أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، ولاسيئاتهم على حسناتهم، ولاسيئاتهم على حسناتهم،

ويذكر قتادة عن ابن عباس أنه كان يقول: «الأعراف بين الجنة والنار، حبس عليه أقوام بأعمالهم»، وكان يقول: «قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، ولا سيئاتهم على حسناتهم، ولا سيئاتهم على حسناتهم»(۲).

⁽١) جامع البيان ٨/ ١٩١، وانظر فتح القدير ٢/ ١٩٨

⁽٢) جامم البيان ٨/ ١٩١

⁽٣) المصدر السابق ٨/ ١٩٢

١٤ ـ هم مؤمنو الجن.

١٥ ـ هم قوم كانت عليهم ديون.

ويذكر السيوطي حديثاً يعزوه إلى البيهقي في رفع القول الأول إلى النبي عَلَيْكَ ؛ فإن السيوطي بعد أن ذكر تلك الأقوال السابقة أورد الحديث الآتى:

عن أنس بن مالك عن النبي عُلِيه قال: «إن مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب، فسألناه عن ثوابهم فقال: «على الأعراف وليسوا في الجنة مع أمة محمد، فسألناه: وما الأعراف؟ قال: «حانط الجنة تجري فيه الأنهار، وتنبت فيه الأشجاروالثمار، (1).

وفي هذا القول ـ أي بأنهم مؤمنو الجن ـ يقول محمد رشيد رضا:

«وروى ابن عساكر فيه حديثاً مرفوعاً عن أنس بن مالك من طريق الوليد ابن موسى الدمشقي، وهو منكر الحديث في أعدل الأقوال، ورماه بعضهم بالوضع»(۱).

أما القول بأنهم قوم عليهم ديون فهو ما يعزى إلى مسلم بن يسار، قال قتادة: «وقال مسلم بن يسار: قوم كان عليهم دين»(٢).

ومنها القول بأن أصحاب الأعراف هم:

١٦ ـ أهل الفترة .

⁽١) الدر المنثور ٣/ ٨٩، ويعزوه إلى البيهقي.

⁽٢) تفسير المنار ٨/ ٤٣٢.

⁽٣) الدر المنثور ٣/ ٨٩، ويعزوه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

١٧ ـ هم أولاد المشركين الذين ماتوا قبل سن التكليف.

١٨ ـ هم أهل العجب بأنفسهم، ويعزى هذا القول إلى الحسن(١٠).

١٩ ـ هم آخر من يفصل الله بينهم، وهم عتقاؤه من النار "(٢).

وإذا علمنا ذلك الاختلاف الكثير والمتباين في بعض الأقوال، فإن قول الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله، في اختلاف عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف وتعيينهم: «وكلها ـ كما يقول ـ قريبة ترجع إلى معنى واحد، وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم»(") ـ فيه نظر: فإن هذا المعنى الذي ذكره إنما هو قول من تلك الأقوال المتقدمة التي بينها غاية التباعد والتباين.

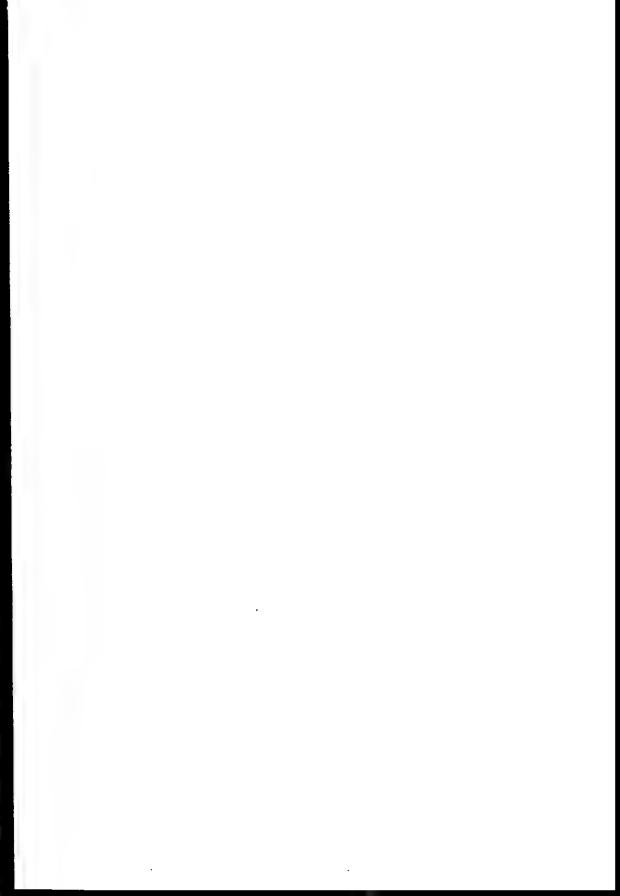
수 차 차

⁽١) الدر المشور ٣/ ٨٩.

⁽٢) تقسير المنار ٨/ ٤٣٢.

⁽٣) تفسير ابن كثير ٢١٦/٢.





الفصل الرابع ما هو الراجع في أهل الأعراف؟

ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أصحاب الأعراف، وذكر بعض أوصافهم على سبيل الإجمال.

واختلف العلماء في تعيينهم اختلافاً كثيراً، فتعددت أقوالهم وتضاربت آراؤهم كما تقدم تفصيل ذلك.

وبهذا ندرك، أن ترجيح قول من الأقوال، في تعيين أصحاب الأعراف، أمر من الصعوبة بمكان؛ ذلك أن القرآن الكريم لم يبين من هم بالتحديد. وما ورد في السنة من أخبار؛ فإنها كلها لا تخلو عن مقال، ولم يثبت منها شيء بسند صحيح يكون قاطعاً للنزاع والخلاف.

وأما استنباطات العلماء، فهي كما قدمنا تفتقر إلى دليل صحيح، بغض النظر عن كون تلك الأقوال المنسوبة إلى قائليها تصح نسبتها إليهم أم لا.

وإذا علم هذا فإنه لم يبق لنا من مستند إلا ما جاء في القرآن الكريم، فنثبت ما أثبته في حقهم ولا نتعداه، فإن هذه المسألة من الأمور الغيبية التي لا مجال للجزم برأي فيها دون نص ثابت عن رسول الله عَلَيْكُ ، وقد أخبر القرآن الكريم عنهم بأنهم: رجال يعرفون أهل الجنة وأهل النار بسيماهم، اختصهم الله بتلك المزية من بين خلقه.

وقد قال ابن جرير في الترجيح بين تلك الأقوال، وفي الرد على أبي

مجلز: «والصواب من القول في أصحاب الأعراف أن يقال ـ كما قال الله جل ثناؤه في هم ﴿ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً ﴾ من أهل الجنة وأهل النار ﴿ بِسِيماً هُمْ ﴾ ولا خبر عن رسول الله عَلى يصح سنده، ولا أنه متفق على تأويلها، ولا إجماع من الأمة على أنهم ملائكة.

فإذا كان ذلك كذلك، وكان ذلك لا يدرك قياساً، وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أن الرجال اسم يجمع ذكور بني آدم دون إنائهم، ودون سائر الخلق غيرهم؛ كان بينًا أن ما قاله أبو مجلز من أنهم ملائكة: قول لا معنى له، وأن الصحيح من القول في ذلك، ما قاله سائر أهل التأويل غيره، هذا مع من قال بخلافه من أصحاب رسول الله عَلَيْه ، ومع ماروي عن رسول الله عَلَيْه في ذلك من الأخبار، وإن كان في أسانيدها ما فيها»(١).

ولعل هذا هو الذي يتعين القول به من بين تلك الأقوال، وإن كان القول بأنهم من استوت حسناتهم وسيئاتهم هو ما ذهب إليه كثير من العلماء؛ إلا إن تلك الروايات لم تصف من الشواتب؛ بل هي كما قال الحافظ ابن كثير: «الله أعلم بصحة هذه الأخبار المرفوعة، وقصاراها أن تكون موقوفة»، غير أن الجمهور تمسك بها.

وعن رأيهم هذا يقول محمد رشيد رضا:

«ورجح الجمهور بكثرة الروايات أنهم الذين استوت حسناتهم وسيئاتهما(٢٠).

جامع البيان ٨/ ١٩٤.

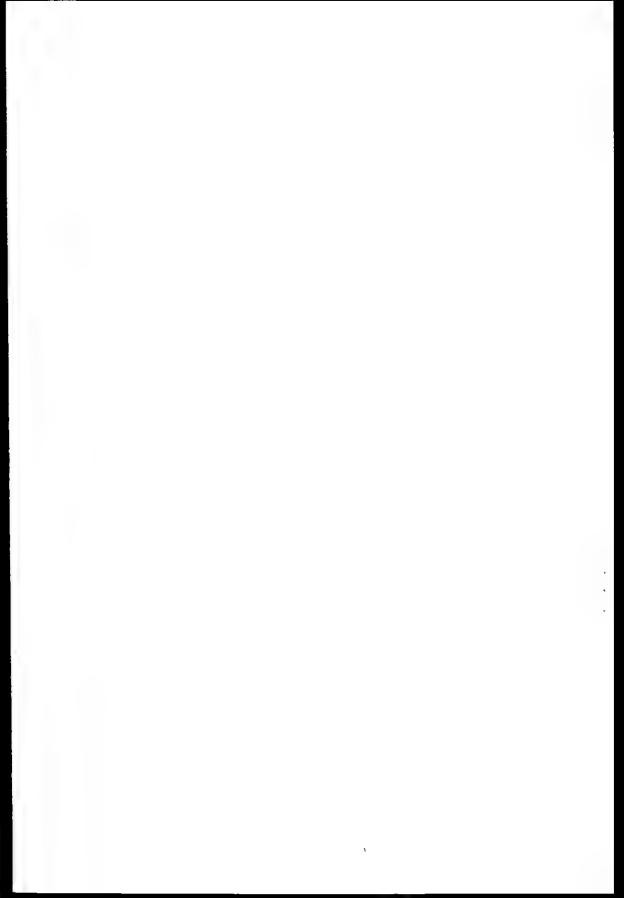
⁽٢) تفسير القرآن الحكيم ٨/ ٤٣٣.

ومما تقدم يظهر لنا مدى تفاوت أقوال العلماء في تعيينهم لأهل الأعراف. على أن في بعض هذه الأقوال تناقضًا ظاهراً، والمثال على ذلك: أن بعضهم قال: إن أهل الأعراف هم من الأنبياء، وكانوا على الأعراف لعلو منزلتهم وعظيم مكانتهم. وعلى نقيض هذا القول من قال: إن أهل الأعراف هم أولاد الزنا أو مساكين أهل الجنة، وهذان القولان بينهما من البعد ما لا يخفى.

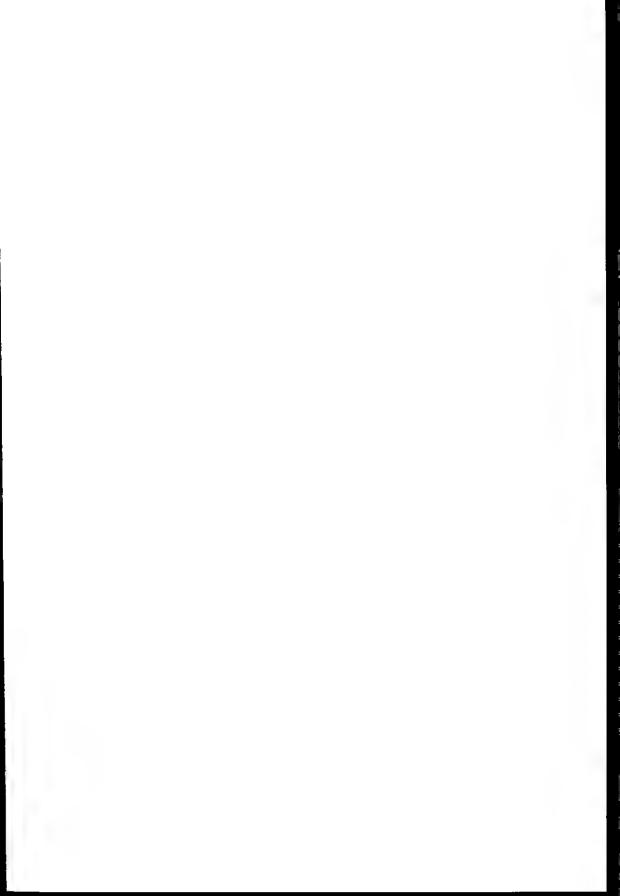
على أن هذه الأقوال جميعها ليس لها سند صحيح من كتاب الله تعالى، ولا من سنة رسوله على . ولما كان هذا الموضوع من المغيبات؛ فلابد للقول بإثباته على هيئة خاصة أو اعتقاده ـ من وجود سند صحيح؛ فالأولى أن يقال بتفويض العلم بحقيقتهم إلى الله عز وجل . والله أعلم .

* * *

⁽١) تفسير القرآن الحكيم ٨/ ٤٣٤ . .



\$ 0 0 to . 3 60 00 0 -\$ @ e = = ---1 數項相由 **** * * * * ---الفصل الخامس ***** *** · # 23 30 · 0 · · 449 10 10 3 833 BACK * 2 " 1 3 M 1 evg 12 1 سور الأعراف الحاجز بين الجنة والنارء 20000 J. Korren British skip 1,1319 أيكون دائماً أم في فترة 3 8 2 . . * * * 1 Q 87 80 m) 0 ** . *** ** ** *** 3 80 00 0 من الفترات؟ 11 11 11 11 11 w) 100 4 4 1 -- A 1 40 13 3 3 44 · * 4 4 4 4 多糖的咖啡~ **** *** ***** * W (0) 400 400 *** 40000



الفصل الخامس الفصل الجنة والنار، أيكون دائما أم في فترة من الفترات؟

وفي ختام هذا الموضوع: فإنه يتبادر إلى الذهن سؤال؛ وهو: هل وضع ذلك السور الحاجز بين أهل الجنة وأهل النار يكون دائماً أو في فترة من الفترات، وهي في حالة وجود أهله عليه، وقبل استقرارهم الأبدي في الجنة؟

قال محمد رشيد رضا في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ فَصُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ . . . ﴾ إلى آخر الآية [الحديد: ١٣]: "فإن الجنة في باطنه، والنار من قبل ظاهره، أي بالنسبة إلى ما يكون الناس عليه في موقف الحساب»

وقال أيضاً: "والتحقيق: أن الأعراف هوذلك السور والحجاب بين الدارين وأهلهما، أو أعاليه التي يكون عليها أولئك الرجال، الذين يرون أهل الجنة وأهل النار جميعاً قبل الدخول فيهما، فيما يظهر، فيعرفون كلاً منهما بسيماهم، التي وصفهم الله تعالى بها في مثل قوله تعالى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئذُ مَسْفُرةٌ (٣) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشَرَةٌ (٣) وَوَجُوهٌ يَوْمَئذُ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُها فَتَرَةٌ (٤٠) أَوْلَئكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةً ﴾ [عبس: ٣٨ - ٤٢].

وأما بعد الدخول فيه، فالتمييز بين الفريقين من تحصيل الحاصل، وذكره عبث ينزه عنه التنزيل، إلا إذا أريد معرفة أشخاص معينين، وهو لا يظهر هنا، وإنما يظهر في قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُم ﴾ [الأعراف: ٤٨] فهذه سيما خاصة؛ لأنها لأفراد مخصوصين، وتلك سيما عامة؛ لأنها لفريقين أفرادهما غير محصورين (١١).

وقال أيضاً في بيانه للقول بأن أصحاب الأعراف هم من استوت حسناتهم وسيئاتهم، وتقسيم الأنوار على الناس، واختلافهم فيها، كثرة وقلة، وانطفاء أنوار المنافقين؛ قال: قوظاهره أن هذا كله يقع بعد الموقف، وقبل أن يجعل هؤلاء الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم على الأعراف، فإن السور الذي فسرت الأعراف به أو بأعاليه، يضرب بعد ذهابهم من الموقف، يسيرون بنورهم إلى الجنة كما هو ظاهر آية سورة الحديد، وقد ذكرناها عند تفسير كلمة الأعراف، وفيه أنه تعالى ذكر معرفتهم لأصحاب الجنة وأصحاب الجنة بعنوان أنهم وأصحاب الأعراف، ولا يصح هذا العنوان قبل وجودهم عليها، إلا إذا ثبت أصحاب الأعراف، ولا يصح هذا العنوان قبل وجودهم عليها، إلا إذا ثبت كقوله: ﴿ أَعُصرُ خُمرًا ﴾ [يوسف: ٢٦](٢)

* *

 ⁽۱) تفسير المنار ٨/ ٤٣١.

 ⁽٢) تفسير القرآن الحكيم ٨/ ٤٣٥.

ويشمل الفصول الآتية:

الفسصل الأول تعريف الحوض.

١_في اللغة .

٢ ـ في الأصطلاح.

الفيصل الثاني: الأدلة على إثبات الحوض.

الفصل الثالث: أقوال علماء الإسلام في إثبات الحوض.

الفيصل الرابع: مسافة الحوض.

الفصل الخامس: الجـمع بين الروايات التي وردت في

أحديد مسافة الحوض .

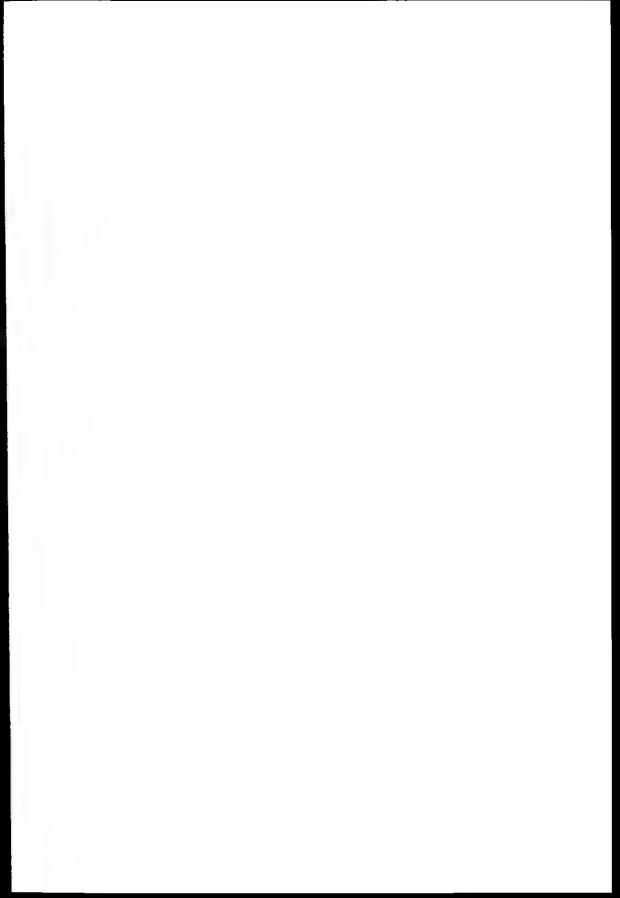
القصل السادس: صفأت الحوض ومزاياه.

القيصل السابع: متم يرد الناس الحوض؟.

القصل الشامن: المنكرون للموض.

الفيصل التناسع: الرد على من ينكر الحوص.

الفصل العاشر: هل ثبت أن لكل نبي حوضاً يخصه ؟.



الحوض المورود

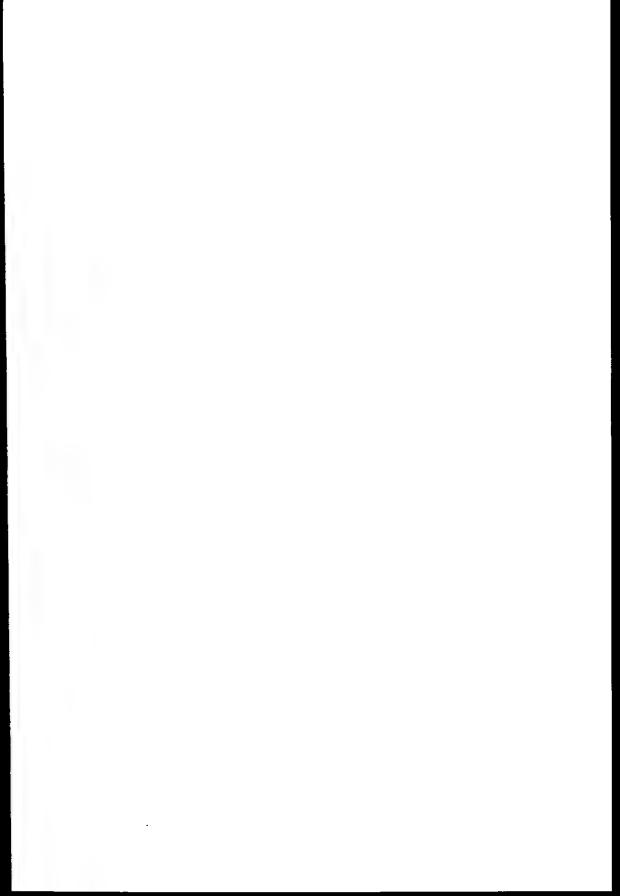
غهيد:

أكرم الله أحباءه بأنواع الكرامات ، ولطف بهم غاية اللطف في الدنيا والآخرة ؛ أما إكرامه لهم في الدنيا فهو أمر مشاهد معروف ، وأما إكرامه لهم في الدنيا فهو أمر مشاهد معروف ، وأما إكرامه لهم في الآخرة ففي أشياء كثيرة ؛ مثل إدخالهم الجنة ، ورؤيتهم له، ورضاه عنهم فلا يسخط ، ثم إكرامهم بالمسألة التي نحن بصدد الكلام عنها ؛ وهي الحوض المورود الذي جعله الله غياثا لأحبائه .

وحوض نبينا على هو أشهر الأحواض ، وأكثرها وارداً يوم القيامة ، وأوسعها ، لكثرة أتباعه الذين يردون حوضه على ، فهو مكرمة ومنة عظيمة على نبيه على أبيه المؤمنون به الشرب احسى ، كما شربوا في الدنيا الشرب المعنوي من الاهتداء والاقتداء به على أو لا يشرب ذلك الشرب الحسي في عرصات القيامة إلا من شرب الشرب المعنوي في الدنيا ، وإلا ؛ فإنه يذاد عنه ويطرد ، جزاء وفاقا ؛ لأنه أعرض عن الاهتداء والاقتداء بمن اصطفاهم الله لتبليغ رسالته في الحياة الدنيا ، فيجازى بطرده في الآخرة عن الشرب منه .

وقبل ذكر تفاصيله، نبين المراد بالحوض في اللغة وفي الشرع، فيما يلي:

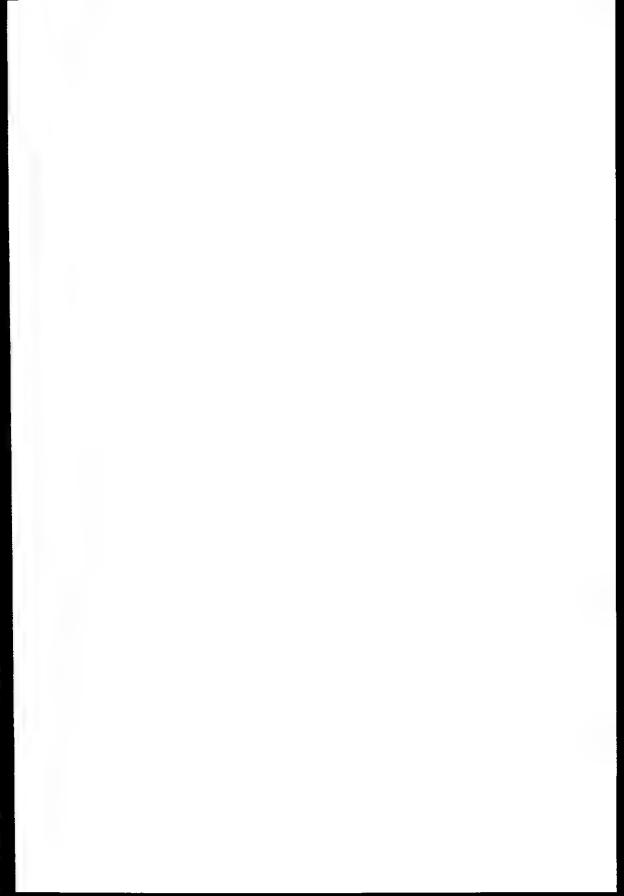
는 · 송 · 송



900 7000 3000 0000 ---.0007 القصل الأول 2 . ***** 100000 تعريف الحوض في اللغة والاصطلاح 10000 ****** 1: 30 100

, white

3 0)



الفصل الأول تعريف الحوض في اللغة والأصطلاح

١ _ الحوض في اللغة:

الحوض في اللغة يطلق ويراد به: مجمع الماء ، وجمعه: حياض وأحواض ، قال الليث: «الحوض معروف ، والجمع: الحياض والأحواض والفعل: التحويض ، واستحوض الماء: أي اتخذ لنفسه حوضاً الهذا .

قال الجوهري: « الحوض: واحد الحياض والأحواض، وحضت أحوض: اتخذت حوضاً، واستحوض الماء: اجتمع، والمحوض الماء البتمديد.: شيء كالحوض، يجعل للنخلة تشرب منه، ومنه قولهم: أنا أحوض ذلك الأمر، أي أدور حوله، مثل: أحوط» (١).

٢ - المراد بالحوض في الشرع:

أما المراد بالحوض في الشرع:

فهو ما جاء الخبر به، من أن لنبينا محمد (١) حوضاً، ترد عليه أمته يوم القيامة، جعله الله غياثاً لهم، وإكراماً لنبينا محمد علله الله غياثاً لهم،

⁽١) تهذيب اللغة جه ص١٥٨.

⁽٢) بفتح الواو المشددة.

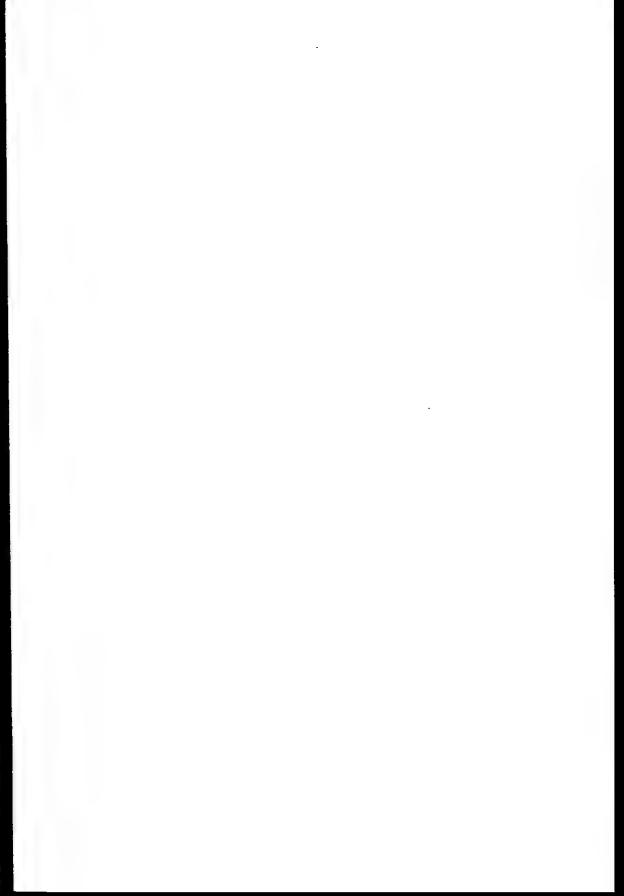
⁽٣) الصحاح جـ٣، ص١٠٧٢، وانظر: النهاية لابن الأثير جـ١ ص٤٦١، أساس البلاغة ص٩٩.

⁽٤) ولغيره كذلك من الأنبياء أحواض على ما سيأتي ذكره .

والعلماء قاطبة على تعريف الحوض بأنه حوض نبينا محمد على الموعود به في الآخرة ، والذي نفصل الكلام عنه فيما يأتي.

* * *





الفصل الثاني الأدلة على إثبات الحوص

لقد ثبت الحوض بالنصوص الصحيحة الصريحة المتواترة ، واعتقد بصحته وثبوته جميع سلف الأمة .

أما بالنسبة لأدلته من القرآن الكريم ، فإنه لم يرد به التصريح ، إلا آن من العلماء من جعل الحوض بمعنى الكوثر ، ثم استدل لإثبات الحوض بسورة الكوثر ، تغليباً لاسم الكوثر على اسم الحوض ، وسنبين موضع كل منهما ووجه الاتصال بينهما في مكانه إن شاء الله تعالى .

الأدلة من السنة النبوية على إثبات الحوض:

ورد في إثبات الحوض أحاديث كثيرة من السنة النبوية بلغت حد التواتر (١) ، وفيما يلى نورد بعضها :

فمن ذلك: إخباره عَلَيه بما أكرمه الله به من رؤيته لحوضه وهو في الدنيا في آخر أيامه عليه الصلاة والسلام ، وإخباره لأصحابه أنه شهيد عليهم يوم القيامة ، وأنه فرط لأمته على الحوض ، أي السابق لهم والمتقدم عليهم في الوصول إليه ، كما يتقدم فرط الواردين على الماء لتهيئته لهم .

وهذا ما جاء في حديث عقبة بن عامر: أن رسول الله عَلَيُّ خرج يوماً

 ⁽١) نقل النواتر جماعة من العلماء ، كما سنذكر ذلك في فصل أقوال علماء الإسلام في إئبات الحوض.

فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ، ثم انصرف على المنبر ، فقال : «إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن ، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض ، أو مفاتيح الأرض ، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها، (١) ، هذا لفظ البخارى .

ولفظ مسلم عن عقبة بن عامر ، قال : صلى رسول الله على قتلى أحد ، ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات ، فقال : «أني فسرطكم على الحوض ، وإن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة (٢) ، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي ،ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من قبلكم » قال عقبة : فكانت آخر ما رأيت رسول الله على المنبر »(٢) .

وكإخباره عنه عن اختلاج أقوام عنه وطردهم عن الشرب من الحوض ، فيناشد ربه السماح لهم بالشرب منه ، فيجاب بأنهم لا يستحقون الشرب منه لأنهم من المحدثين في الدين بعده ، كما يفيده حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي عنه أنه قال : ، أنا فرطكم على الحوض وليرفعن (٤) رجال منكم ثم لَيُغْتَلَجُن (٥) دوني ، فأقول : يا رب أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك (١)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال : « ليردن علي

⁽١) صحيح البخاري ج٧ ص١٧٣ ، ومسلم ج٥ ص١٥٤ (النووي).

⁽٢) سأتي تحديد ما بينهما في ذكر مسافة الحوض.

⁽٣) مسلم جـ٥ ص١٥٤ (النووي).

⁽٤) معنى : «وليرفعن» : أي يظهرهم الله لي حتى أراهم (وهو بضم أوله وفتح الفاء والعير).

 ⁽٥) معنى «ليختلجن» « وهو بفتح اللام وضم التحتانية وسكون الخاء المعجمة وفتح المثناة وضم
 الجيم، بعدها نون ثقيلة: أي ينزعون أو يجذبون منى » فتح الباري جـ١١صـ٤٦٩ .

⁽٦) صحيح البخاري جـ ١١ ص٤٦٣.

ناس من أصحابي الحوض ، حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني ، فأقول : أصحابي ، فيقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك (١٠) .

وهذه الروآية فيها إضافة إلى إثبات الحوض أن الذين يذادون عنه هم من أصحابه ، وسنجيب بعد عرض الأدلة عن هذا الإشكال ، وهو : كيف يذاد عنه هؤلاء وهم من الصحابة ؟

وعن أبي هريرة، أن رسول الله عَلَيْ قال: «يردعلي يوم القيامة رهط من أصحابي، فيجلون (٢) عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى (٣).

وفي رواية أخرى لأبي هريرة أن النبي عَلَيُّ قال: «يردعلي الحوض رجال من أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى (٥٠).

وقال شعيب عن الزهري: كان أبو هريرة يحدث عن النبي عَلَيَّة:

⁽١) أخرجه البخاري جـ١١ ص ٤٦٤ (الفتح).

⁽٢) يجلون : أي يصرفون عنه .

⁽٣) المصدر السابق، الجزء والصفحة.

⁽٤) يحلئون : أي يطردون.

⁽٥) صحيح البخاري جـ ١١ ص ٤٦٥ (مع الفتح).

ومعنى زمرة : أي جماعة .

ومعنى همل النعم: «معناه الإيل بلا راع ، وقال الخطابي: الهمل: مالا يرعى ولا يستعمل ، ويطلق على الضوال ، والمعنى أنه لا يرده منهم إلا القليل ؛ لأن الهمل في الإبل قليل بالنسبة لغيره » .

والرجل المذكور في الحديث هو الملك الموكل بذلك .

فتح الباري جـ ١١ صـ ٤٧٥ .

"فيجلون"، وقال عقيل: فيحلثون، وقال الزبيدي: عن الزهري عن محمد ابن علي عن عن محمد ابن علي عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبي هريرة عن النبي عَلَيْهُ (١).

وعن أبي هريرة عن النبي عَلَيْهُ قال: « بينما أنا قائم فإذا زمرة ؟ حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم ، فقال: هلم ، فقلت: ، أين ؟ قال: إلى النار والله ، قلت: وما شأنهم ؟ ، قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى . ثم إذا زمرة ؛ حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم ، فقال: هلم ، قلت: أين ؟ قال: إلى النار والله ، قلت: وما شأنهم ؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى ، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم، (٢) .

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قال النبي على : «إنبي على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم ، وسيؤخذ ناس دوني ، فأقول : يارب مني ومن أمتي ، فيقال : هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابه ما منافي أبي مليكة يقول : «اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا ، أو نفتن عن ديننا (") .

وعن سهل بن سعد قال: قال النبي ﷺ: • إني فرطكم على الحوض ، من مر علي شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبداً ، ليردن علي اقوام أعرفهم ويعرفوني ، ثم يحال بيني وبينهم ، ، قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش ، فقال: هكذا سمعت من سهل ؟ فقلت: نعم ، فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري

⁽١)، (١) صحيح البخاري جـ ١١ ص ٤٦٥ . أي أن الزبيدي أورده بسنده عن أبي هريرة مرفوعًا .

⁽٣) صحيح البخاري جـ١١ ص٤٦٦ (الفتح) ومسلمج٥ ص ١٥٢ (النووي).

وابن أبي مليكة هو: عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مليكة بن عبد الله بن جدعان ، يقال: اسم أبي مليكة زهير التيمي المدني ، أدرك ثلاثين من أصحاب النبي عَلَيْتُ ، ثقة . فقيه ، من الثالثة ، مات سنة سبع عشرة . تقريب التهذيب جـ ١ ص ٤٣١ .

لسمعته وهو يزيد فيها: «سحقاً سحقاً لمن غير بعدي، (١٠ ـ

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله على يقول، وهو بين ظهراني أصحابه: «إني على الحوض أنتظر من يرد منكم، فوالله ليقتطعن دوني رجال، فلأقولن: أي رب مني ومن أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، مازالوا يرجعون على أعقابهم (٢٠).

وعن أم سلمة زوج النبي على أنها قالت: كنت أسمع الناس يذكرون الحوض ، ولم أسمع ذلك من رسول الله على ، فلما كان يوماً من ذلك والجارية تمشطني ، فسمعت رسول الله على يقول : «أيها الناس» فقلت للجارية: استأخري عني ، قالت : إنما دعا الرجال ولم يدع النساء ، فقلت : إني من الناس ، فقال رسول الله على الحوض ، فإياي لا يأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال ، فأقول: فيم هذا ؟ فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول: سحقاً ، ") .

وفي رواية شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله على المحوض، ولأنازعن أقوماً، ثم لأغلبن عليهم، فأقول: يا رب، أصحابي أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، (٤).

وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : وليردن علي الحوض رجال ممن

⁽١) أخرجه البخاري جـ٥ ص ٢٠٧ . ومسلم في الفضائل جـ٥ ص١٥١ ، وقد فسر ابن عباس وسحقاً، بأنها بمعتى : بعداً ، يقال : سحيق : بعيد ، سحقه وأسحقه : أبعده .

⁽٢)، (٢) صحيح مسلم جه ص ١٥٣.

⁽٤) صحيح سلم جـ٥ ص١٥٦.

صاحبني ، حتى إذا رأيتهم ورفعوا إلي اختلجوا دوني ، فلأقولن : أي رب : أصحابي أصحابي ، فليقالن لي : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، (١٠) .

وأخبر على أنه يذود الناس ليشرب منه ناس اختصهم بمزيد العناية والتشريف إكراماً لهم ، لاستتحقاقهم ذلك بسبب ما امتازوا به عن عيرهم ، فقال على : « إني لبعقر (٢) حوضي أنود الناس لأهل اليمن ، أضرب بعصاي حتى يرفض (٦) عليهم ، فسئل عن عرضه ، فقال : « من مقامي إلى عمان » ، وسئل عن شرابه ، فقال : « أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، يغت فيه ميزابان (١) يمدانه من الجنة ، أحدهما من ذهب والآخر من ورق (٥) .

قال النووي عن سبب هذا التقديم لهم في الشرب: " وهذه كرامة لأهل اليمن في تقديمهم في الشرب منه ، مجازاة لهم بحسن صنيعهم وتقدمهم في الإسلام ، والأنصار من اليمن ، فيدفع غيرهم حتى يشربوا كما دفعوا في الدنيا عن النبي عَلَيْهُ أعداءه والمكروهات»(١).

وفي رواية أبي هريرة الآتية أن الرسول على نفسه يذود عن حوضه من لا يستحق الشرب منه ، كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن إبله ، وهذا في قوله على عن حوضي رجالاً كما تذاد الغريبة من الإبل، (١٠).

⁽١) صحيح مسلم ج٥.

⁽٢) عقر الحوض هو : موقف الإبل من الحوض إذا وردنه ، وقيل مؤخره .

⁽٣) يرفض عليهم: أي يسيل عليهم.

⁽٤) الميزاب هو المثعب، فارسى معرب . الصحاح جدا ص ٢٣٢ .

⁽٥) الحديث أخرجه مسلم جـ٥ ص ١٦٠ .

⁽٦) شرح النووي لمسلم جـ ٥ ص ١٦٠ .

⁽٧) صحيح سلم ج٥ ص ١٦١ .

ومن الذي يمنع الناس عن الشرب منه أهو الرسول ﷺ أم غيره من الملائكة؟ سيأتي الجواب عن هذا .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ فَال : « ما بين بيني ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي ، (۱) ، وسيأتي كذلك بيان المراد منه .

وبعد عرض ما تقدم من الأحاديث النبوية في إثبات الحوض ؛ تبين أن في بعضها مسائل تحتاج إلى إيضاح ، ومنها :

ما جاء من أن الذين يذادون عن الحوض هم جماعة من أمة محمد على القول عن الذين يذادون عن الحوض هم جماعة من أمة محمد الله على الله عل

فإذا كانوا منه ومن أمته فكيف يمنعون عن الشرب من الحوض ؟ ومن هم الذين يستحقون الطرد عن الشرب من الحوض ؟

والجواب عن هذا نلخصه فيما يأتي:

ا ـ أن بعض العلماء ذهب إلى القول بأن هؤلاء الذين يذادون ليسوا من أمة محمد عَلَيْه ، وظنهم من أمته ، ولكن هذا بخلاف ما نص عليه الحديث : «فاقول يارب مني ومن أمتي، ولهذا يقول ابن حجر رحمه الله : إن في سعنى هذه الألفاظ من الحديث : « دفع لقول من حملهم على غير هذه الأمة "(")، فبطل هذا الاحتمال .

⁽١) صحيح البخاري جـ٤ ص٩٩.

⁽٢) فتح الباري جـ ١١ ص ٤٧٦ .

٢ - وذهب بعضهم إلى القول بأن هؤلاء هم أهل الكبائر ، وقد عرفهم بعلامة الوضوء التي فيهم ، ولكن يرد إشكال على هذا الجواب ، وهو : هل أهل الكبائر يستحقون هذا الدعاء عليهم من الرسول على ، وهو شافعهم إلى ربهم يدعو عليهم بالهلاك والبعد في النار ؟

٣ ـ وذهب بعضهم إلى القول بأن هؤلاء كانوا من أمة محمد على الوسلام وهم على الإسلام ، ولكنهم ارتدوا بعد وفاته .

٤ ـ وذهب بعضهم إلى القول بأن هؤلاء هم من المنافقين ، وعرفهم بالغرة التي أعطاهم الله خدعة لهم ، كما خدعهم بأن أعطاهم نوراً على الصراط ثم ينطفئ فيدخلون النار ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُو خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢].

وهذا الجواب والذي قبله ربما يكون هو الراجح .

ونعرض فيما يلي بعض النصوص من أقوال العلماء واختلافاتهم في معنى الحديث ، وعلى من يرد .

قال النووي عن معنى الحديث :

« هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال:

أحدها: أن المرادبه المنافقون ، والمرتدون ، فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل ، فيناديهم النبي على السيما التي عليهم ، فيقال : ليس هؤلاء مما وعدت بهم ؛ إن هؤلاء بدلوا بعدك ، أي لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم .

والثاني: أن المراد من كان في زمن النبي الله ثم ارتد بعده ، فيناديهم النبي الله من أن المراد من عليهم سيما الوضوء ، لما كان يعرفه الله في حياته من إسلامهم ، فيقال: ارتدوا بعدك .

والشالث: أن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام، وعلى هذا القول لا يقطع لهؤلاء الذين يذادون بالنار، بل يجوز أن يذادوا عقوبة لهم ، ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى فيدخلهم الجنة بغير عذاب.

قال أصحاب هذا القول: ولا يمتنع أن يكون لهم غرة وتحجيل ، ويحتمل أن يكون : كانوا في زمن النبي على وبعده لكن عرفهم بالسيما ، ومعنى هذا: أن أهل البدع من المسلمين يطردون عن الحوض .

ولهذا يقول الحافظ أبو عمرو بن عبد البر:

« كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض: كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الأهواء » ، قال: « وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق المعلنون بالكبائر » ، قال: « وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا عن عنوا بهذا الخبر »(1) .

ويقول القرطبي :

" إن أشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين ، وفارق سبيلهم ، كالخوراج على اختلاف فرقها ، والروافض على تباين ضلالها ، والمعتزلة على أصناف أهوائها ، فهؤلاء كلهم مبدلون ، و كذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم ، والمعلنون بالكبائر ، المستخفون بالمعاصي ، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع»(٢) .

ثم يذكر القرطبي أن هذا الإبعاد لهؤلاء الناس؛ منهم من يبعد لأجل

⁽١) النووي في شرح صحيح مسلم جـ١ ص٥٣٣ .

⁽٢) التذكرة، ص٧٠٣.

عمله المعاصي لا لأجل عقيدته ، وهؤلاء يرجى لهم المغفرة والشرب من الحوض ، وأما من أبعد لأجل عقيدته التي تنافي العقيدة الصحيحة ؛ فهؤلاء يبعدون عنه أشد البعد ، فالبعد « قد يكون في حال ، ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال ولم يكن في العقائد ، وعلى هذا التقدير يكون نور الوضوء يعرفون به ، ثم يقال لهم : سحقاً سحقاً . وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله على يظهرون الإيمان ويسرون الكفر ؛ فيأخذهم بالظاهر ، ثم يكشف لهم الغطاء ، فيقال لهم : فسحقاً فسحقاً فسحقاً»(۱).

ويقول ابن حجر في بيان هؤلاء الذين يطردون عن الحوض وتبري النبي على منهم ، ودعائه عليهم: « وحاصل ما حمل عليه حال المذكورين أنهم إن كانوا عمن ارتد عن الإسلام فلا إشكال في تبري النبي على منهم ، وإن كانوا عمن لم يرتد لكن أحدث معصية كبيرة من أعمال البدن، أو بدعة من اعتقاد القلب فقد أجاب بعضهم بأنه يحتمل أن يكون أعرض عنهم ولم، يشفع لهم اتباعاً لأمر الله فيهم حتى يعاقبهم على أعرض عنهم ولا مانع من دخولهم في عموم شفاعته لأهل الكبائر من أمته ، فيخرجون عند إخراج الموحدين من النار (").

لكن يرد على هذا أيضاً : كيف دعا عليهم ؟

لم يذكر ابن حجر رحمه الله الجواب ، ولعل الجواب : أنه غضب عليهم حين أخبر أنهم غيروا وبدلوا بعده في دينهم ، ولا مانع بعد ذلك أن يرضى عنهم ويشفع لهم .

⁽١) التذكرة، ص١.٣٠٧

⁽٢) فتح الباري جـ ١٣ ص.٤ .

ويقول القاضي عياض فيما ينقله عنه النووي: «هذا دليل لصحة تأويل من تأول أنهم أهل الردة ، ولهذا قال فيهم: «سحقاً»، ولا يقول ذلك في مذنبي الأمة ، بل يشفع لهم ، ويهم لأمرهم ، قال: وقيل: هؤلاء صنفان:

أحدهما : عصاة مرتدون عن الاستقامة لا عن الإسلام ، وهؤلاء مبدلون للأعمال الصالحة بالسيئة .

والناني: مرتدون إلى الكفر حقيقة ، ناكصون على أعقابهم ، واسم التبديل يشمل الصنفين الاناني .

وقال البرديسي نقلاً عن شرح الجوهرة ، في بيان أقوال العلماء في معنى الحديث ، وبيان هؤلاء الذين يذادون عن الحوض :

اختلف العلماء في المراد بالمطرودين على أقوال:

أحمدها: أن المراد بهم المنافقون والمرتدون ، فيجوز أن لا يحشروانه الغرة والتحجيل ، فيناديهم عليه الصلاة والسلام للسيما التي عليهم ، فيقال له: أن هؤلاء بدلوا بعدك ولم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم .

الثاني: أن المراد من كان في زمنه عليه الصلاة والسلام ، ثم ارتد بعده ، فيناديهم لما كان يعرفهم في حياته من اتباعهم ، فيقال له : ارتدوا بعدك .

الشالث: أن المراد بهم أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع، لكن على هذا القول لا يقطع لمن يذادون بالنار،

⁽١) النووي لمسلم جه ص ١٦٢ .

⁽٢) هكذا في الأصل ، ولعل الصحيح : أن يحشروا .

بل يجوز أن يذادوا عقوبة لهم ثم يرحمهم الله فيدخلهم الجنة ١٥٠٠ .

وهو معنى قوله أيضاً : « العصاة يذادون عنه في وقت دون وقت»(٢٠) .

ويقول السفاريني: «ولا ريب أن كثيراً من الأعراب ومن بني حنيفة ومن بني تهيئة ومن بني تهيئة ومن بني تهيئة ، بني تميم عن كان قد أسلم ووفد على النبي تهيئة ـ قد ارتد لما توفي النبي تهيئة ، فقاتلهم الصديق الأعظم، فأمر خالد بن الوليد فأنكأ فيهم (") ، فسمنهم من قتل، ومنهم من حرق ، ومنهم من رجع إلى الإسلام، فالحديث من أعلام النبوة "(1).

ويقول أيضاً - ملخصا من يمنع من الشرب من الحوض من أصناف الناس -: * والحاصل: أن من الذين يذادون عن الحوض جنس المفترين على الله تعالى ، وعلى رسوله تحلق ، من المحدثين في الدين من الروافض والخوراج وسائر أصحاب الأهواء والبدع المضلة ، وكذلك المسرفون من الظلمة ، المفرطون في الظلم والجور وطمس الحق ، وكذلك المتهتكون في ارتكاب المناهي ، المعلنون في اقتراف المعاصي *(٥) .

أما ما ورد من أن الرسول على يذود الناس عن حوضه كما تذاد الإبل الغريبة ، فما الحكمة من هذا اللذود؟ ومن الذي يتولى الذود؟ أهو الرسول على أم ملك من الملائكة؟

يقول الحافظ ابن حجر عن الحكمة في ذلك الذود :

⁽١) تكملة شرح الصدور ص ٢٥ .

⁽٢) المصدر السابق ص ٣٦.

⁽٣) أنكأ فيهم ، بمعنى : أثخن فيهم الجراح والقتل .

⁽٤) شرح ثلاثيات المسند جدا ص٤١٥.

⁽٥) لوامع الأنوار جـ ٢ ص ١٩٧ .

• والحكمة في الذود المذكور: أنه على يريد أن يرشد كل واحد إلى حوض نبيه ، على ما تقدم أن لكل نبي حوضاً ، وأنهم يتباهون بكثرة من يتبعهم ، فكيون ذلك من جملة إنصافه ، ورعاية إخوانه من النبيين ، لا أنه يطردهم بخلاً عليهم بالماء ، ويحتمل أنه يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض ، والعلم عند الله (۱).

وأكثر الروايات جاءت في أن الرسول تلك يطرد من غير وبدل بعده من أمته ، ولا مانع أن يتولى بنفسه الطرد لهم ، أو تطردهم الملائكة بأمره ، أو غير ذلك ، وقد تقدم التصريح بطرده الناس عن حوضه : • إني لبعقر حوضي أفود الناس سه الحديث .

وأما طرده لمن ليس من أمته ، فهو كما ذكر الحافظ ابن حجر أنه يطردهم إرشاداً لهم إلى حياض أنبيائهم ، وهذا على القول بأن للأنبياء الآخرين حياضاً.

وقد ورد في بعض الروايات ما يفيد أن الذي يذود الناس عن الحوض هو غير الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد أورد الآجري في كتابه - الشريعة - عدة أحاديث في إثبات الحوض ، ومنها هذه الرواية :

حدثنا الفريابي ، قال : حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه : قيل يا رسول الله كيف تعرف من يأتي بعد من أمتك ؟ قال : «أرأيت لو كسان لرجل خيل غر محجلة في خيل دهم بهم ، ألا يعرف خليه؟» ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : «فإنهم يأتون يوم القيامة غراً محتجلين من الوضوء ، وأنا فرطهم على الحوض ،

⁽١) فتح الباري جـ ١١ ص ٤٧٤.

فليذادن رجال عن حوضي كما يناد البعير الضال، (١) .

وفي رواية: وفيذب عني كما يذب البعير الضال الشال ، (٢)

ويُؤيد هذا أيضاً ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «ثم إذا زمرة ، حتى إذا عرفتهم؛ خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، (٣) . . . الحديث .

معنى قول الرسول ﷺ: «ومنبري على حوضي،:

اختلف العلماء في معنى هذا الحديث على أقوال: فقيل: إنه « ينقل يوم القيامة فينصب على الحوض » ، وقال الأكثر: المراد: منبره بعينه الذي قال هذه المقالة وهو فوقه ، وقيل: المراد: المنبر الذي يوضع له يوم القيامة ، وقيل: معناه أن قصد منبره والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة يورد صاحبه إلى الحوض ويقتضى شربه منه »(1).

قال ابن حجر : « والأول أظهر».

أما القول الأخير فإنه بعيد لما يظهر من عدم ملاءمته لظاهر الحديث ؛ لأن الكلام عن المنبر نفسه ، لا عمن يقصده ويجتمع حوله من الناس .

وقد استشكل بعض العلماء ورود أهل الكبائر الحوض ، بناء على أنهم ليسوا من الذين يذادون عن الحوض ، خصوصاً الذين علم الله أنهم سيدخلون النار ، أفيشربون منه باعتبار أنهم من المؤمنين ؛ وأن مآلهم إلى الجنة ، أم لا يشربون لأنهم سيدخلون النار ؟ .

⁽١) الشريعة ص ٣٥٦.

⁽٢)، (٣) تقدم تخريجهما . فتح الباري جـ ١١ ص ٤٧٤.

⁽٤) فتح الباري جـ٤ ص-١٠٠.

أم أنهم يشربون رغم دخولهم النار ، ولكن لا يعذبون بالعطش بخصوصه ، ويعذبون بغيره من أنواع العذاب الذي يريده الله تعالى بهم ؟

أجاب القرطبي عن هذا بقوله:

« وقد يقال: إن من أنفذ الله عليه وعيده من أهل الكبائر أنه وإن ورد الحوض وشرب منه ؛ فإنه إذا دخل النار بمشيئة الله تعالى لا يعذب بعطش، والله أعلم "(۱).

ويبدو أن القاضي عياض يذهب إلى القول بأنه لا يمنع أن يشرب أهل الكبائر من الحوض ، وإن كان مصيرهم أولاً إلى النار ، وأنهم في حال دخولهم فيها لا يعذبون بالعطش.

وهذا هو ما يذكره النووي نقلاً عنه ؛ من أنه يرى أن ظاهر قوله على . ومن شرب لم يظمأ بداً »: « أن الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار ، فهذا هو الذي لا يظمأ بعده » ، قال : « وقيل : لا يشرب منه إلا من قدر له السلامة من النار » ، قال : « ويحتمل أن من شرب منه من هذه الأمة وقدر عليه دخول النار لا يعذب فيها بالظمأ ، بل يكون عذابه بغير ذلك ؛ لأن ظاهر هذا الحديث أن جميع الأمة يشرب منه إلا من ارتد وصار كافراً » (1) .

لكن الحافظ ابن حجر قدرد هذا القول ـ أي بأن أهل الكبائر لا يعذ بون بالعطش إذا دخلوا النار ـ ووصفه بأنه احتمال، ويدفعه أنه وقع في حديث أبي ابن كعب عند ابن أبي عاصم في ذكر الحوض : «ومن لم يشرب منه لم يرو

⁽١) التذكرة ص ٣٠.

⁽٢) شرح النووي لمسلم جـ٥ ص ١٥١ .

أبدأه (١)

ورد ابن حجر لا يتناسب مع قول القرطبي السابق والقاضي ؛ لأن كلاً منهما في إثبات الشرب لأهل الكبائر ، وأنهم لا يعذبون في النار بالعطش ، فلا يرد انتقاد ابن حجر على ذلك القول ؛ لأن أصحاب الكبائر قد شربوا منه ؛ فلا يعطشون أبداً .

وبعد عرض الأدلة السابقة من أقوال المصطفى عَلَيْ نتمم الكلام بأقوال علماء الإسلام في اتفاقهم على إثبات الحوض.

徐 泰 泰

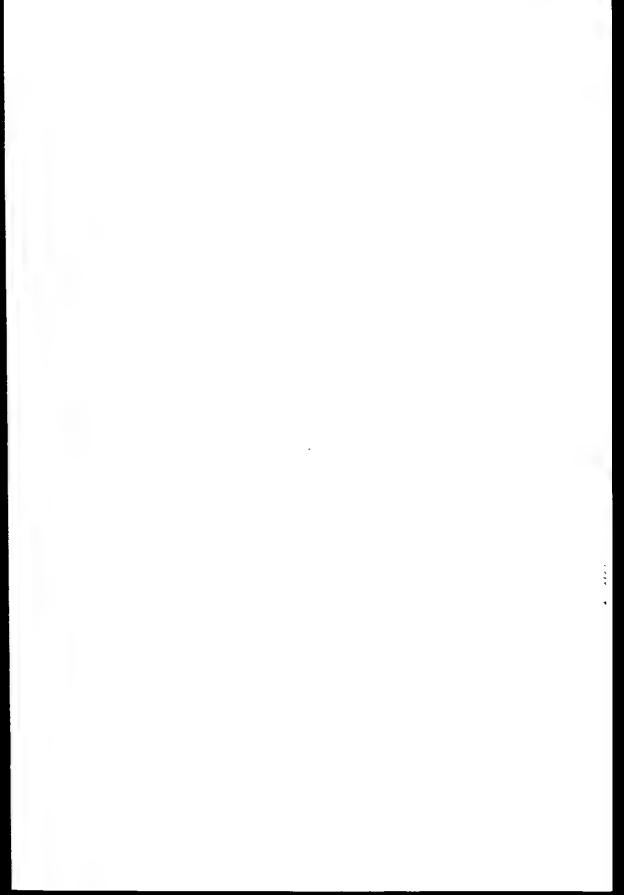
⁽١) فتح الباري جرا ١ ص٤٦٦.

** 000 3333339 0000 小司 等 きます から なんない ** ** * * * * 350 W. W. W. W. できる 377 0000 0000 الفصل الثالث أقوال علماء الإسلام في إثبات الحوض . e \$ 4). **\$** · > 12 12 1793 · 226 ; ; ; ; ; ; ; *** **** ; ; ; ; ; ; .039 (.co.

۰ °

ï

, . , .



الفصل الثالث أقوال علماء الإسلام في إثبات الحوض

وأما علماء السلف فهم ـ كما أشرنا إليه سابقاً ـ على اتفاق تام على إثبات الحوض ، وصفاته التي وردت على لسان نبينا محمد يَقَيُّ ، كما سنعرض فيما يلي بعض أقوالهم للاستشهاد بها على صحة ما قلناه عنهم .

قال السفاريني: « والحوض والكوثر ثابت بالنص وإجماع أهل السنة والجماعة حتى عده أهل السنة في العقائد الدينية لأجل الرد على أهل البدع والضلال»(١).

وقد ذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ عدداً من الصحابة الذين رووا أحاديث الحوض ، فقال :

« ذكر ما ورد في الحوض النبوي المحمدي - سقانا الله منه يوم القيامة - من الأحاديث المتواترة المتعددة من الطرق الكثيرة المتضافرة ؛ وإن رغمت أنوف كثيرة من المبتدعة المعاندة المكابرة ، القائلين بجحوده ، المنكرين لوجوده ، وأخلق بهم أن يحال بينهم وبين من وروده ، كما قال بعض السلف : « من كذب بكرامة لم ينلها » ، ولو اطلع المنكر للحوض على ما سنورده من الأحاديث قبل مقالته لم يقلها» . ثم شرع في ذكر أسماء الصحابة الذين رووا أحاديث الحوض ، ونذكر هنا أسماءهم إجمالاً :

⁽١) شرح ثلاثیات المسند جـ١ ص٣٤٥.

"أبي بن كعب ، وأنس بن مالك ، والحسن بن علي ، وحمزة بن عبد المطلب ، والبراء بن عازب ، ويزيد بن حبيب ، وثوبان مولى رسول الله على ، وحارثة وجابر بن سمرة ، وجابر بن عبد الله البجلي ، وحارثة ابن وهب ، وحذيفة بن أسيد ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن أرقم ، وعبد الله بن ابن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن ابن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مصعود ، وعتبة بن عبد الله السلمي ، وعثمان بن مظعون ، والمستورد ، وعقبة بن عامر الجهني ، والنواس بن سمعان ، وأبو أمامة الباهلي ، وأبو برزة وعقبة بن عامر الجهني ، والنواس بن سمعان ، وأبو سعيد الخدري ، وخولة بنت الأسلمي ، وأبو هريرة الدوسي ، وأسماء بنت أبي بكر ، وعائشة ، وأم سلمة ، قيس ، وأبو هريرة الدوسي ، وأسماء بنت أبي بكر ، وعائشة ، وأم سلمة ، رضي الله عنهم أجمعين ، وامرأة حمزة عم الرسول عنه ، وهي من بني النجار راوية أبي بن كعب الأنصاري رضي الله عنه »(۱) .

ويقول ابن حجر رحمه الله: « وقال القرطبي في (المفهم) - تبعاً للقاضي عياض في غالبه ؛ أي أغلب الكلام الآتي - : مما يجب على كل مكلف أن يعلمه، ويصدق به أن الله سبحانه وتعالى قد خص نبيه محمداً ويض بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي ؛ إذ روى ذلك عن النبي ويشي من الصحابة نيف على الثلاثين منهم ؛ في الصحيحين ما ينيف على العشرين ، وفي غيرهما بقية ذلك ما صح نقله واشتهرت رواته ، ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين وأمثالهم ومن بعدهم أضعاف أضعافهم، وهلم جرا ، وأجمع على التابعين وأمثالهم ومن بعدهم أضعاف أضعافهم، وهلم جرا ، وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف »(٢) .

⁽١) النهاية جـ ٢ ص ٢٩.

⁽٢) فتح الباري جـ ١١ ص ٤٦٧ .

وقال القاضي عياض - رحمه الله - فيما ينقله عنه النووي: « أحاديث الحوض صحيحة والإيمان به فرض ، والتصديق به من الإيمان ، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه ، قال القاضي: وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة » ، ثم شرع في ذكر أسمائهم، قال النووي: « وقد جمع ذلك كله الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه البعث والنشور بأسانيده وطرقه المتكاثرات » (۱).

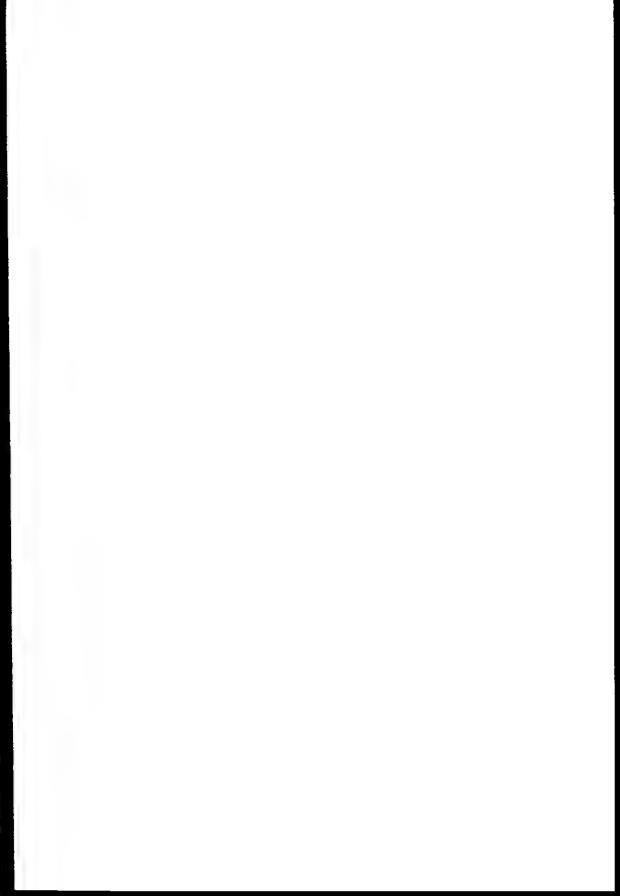
وكل تلك الروايات المتكاثرة تجعل المسلم يجزم دون أي تردد في إثبات الحوض ، بل إن في بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواتر أ^(١) كـمـا قـال عياض-رحمه الله..

وقد ذكر ابن حجر جسيع من روى أحاديث الحوض وأماكن تلك الروايات، ثم قال: « فجميع من ذكرهم عياض خمسة وعشرون نفساً، وزاد عليه النووي ثلاثة ، وزدت عليهم أجمعين قدر ما ذكروه سواء، فزادت العدة على الخمسين، ولكثير من هؤلاء الصحابة في ذلك زيادة على الحديث الواحد كأبي هريرة وأنس وابن عباس وأبي سعيد وعبد الله بن عسرو، وأحاديثهم بعضها في مطلق ذكر الحوض، وفي صفته بعضها، وفيمن يرد عليه بعضها، وفيمن يدد عنه بعضها، وفيمن يده عليه بعضها، وفيمن يدفع عنه بعضها، وكذلك في الأحاديث التي أوردها المصنف يعني البخاري - في هذا الباب، وجملة طرقها تسعة عشر طريقاً، وبلغني أن بعض المتأخرين أوصلها إلى رواية ثمانين صحابياً ع(٢٠٠٠).

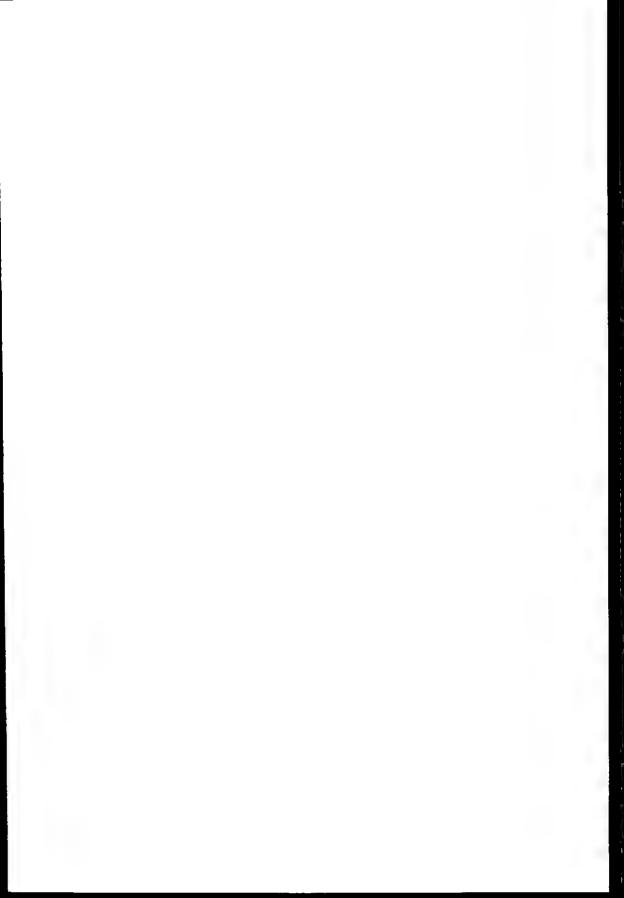
* * *

⁽١)، (١) شرح النووي لمسلم جـ٥ ص ١٥٠.

⁽٣) فتح الباري جـ ١١ ص٤٦٩.







الفصل الرابع مسافة الحوض

وردت في تحديد مسافة الحوض روايات عديدة ، وفيها اختلاف كثير - كما ذكر ابن حجر (١) ، وقد وجد بين تلك الروايات بعض التباين ، وهذا هو الذي حمل بعض الناس على الزعم بأن ذلك يقدح فيها ؛ فترد بزعمهم لأنها متناقضة ومتعارضة ، وهو ما سنبطله ببيان وجه الجمع بينها ، بعد أن نذكر بعض الروايات التي جاءت في تحديد مسافته ، فيما يأتى :

١ ـ أنه ما بين أيلة إلى صنعاء :

كما في رواية أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله عَلَيْهُ قال: «إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن ، وإن فيسه من الأباريق كعدد نجوم السماء»(٢).

وفي رواية عن جابر بن سمرة عن رسول الله عَلَى قال : « ألا إني فرط لكم على الحوض ، وإن بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيلة ، كأن الأباريق فيه النجوم (٢٠).

وعن أبي برزة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله علي يقول: ما بين

⁽١) فتح الباري جـ١١ ص٠٤٧.

⁽٢) صحيح البخاري جـ ١١ ص ٤٦٤ ، ومسلم جـ ٥ ص ١٦١ .

⁽٣) صحيح مسلم ج٥ ص ١٦٣ .

ناحيتي حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء ؛ مسيرة شهر ؛ عرضه كطوله ، فيه مرزابان ينبعان من الجنة من ورق وذهب ، أبيض من اللبن ، وأبرد من الثلج ، فيه أباريق عدد نجوم السماء،(١) .

٢ ـ أنه ما بين المدينة وصنعاء :

كما في رواية حارثة بن وهب أنه سمع النبي عَلَيْهُ قال: «حوضه ما بين صنعاء والمدينة ، ، فقال له المستورد: ألم تسمعه قال الأواني ؟ قال: لا ، قال المستورد: ترى فيه الآنية مثل الكواكب (٢٠).

٣ ـ أنه ما بين عدن وعمان :

عن أبي أمامة أبي يزيد بن الأخنس ، قال : يا رسول الله ؛ فما سعة حوضك ؟ قال : «كما بين عنن إلى عمان ، فأوسع وأوسع ـ يشير بيده ـ فيه شعبان من ذهب وفضة ، قال : «أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأطيب رائحة من المسك ، من شرب منه لم يظمأ بعده ، ولم يسود وجهه أبداً ، (*).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله على قال: وحوضي كما بين عدن وعمان ، أبرد من التلج ، وأحلى من العسل ، وأطيب ريحاً من المسك ، أكوابه مثل نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ، أول الناس عليه وروداً صعاليك المهاجرين ، قال قائل: من هم يا رسول الله ؟ ، قال : والشعثة

⁽١) انظر : موارد الظمآن ص ٦٤٦ .

⁽٢) البخاري جـ ١١ ص ٤٦٥ ، ومسلم جـ ٥ ص ١٥٧ .

 ⁽٣) النهاية لابن كثير جـ ١ ص ٣٦٠ ، وعزاه إلى أبي بكر بن أبي عاصم، وأورد حديثاً آخر عن
 أبي أمامة الباهلي وعزاه إلى ابن أبي الدنيا .

رؤوسهم، الشحبة وجوههم، الدنسة ثيابهم، لا تفتح لهم السدد، ولا ينكحون المنعمات، الذين يُعطُون كل الذي عليهم، ولا يأخذون كل الذي لهم، (١).

وأورد الترمذي في سننه حديثاً عن ثوبان بمعنى ما سبق من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وقال فيه : عن النبي ﷺ : «حوضي من عدن إلى عمان البلقاء»(١) .

ع ـ وورد في تحديده أنه كما بين صنعاء إلى بصرى :

كما يفيده حديث عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه ، قال : قام أعرابي إلى رسول الله على ، فقال : «هو كما بين رسول الله على ، فقال : ما حوضك الذي تحدث عنه ؟ فقال : «هو كما بين صنعاء إلى بصرى ، ثم يمدني الله فيه بكراع (٢) لا يدري بشر - ممن خلق - أي طرفيه ، قال : فكبر عمر رضوان الله عليه ، فقال على : «أما الحوض فيزدحم عليه فقراء المهاجرين الذين يقتلون في سبيل الله ويموتون في سبيل الله ، وأرجو أن يوردني الله الكراع فأشرب منه ، (١) .

٥ ـ أنه كما بين الكعبة وبيت المقدس:

كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن النبي عَلَيْ قال :

⁽١) رواه أحمد جـ ٢ ص ١٣٢ بإسناد حسن ، كما قال المنذري في الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ٤٢٠ ، وأورد المنذري أيضاً جـ٤ ص ٤١٧ حديثاً بمعنى ما سبق عن أنس ، وكذا ابن ماجه في سننه جـ ٢ ص ١٤٣٩ ، والترمذي جـ ٤ ص ٦٢٩ . والسدد : الأبواب .

⁽٢) باب ما جاء في صفة أواني الحوض جـ ٤ ص ٦٢٩ .

⁽٣) الكراع، فسرها المنذري جـ ٤ ص ٤٣١ ـ بضم الكاف هو : الأنف الممدود من الحـرة، استعير هنا، والله أعلم .

وقال ابن الأثير: الكراع: جانب مستطيل من الحرة تشبيهاً بالكراع وهو ما دون الركبة من الساق. النهاية جـ ٤ ص ١٦٥ .

 ⁽٤) انظر : موارد الظمآن ص ٦٤٧ ، وأخرج نحوه ابن ماجه جـ ٢ ص ١٤٣٩ ، والترمذي جـ٤
 ص ٦٢٨ .

«إن لي حوضاً ما بين الكعبة وبيث المقدس أبيض مثل اللبن ، آنيته كعدد النجوم ، وإنى لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة ، (١)

٦ - أنه كما بين أيلة إلى عدن:

كما في قوله ﷺ: «إن حوضي لأبعد من أيلة إلى عدن، والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد النجوم، ولهو أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، والذي نفسي بيده إني لأذود عنه الرجال كما ينود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه » قيل: يا رسول الله ، أتعرفنا ؟ قال: «نعم، تردون علي غراً محجلين من أثر الوضوء، ليست لأحد غيركم، (٢).

٧ ـ وجاء من حديث أنس أنه كما بين صنعاء والمدينة ، أو كما بين المدينة وعمان :

عن أنس قال: قال رسول الله عَنْ : « ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة » ، « أو كما بين المدينة وعمان » (٣) في رواية أخرى .

٨ ـ أنه كما بين الكوفة والحجر الأسود:

كما في حديث ابن عمر عن النبي عَلَيْ قال: وحوضي كما بين الكوفة إلى الحجر الأسود،(١).

٩ ـ أنه كما بين جرباء وأذرح:

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: وأمامكم حوضي كما

⁽١) رواه ابن ماجه جـ٢ ص ١٤٣٨ ، من حديث زكريا عن عطية وهو العوفي عنه .

⁽٢) أخرجه مسلم جا ص٥٣٤ ، وابن ماجه ج٢ ص١٤٣٨ .

⁽٣) أخرجه البخاري جـ ١١ ص ٤٦٥ «الرقاق» ومسلم جـ ١ ص ١٦٢.

⁽٤) أخرجه الترمذي جـ ٤ ص ٦٣٠ ، وأخرج النسائي نحو هذا الحديث جـ ٨ ص ٢٢٥.

مين جرباء وأذرح، (١) ، وفي رواية لسلم عن عبد الله أن رسول الله على ١٠١ إن أمامكم حوضاً كما بين جرباء وأذرح ، فيه أباريق كنجوم السماء ، من ورده فشرب منه لم يظمأ بعدها أبداً ، (١) .

١٠ - أنه كما بين الجابية وصنعاء:

كما في حديث أبي هريرة وجابر بن عبد الله قالا: قال رسول الله عَلَيْهُ: هُ عَلَيْهُ: دسعة حوضي ما بين الجابية إلى صنعاء عامية .

١١ - أنه كما بين عمان إلى أيلة:

عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله ، ما آنية الحوض؟ قال: ووالذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ، ألا في الليلة المظلمة المصحية ، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه ، يشخب فيه ميزابان من الجنة ، من شرب منه لم يظمأ ، عرضه مثل طوله ، ما بين عمان إلى أيلة ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، (1) .

١٢ ـ وحدد بأنه كما بين المدينة وعمان :

وعن ثوبان أن نبي الله على قال: «إني لبعقر حوضي أفود الناس الأهل اليمن، أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم، ، فسئل عن عرضه ، فقال: « من مقامي السرب بعصان، ، وسئل عن شرابه ، فقال: «أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل،

⁽١) البخاري جـ١١ ص ٤٦٣ ، ومسلم جـ ٥ ص١٥٨ ، وأبو داود بلفظ ١ إن أمامكم حوضاً ما بين ناحيتيه كما بين جرباء وأذرح قريتان بالشام بينهما ثلاث ليال ، كما سيأتي ذكره .

⁽٢) صحيح مسلم جده ص ١٥٩.

⁽٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ١٠ ص ٣٦٥ ، وعزاه إلى الطبراني .

⁽٤) صحيح مسلم جـ٥ ص١٥٩.

يغت فيها ميزابان يمدانه من الجنة ، أحدهما من ذهب والآخر من ورق (()

١٣ _ وحدد بما بين أيْلة إلى الجحفة :

عن عقبة بن عامر قال: صلى رسول الله على قتلى أحد، ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات، فقال: «إني فسرطكم على الحوض، وإن عرضه كما بين أيلة إلى الجعفة، (٢) إلخ الحديث.

وكما حدد بالمكان ، فقد جاء أيضاً تحديده بالزمان ؛ كما في حديث جابر ، قال : قال رسول الله على : «والحوض مسيرة شهر وزواياه سواء يعني عرضه مثل طوله ـ وكيزانه مثل نجوم السماء ، وهو أطيب ريحاً من المسك ، وأشد ياضاً من اللبن ، من شرب منه لم يظماً بعدها أبداً »(") .

وقال البرديسي: وجملة ما قيل فيه أنه مسيرة شهر ، وقيل: شهران ، وقيل: ثلاثة »(٤) .

وقد ذكر ابن حجر والبرديسي وغيرهما عدة روايات في تحديد مسافة الحوض ، وهي إجمالاً:

١ ـ أنه ما بين أيلة وصنعاء .

٢ ـ ما بين عدن وأيلة .

٣-عمان إلى أيلة.

⁽۱) صحيح مسلم ج٥ ص١٦٠.

⁽۲) صحيح مسلم ج٥ ص ١٥٤ .

 ⁽٣) أخرجه أحمد جـ٣ ص ٣٨٤ ، قبال الهيشمي في مجمع الزوائد : «ورجاله رجال الصحيح، ورواه البزار باختصار ، وفيه ضعف » مجمع الزوائد جـ ١٠ ص ٣٦٤ .

⁽٤) تكملة شرح الصدور ص ٢٣ .

- ٤ ـ أيلة إلى الجحفة .
- ٥ ـ صنعاء إلى المدينة .
- ٦ ـ عدن إلى عمان البلقاء .
- ٧ ـ ما بين بصرى إلى صنعاء .
 - ٨ ـ أيلة إلى مكة .
 - ٩ ـ مكة إلى عمان .
 - ١٠ ـ صنعاء إلى بصرى .
 - ١١ ـ صنعاء إلى مكة .
- ١٢ ـ الكعبة إلى بيت المقدس.
 - ۱۳ ـ البيضاء إلى بصرى (١) .

وقد ذكر النووي بعضاً من تلك الروايات(٢).

أما تحديده بما بين جرباء وأذرح: فقد بين الإمام مسلم المسافة بين تلك القريتين ومكانهما بقوله: « وحدثنا ابن غير ، حدثنا أبي ، وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن بشر ، قال: حدثنا عبيد الله بهذا الإسناد مثله وزاد: قال عبيد الله: فسألته ، فقال: قريتين بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال ، وفي حديث ابن بشر: ثلاثة أيام »(٢).

⁽١) فتح الباري جـ ١١ ص ٤٧١ ، ٤٧١ ، وانظر: تكملة شرح الصدور ص ٢٣ .

⁽٢) شرح النووي جـ٥ ص١٥٥، وقد تكررت هذه الأحاديث، فذكرتها أولاً لإثبات وجود الحوض، ثم أعدتها ثانية لإثبات سعة الحوض ومسافته.

⁽٣) شرح النووي لمسلم جه ص١٥٨.

وقد ضبط النووي جرباء وأذرح ؛ فقال عن جرباء : « وأما جربا فبجيم مفتوحة ثم راء ساكنة ثم باء موحدة ثم ألف مقصورة ، هذا هو الصواب المشهور أنها مقصورة ، وكذا قيدها الحازمي في كتابه «المؤتلف في الأماكن» ، وكذا ذكرها القاضي وصاحب المطالع والجمهور .

وقال القاضي وصاحب المطالع: «ووقع عند بعض رواة البخاري بمدوداً»، قالا: « وهو خطأ»، وقال صاحب التحرير: «هي بالمد، وقد تقصر».

قال الحازمي: «كان أهل جرباء يهوداً ، كتب لهم النبي على الأمان لما قدم عليه لحية بن رؤبة صاحب أيلة بقوم منهم ومن أهل أذرح ، يطلبون الأمان ». وقال عن أذرح إنها «بهمزة مفتوحة ثم ذال معجمة ساكنة ثم راء مضمومة ثم حاء مهملة ، هذا هو الصواب والمشهور الذي قاله الجمهور .

قال القاضي وصاحب المطالع: « ورواه بعضهم بالجيم» قالا: « وهذا تصحيف لا شك فيه» ، وهو كما قالا ، وهي مدينة في طرف الشام في قبلة الشوبك بينها وبينه نحو نصف يوم ، وهي طرف الشراط(١٠) - بفتح الشين المعجمة - ، في طرفها الشمالي ، وتبوك في قبلة أذرح ، بينهما نحو أربع مراحل ، وبين تبوك ومدينة النبي على نحو أربع عشرة مرحلة »(١٠) .

والقول بأن المسافة بين جرباء وأذرح ثلاث ليال أو ثلاثة أيام، بما وقع فيه النزاع كما ستأتى الإشارة إليه .

وأما تحديده بما بين أيلة وصنعاء: فقد قال النووي عن أيلة: «أما أيلة فبفتح الهمزة وإسكان المثناة تحت وفتح اللام، وهي مدينة معروفة في عراق الشام على ساحل البحر، متوسطة بين مدينة رسول الله على ساحل البحر،

⁽١) الشوبك والشراط أماكن في الشام.

⁽٢) شرح النووي جـ٥ ص ١٥٥ .

وقال ياقوت الحموي عن أيلة إنها:

« مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام ، وقيل : هي آخر الحجاز وأول الشام . قال أبو زيد : أيلة : مدينة صغيرة عامرة ، بها زرع يسير ، وهي مدينة لليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة وخنازير .

وقال أبو المنذر: سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام، وقال أبو عبيدة: أيلة: مدينة بين الفسطاط ومكة على شاطئ بحر القلزم، تعد في بلاد الشام ('').

وقال ابن حجر عنها إنها: «مدينة كانت عامرة ، وهي بطرف بحر القُلْزُم من طرف الشام ، وهي الآن خراب ، يمر بها الحاج من مصر ، فتكون شماليهم ، وير بها الحاج من غزة وغيرها فتكون أمامهم ، ويجلبون إليها

شرح النووي لمسلم جـ٥ ص ١٥٥.

⁽٢) معجم البلدان جـ ١ ص ٢٩٢ .

والقلزم: بالضم، ثم بالسكون، ثم زاي مضمومة، قال ياقوت: «وهو المكان الذي غرق فيه فرعون وآله، وقال قوم: قلزم بلدة على ساحل بحر اليمن قرب أيلة والطور ومدين، وإلى هذه المدينة ينسب هذا البحر، وموضعها أقرب موضع إلى البحر الغربي، وقال أبو الحسن البلخي: أما ما كان من بحر الهند من القلزم إلى ما يحاذي بطن البمن، فإنه يسمى بحر القلزم ومقداره نحو ثلاثين مرحلة طولاً، وأوسع ما يكون عرضاً عبر ثلاث ليال، ثم لا يزال يضيق الخخ. انظر: معجم البلدان ج٤ ص ٣٨٧.

الميرة من الكرك والشوبك وغيرهما، يتلقون بها الحاج ذهاباً وإياباً ، وإليها تنسب العقبة المشهورة عند المصريين ، وبينها وبين المدينة النبوية نحو الشهر بسير الأثقال ؛ إن اقتصروا كل يوم على مرحلة ، وإلا فدون ذلك ، وهي من مصر أكثر من النصف من ذلك .

قال ابن حجر: « وأما صنعاء فإنما قيدت في هذه الرواية باليمن احترازاً من صنعاء التي بالشام ، والأصل فيها صنعاء اليمن الما هاجر أهل اليمن في زمن عمر عند فتوح الشام نزل أهل صنعاء في مكان من دمشق فسمي باسم بلدهم».

ونقل عن ابن التين أن المراد بصنعاء التي حدد بها مسافة الحوض: صنعاء الشام ، وقد رد عليه ابن حجر هذا المعنى ، وقال: « لا بعد في حمله على المتبادر وهو صنعاء اليمن لما تقدم توجيهه » ، ولورودها في الحديث مقيدة بصنعاء اليمن »(").

ثم قال _ يعني ابن التين ـ : « يحتمل أن يكون ما بين المدينة وصنعاء الشام قدر ما بينها وصنعاء اليمن ، وقدر ما بينها وبين أيلة ، وقدر ما بين جرباء وأذرح » .

⁽١) فتح الباري جـ ١١ ص ٤٧٠.

⁽٢) فتح الباري جـ ١١ ص ٤٧١ .

قال ابن حجر: « وهو احتمال مردود ؛ فإنها متفاوتة إلا ما بين المدينة وصنعاء، وبينها وصنعاء الأخرى (١) .

وقال ياقوت في معجم البلدان : « وصنعاء موضعان : أحدهما باليمن ، وهي العظمى ، والأخرى قرية بالغوطة في دمشق (٢) .

وأما تحديده بما بين عدن وأيلة: فإن عدن «بفتحتين؛ بلد مشهور على ساحل البحر في أواخر سواحل اليمن وأوائل سواحل الهند، وهي تسامت صنعاء، وصنعاء في جهة الجبال (٢٠٠٠).

وأما تحديده بما بين عمان إلى أيلة: فإن عُمان « بضم المهملة وتخفيف الميم؛ بلد على ساحل البحر من جهة البحرين ((3)) ، بخلاف عمان البلقاء التي بالشام ؛ فإنها « بفتح المهملة وتشديد الميم للأكثر ، وحكي تخفيفها ، وتنسب إلى البلقاء لقربها منها ، والبلقاء بفتح الموحدة وسكون اللام بعدها قاف ، وبالمدة . : بلدة معروفة من فلسطين ((3)).

وأما تحديده بما بين بصرى إلى صنعاء: فإن بصرى « بضم الموخدة وسكون المهملة: بلد معروف بطرف الشام من جهة الحجاز»(١).

قال ياقوت: «بصرى في موضعين ـ بالضم والقصر ـ : إحداهما بالشام من أعمال دمشق ، وهي قصبة كورة حوران، مشهورة عند العرب قديماً

⁽١) فتح الباري جـ ١١ ص ٤٧٥ .

⁽٢) معجم البلدان جـ٣ ص ٤٢٦.

⁽٣) المصدر السابق ص ٤٧١ -

⁽٤)، (٥)، (١) فتح الباري جـ ١١ ص ٤٧١ ، شرح النووي لمسلم جـ٥ ص ١٥٥.

وحديثاً. . وبصرى أيضاً من قرى بغداد قرب عكبراء ١٠١٠ .

وأما تحديده بما بين البيضاء إلى بصرى : فإن البيضاء قريبة من الربذة ؟ البلد المعروف بين مكة والمدينة (٢٠) .

وأما تحديده بما بين الكوفة والحجر الأسود: فإن الكوفة قد قال عنها ياقوت: «الكوفة، بالضم: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق»(٢٠).

وأما الجابية التي حدد بها مسافة الحوض ، فقال ياقوت عنها: « هي قرية من أعمال دمشق ، ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان، قرب مرج الصفر في شمالي حوران ،

وأما تحديده بما بين أيلة والجحفة: فإن الجحفة ـ كما قال ياقوت عنها ـ:

هبالضم ثم السكون والفاء، كانت قرية كبيرة ذات خير على طريق المدينة، من

مكة على أربع مراحل، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على

المدينة، فإن مروا بالمدينة فميقاتهم ذو الحليفة، وكان اسمها: مهيعة، وإنما

سميت الجحفة ؛ لأن السيل اجتحفها، وحمل أهلها في بعض الأعوام،

وهي الآن خراب ه (٥٠).

5 G G

⁽١) معجم البلدان جدا ص ٤٤١ .

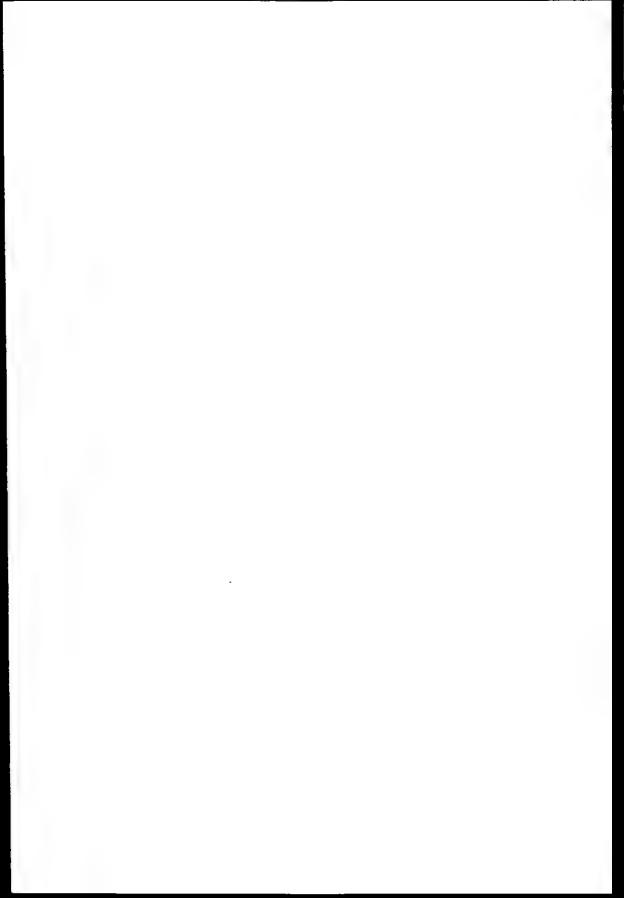
⁽۲) فتح الباري جـ ۱۱ ص ٤٧١ .

⁽٣) معجم البلدان جدة ص ٤٩١ .

⁽٤) المصدر السابق جـ٢ ص ٩١.

⁽٥) المصدر السابق جـ٢ ص ١١١ .





الفصل الخامس الجمع بين الروايات التي وردت فى نُحديد مسافة الحوض

عرفنا فيما سبق أن هناك روايات عديدة في تحديد مسافة الحوض، وهي مختلفة في البعد ـ كما رأينا ـ ، وأن الرسول على قد حددها ، أحياناً بالمكان وأحياناً بالزمان ؛ فهل تلك الفوارق بين تلك المسافات تعتبر تعارضاً ، خصوصاً إذا أريد من ذلك ضبط تلك التحديدات على وجه الدقة ؟

فإذا كانت تلك التحديدات مقصودة على وجه الدقة ؛ فلماذا تختلف المسافة من مكان إلى مكان؟ ؛ إذ لو كانت المسافة واحدة لما اختلفت في البعد والقرب على جميع الروايات، وإلا كانت مضطربة كما ذهب إليه بعض الناس.

وإذا كانت تلك الروايات ثابتة كلها عن الرسول ﷺ - ونحن نعلم قطعاً أنه ليس في كلام الله وكلام رسوله ﷺ تناقض - كان علينا لزاماً النظر والتدقيق في فهمها والرجوع إلى ما قاله أهل الحق في توجيهها .

والواقع أن تلك الروايات ليست جميعها على درجة واحدة من الصحة ، وقد بذل كثير من العلماء جهدهم للتوفيق بين تلك الروايات المتعددة التي انطبق عليها قول ابن حجر بأن فيها: «اختلافاً كثيراً».

ويمكن تلخيص ما جمع به العلماء بين تلك الروايات من الأقوال فيما يلي:

١ - يحمل تعدد الروايات على أن الرسول على تحدث بذكر الحوض في مناسبات متعددة ، وكان يخاطب في كل مرة السائل، مقدراً له مسافة الحوض بما يعرف من الجهات على وجه التقريب.

٢ - أن الرسول عَقِهُ ما كان يقصد ذكر المسافة بين كل جهة وجهة بالتحديد المدقيق ، ولهذا فإنه كان أحياناً يحدد المسافة بالزمان ، فيقول: مسيرة شهر (١) ، وأحياناً يحددها بما يقرب من نصف شهر ، وسيأتي بيان اعتراض الحافظ ابن حجر على هذا الجمع الأخير .

٣ - أن العدد القليل لا ينافي العدد الكثير ؛ بل يكون قد أخبر على بالقليل، ثم زاده الله بعد ذلك خبراً ينص على مسافة أكثر من التي قبلها ، وحيننذ تكون المسافة الكثيرة هي المعتمدة والقليلة تندرج تحتها .

٤ ـ أن ذلك الاختلاف إنما هو بحسب الطول والعرض.

٥ ـ أن ذلك يختلف بحسب اختلاف السير قوة وبطأ .

وسنذكر هنا بعض أقوال العلماء في الجمع بين تلك الروايات المختلفة :

يقول النووي رحمه الله ، في الجمع - نقلاً عن القاضي عياض رحمه الله - : « وهذا الاختلاف في قدر عرض الحوض ليس موجباً للاضطراب؛ فإنه لم يأت في حديث واحد ؛ بل في أحاديث مختلفة الرواة ، عن جماعة من الصحابة ، سمعوها في مواطن مختلفة ، ضربها النبي عَلَيْ في كل واحد منها مثلاً لبعد أقطار الحوض ، وسعة وقرب ذلك من الأفهام ، لبعد

⁽١) صحيح البخاري جدا ١ ص٤٦٣ عن ابن عباس.

⁽٢) كما في تحديده بما بين جرباء وأذرح ؛ وبينهما ثلاثة أيام أو ثلاث ليال ، صحيح مسلم جره ص ١٥٨.

ما بين البلاد المذكورة ، لا على التقدير الموضوع للتحديد؛ بل للإعلام بعظم هذه المسافة ، فبهذا تجمع الروايات » ، ثم أضاف النووي قوله في الجمع : « قلت : وليس في القليل من هذه منع الكثير ، والكثير "ثابت على ظاهر الحديث ولامعارضة "(۱) .

ويقول القرطبي ـ رحمه الله ـ :

« ظن بعض الناس أن في هذه التحديدات في أحاديث الحوض اضطرابًا واختلافًا وليس كذلك ، وإنما تحدث النبي على بحديث الحوض مرات عديدة ، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة ، مخاطباً لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها ، فيقول لأهل الشام: ما بين أذرح وجرباء ، ولأهل اليمن: من صنعاء إلى عدن ، وهكذا ، وتارة أخرى يقدر بالزمان ؛ فيقول: مسيرة شهر ، والمعنى المقصود أنه حوض كبير متسع الجوانب والزوايا ، فكان ذلك بحسب من حضره عن يعرف تلك الجهات ، فخاطب كل قول بالجهة التي يعرفونها بالله .

وبالنسبة لكلام القاضي عياض الذي نقله عنه النووي ـ كما تقدم في قوله: "إن تلك الروايات إنما هي من اختلاف التقدير ؟ لأنه لم يقع في حديث واحد، فيعد اضطراباً من الرواة ؟ بل يقع لجملة من الصحابة سمعوه في مواطن متعددة ، وكان النبي ين يخبر عن مسافته من الأرض بحسب ما يسنح له من العبارة لتقريب المسافة لا إرادة بيان مسافة محققة » ، و بعد أن نقل هذا الكلام للقاضي عياض لم يرتضه ؟ بل قال : " إن فيه نظراً ، وذلك

⁽١) شرح النووي جـ٥ ص ١٥٥.

⁽٢) التذكرة ص ٣٠٤.

من جهة أن ضرب المثل والتقدير إنما يكون فيما يتقارب ، وأما هذا الاختلاف المتباعد؛ الذي يزيد تارة على ثلاثين يوماً ، وينقص إلى ثلاثة أيام ، فلا الانتهاء .

وهو اعتراض في محله، لكن القاضي ـ فيما أظن ـ لا يربد أن الرسول على كان في ذهنه مسافة يربد أن يحددها بل كان يربد مجرد الإخبار بأن هناك مسافة ما ، ولهذا جاء التقدير مختلفاً .

ثم ذكر الحافظ ابن حجر أن بعض العلماء جمع بينها بأن ذلك الاختلاف إنما هو بحسب تفاوت الطول والعرض ، ولكن هذا ـ كما يذكر ـ مردود برواية عبد الله بن عمر : « زواياه سواء» ، وحديث النواس بن سمعان وجابر وأبي برزة وأبي ذر : دطوله وعرضه سواء» .

وبعضهم ذهب إلى القول بأن ذلك يختلف باختلاف السير قوة وبطنًا ، كالسير البطيء ؛ وهو سير الأثقال ، والسير السريع ؛ وهو سير الراكب المخف ، وأن رواية الثلاثة الأيام هي السير على البريد ، ولكن من أين لهم أن رسول الله يَقَطَّة كان يقصد سرعة السير وبطئه أو السير على البريد ؟!.

وقد نقل ابن حجر عن الحافظ ضياء الدين المقدسي أن في رواية الثلاثة نقص ، وأن الحافظ العلائي غلط ابن الأثير حينما حددها بثلاثة ، وأن الغلط إنما حصل في سياق لفظها ، وذلك لاختصار وقع في سياقه من بعض رواته ، ثم ساقه من حديث أبي هريرة ، وأنه أخرجه من فوائد عبد الكريم بن الهيشم الديرعاقولي بسند حسن إلى أبي هريرة مرفوعاً في ذكر الحوض ، فقال فيه : معرضه مثل ما بينكم وبين جرباء وأذرح ، .

قال الضياء: « فظهر بهذا أنه وقع في حديث ابن عمر حذف تقديره: كما (١) فتح الباري جـ ١١ ص ٤٧١ . بين مقامي وبين جرباء وأذرح ؛ فسقط: «مقامي» و « بين ».

وقال الحافظ صلاح الدين العلائي ، بعد أن حكى قول ابن الأثير في النهاية: هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة أيام ، ثم غلطه في ذلك ، وقال: «ليس كما قال، بل بينهما غلوة سهم، وهما معروفتان بين القدس والكرك»، قال: «وقد ثبت القدر المحذوف عند الدارقطني وغيره بلفظ: «ما بين المدينة وجرباء وأذرح».

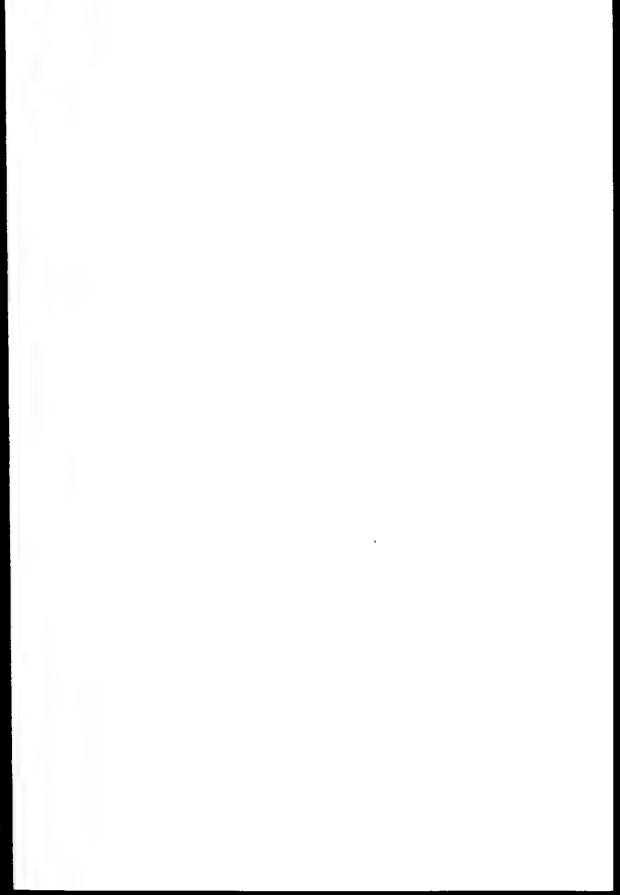
قلت : وهذا يوافق رواية أبي سعيد عند ابن ماجه : « كما بين الكعبة وبيت المقدس .

وقد وقع ذكر جرباء وأذرح في حديث آخر عند مسلم ، وفيه : "وافى أهل جرباء وأذرح بحرسهم إلى رسول الله ﷺ ، ذكره في غزوة تبوك، وهو يؤيد قول العلائي أنهما متقاربتان ، وإذا تقرر ذلك رجع جميع المختلف إلى أنه لاختلاف السير البطيء والسير السريع"(١) .

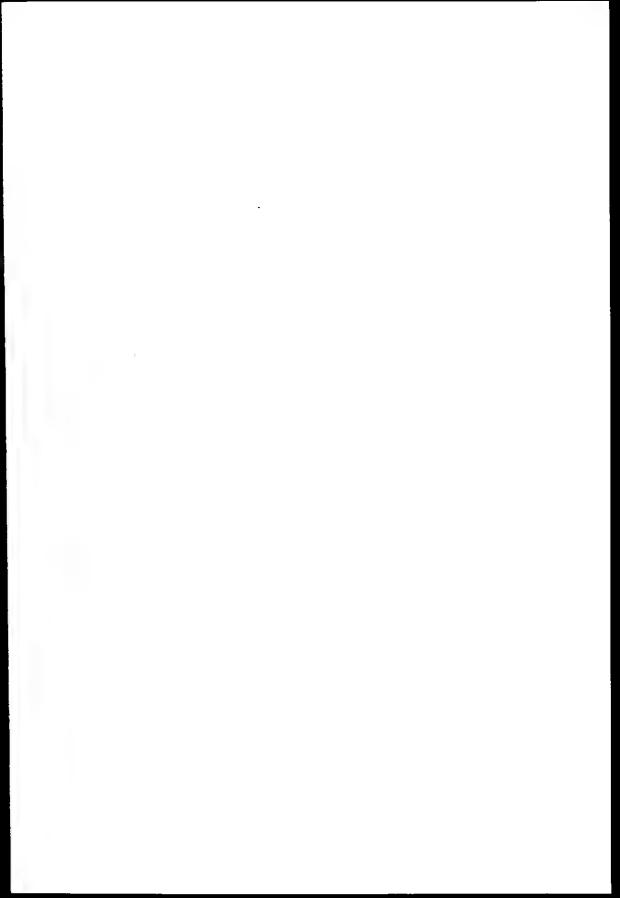
وأرجع الأقوال فيما أرى هو القول بأن الرسول على لم يرد أن تلك المسافات بين تلك الأماكن التي قالها متحدة ، وإنما كان يريد الإخبار عن مسافة ما بين أجزاء الحوض ، وما قيل من أنه ينبغي أن تكون المسافة واحدة مع كل سائل ، فليس ذلك بلازم ؛ لأن النبي على كان يخاطب السائل مقرباً له المسافة ، ومشيراً له إلى ما يعرف من الأماكن ؛ فالسائل الذي يعرف المدينة وعمان يمثل له بها ، والسائل الذي يعرف جهة جرباء وأذرح يمثل له بها ، ولم يرد الرسول على أن تلك المسافات بين تلك الأماكن متحدة .

* * *

⁽١) فتح الباري جـ ١١ ص ٤٧٢ .







الفصل السادس صفات الحوض و مزاياه

وردت للحوض صفات كثيرة جاء ذكر بعضها فيما تقدم من الأحاديث، ولتمام الفائدة نذكر كل ما ورد من الصفات، ملخصة من الأحاديث الشريفة، وحاصلها:

أنه حوض عظيم، ومورد كريم، لا يعلم سعته على الحقيقة إلا الله تعالى، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأشد برداً من الثلج، وأطيب ريحاً من المسك ، من يشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، وهو في غاية الاتساع، كلما شرب منه زاد واتسع ، ينبت من خلاله المسك والرضراض (۱) من اللؤلؤ وقضبان الذهب، ويشمر ألوان الجواهر ، وفيه من الأباريق كعدد نجوم السماء في الليلة المظلمة المصحية ، آنيته من ذهب وفضة (۱).

وكل هذه الصفات أمور سمعية ينبغي الإيمان بها كما وردت ، ونحن نعلم أن أحوال الآخرة مختلفة عن أحوال الدنيا ، والاسم هو الاسم والحقيقة غير الحقيقة .

وقد يقال: إذا ثبت أن الحوض من شرب منه من المؤمنين شربة لم يصبه

⁽١) الرضراض: هو ما دق من صغار الحصى .

⁽۲) انظر لتلك الصفات: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ٣ ص ١٤٦ ، وشرح الطحاوية ص ٢٥١ ، ولوامع الأنوار للسفاريني جـ٢ ص ١٩٦ - ١٩٧ .

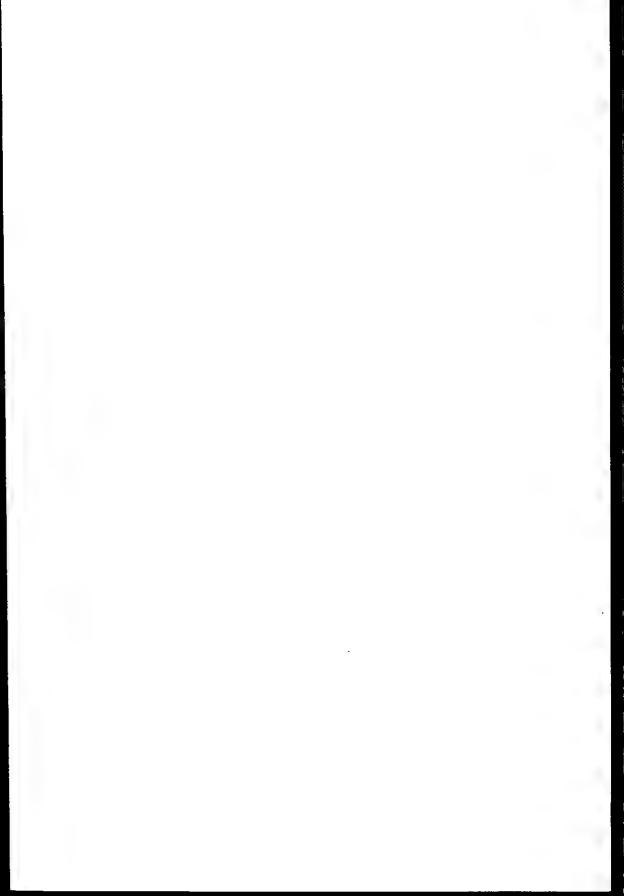
الظمأ أبداً ، فأي حاجة بعد ذلك إلى الشرب في الجنة من نهر الكوثر ؟ .

وقد أجباب العلماء عن هذا بأن أهل الجنة لا يشربون نتيجة لعطش يصيبهم ، وإنما يشربون تلذذاً وشهوة لا لدفع الجوع والعطش(١).

* * *

⁽١) انظر: تكلمة شرح الصدور ص ٢٦.





الفصل السابع متى يرد الناس الحوض ؟

هل يردون عليه حين خروجهم من القبور عطاشاً فيشربون منه ؟ أم يردون عليه ويشربون منه بعد أن يتجاوزوا الصراط؟ أم يكون ذلك بعد نصب الميزان؟ أم أن ذلك يكون قبل فصل القضاء أو بعده؟

كل تلك الأقوال قد قيلت ، والواقع أنها كلها تحتاج إلى دليل يثبتها عن المصطفى على الأن منشأ ذلك الخلاف هو عدم وجود النص الذي يقطع تلك الاحتمالات ، غير أن بعض العلماء استنبط من بعض الأحاديث أن الحوض يكون في الموقف حتماً قبل الصراط ، وبعضهم رأى أنه بعد الصراط ؛ لأنه هوالذي يقتضيه الحال ، وسنعرض فيما يلي بعضاً من أقوال العلماء في ذلك:

ذهب القرطبي- رحمه الله، تبعاً لأبي الحسن القابسي- إلى القول بأن الحوض يكون قبل الصراط والميزان ، وأن من يقدم الصراط والميزان على الحوض يعتبر قوله خطأ ، كما يذكر عن الغزالي ذلك ، فقال : « واختلف في الميزان والحوض أيهما قبل الآخر ؟ ، فقيل الميزان قبل ، وقيل الحوض ، قال أبو الحسن القابسي : والصحيح أن الحوض قبل . قال القرطبي : والمعنى يقتضيه ، فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم كما تقدم ، فيقدم على الصراط والميزان ».

ثم نقل عن أبي حامد الغزالي ما حكاه عن بعض السلف من أهل التصنيف من أن الحوض يورد بعد الصراط ، وأن الغزالي قال: «إن هذا القول غلط من قائله».

ثم قال القرطبي مؤيداً للغزالي: «قال المؤلف: هو كما قال »(۱) ، واستدل بما أورده البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله على الحوض؛ إذا زمرة ، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم ، فقال لهم : هلم ، فقلت : إلى أين؟ قال : إلى النار والله ، قلت : ما شأنهم؟ ، قال : إنهم قدار تدوا على أدبارهم القهقرى ، ثم إذا زمرة أخرى ، حتى إذا عرفتهم ؟ خرج من بيني وبينهم رجل ، فقال لهم : هلم ، فقلت : إلى أين؟ قال : إلى منهم إلا النار والله ، قلت : ما شأنهم؟ ، قال : إنهم ارتدوا على أدبارهم ، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم ، (۱) .

قال القرطبي: «قلت: فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط ؛ لأن الصراط إنما هو جسر على جهنم مدود يجاز عليه ، فمن جازه سلم من النار »(٢).

واستدل أيضاً برواية عن ابن عباس مصدرة بصيغة تشعر بالتضعيف ، فقال : « وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : سئل رسول الله عنها عن الوقوف بين يدي الله تعالى ؛ هل فيه ماء ، قال : « إي والذي نفسي بيده إن فيه لماء ، وإن أولياء الله تعالى ليردون حياض الأنبياء، ويبعث الله سبعين ألف ملك بأيديهم عصي من ناد يذودون الكفاد عن حياض الأنبياء ، ولم يعز هذه الرواية

⁽١) التذكرة ص ٣٦٢.

⁽٢) صحيح البخاري جـ ١١ ص ٤٦٥ .

⁽٣)، (٤) التذكرة ص ٣٦٢.

عن ابن عباس إلى مصدر.

و ترجيح القرطبي للقول بأن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط هو عكس ما ذهب إليه صاحب القوت وغيره من أن الحوض إنما هو بعد الصراط (١).

ويظهر أن القرطبي حمل قول صاحب القوت أنه يصدق على الكوثر الذي هو في الجنة، وهذا في قوله: « والصحيح أن للنبي تلك حوضين ؟ أحدهما في الموقف قبل الصراط، والثاني في الجنة ، وكلاهما يسمى كوثراً "(٢).

ولكن يشكل على قول القرطبي أن الكوثر حوض ، وتسمية الرسول الله للكوثر أنه نهر ، والنهر غير الحوض ، ولهذا يقول ابن حجر عن رأي القرطبي هذا : « إن فيه نظراً »(٣) ، وسيأتي ذكر المقارنة بين الحوض والكوثر في آخر الباب.

وعمن يذهب كذلك إلى القول بأن الحوض يكون قبل الصراط: الإمام ابن كثير - رحمه الله - كما في قوله: « إن قال قائل: فهل يكون الحوض قبل الجواز على الصراط أو بعده ؟ فالجواب: أن ظاهر ما تقدم من الأحاديث يقتضي كونه قبل الصراط ؛ لأنه يذاد عنه أقوام يقال عنهم: إنهم لم يزالوا يرتدون على أعقابهم منذ فارقتهم ؛ فإن كان هؤلاء كفاراً ؛ فالكافر لا يجاوز الصراط، بل يكب على وجهه في النار قبل أن يجاوزه ، وإن كانوا عصاة وهم من المسلمين ؛ فبعيد حجبهم عن الحوض ، لا سيما وعليهم سيما الوضوء ، ثم من وقد قال رسول الله علي : «أعرفكم غراً محجلين من آثار الوضوء» ، ثم من

⁽١) نقله عنه القرطبي في التذكرة ص ٣٦٢ .

⁽٢) التذكرة ص ٣٦٢.

⁽٣) فتح الباري جـ ١١ ص٢٦٦ .

جاوز الصراط لا يكون إلاناجياً مسلماً ، فمثل هذا لا يحجب عن الحوض ، فالأشبه والله أعلم أن الحوض قبل الصراط ،(١) .

وهناك من ذهب إلى أن الحوض يكون بعد الصراط، كما ذهب إليه صاحب القوت فيما ذكره عنه القرطبي سابقاً.

ومنهم الإمام البخاري ، كما أشار إليه ابن حجر بقوله :

* وإيراد البخاري لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة ونصب الصراط ؛ إشارة منه إلى أن الورود على الحوض يكون بعد نصب الصراط والمرور عليه »(٢).

ومنهم القاضي عياض، فيما ينقله السفاريني عنه أنه قال: « إن الحوض بعد الصراط، وإن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار».

وذكر السفاريني كذلك عن بعض العلماء كابن حمدان في عقيدته ؟ حيث يقول: «يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط»(٣).

وقال الجيلاني: « وأهل السنة يعتقدون أن لنبينا ﷺ حوضاً في القيامة يسقى منه المؤمنون دون الكافرين ، ويكون ذلك بعد جواز الصراط قبل دخول الجنة (١).

ويتضح مما سبق أن الروايات متعارضة في ترتيب الحوض بالنسبة للصراط.

قال البرديسي-نقلاً عن شرح الجوهرة-: « وقد تعارضت الآثار في

١٠ النهاية جـ ٢ ص ١٧ . ١

⁽٢) فتح الباري جـ ١١ ص ٤٦٦.

⁽٣) لوامع الأتوار جـ٢ ص ١٩٥.

⁽٤) الغنية ص ٧١ .

محله، ففي بعضها قبل الصراط والميزان ، وفي بعضها بعد الميزان ، وفي بعضها بعد الصراط» .

ويمكن الجمع بين هذا التعارض بأن يقال: إن ذلك يحمل على تعدد الشرب منه ، كما أشار إليه البرديسي(١) .

ويظهر أن الذين منعوا أن يكون الحوض بعد الصراط هو أنهم اعتمدوا على أنه لو كان الأمر كذلك؛ لما صح أن يذاد عن الشرب منه أحد ؛ وذلك لأن من جاوز الصراط فقد نجا من النار ؛ فكيف يليق أن يمنع عن الشرب منه ؟ فالصحيح عند هؤلاء أنه في الموقف قبل الصراط (٢).

والذين توسطوا بين القائلين بأنه قبل الصراط والقائلين إنه بعده قالوا بتعدده ، فالأول وهو الذي قبل الصراط هو الذي يكن أن يتصور وقوع الذود عنه ، وأما الثاني وهو الذي يكون بعد الصراط فهذا لا يتصور أن يذاد ويمنع عنه أحد "(").

وقد يرد على القول بأن الحوض يكون قبل الصراط ما جاء في حديث أنس مرفوعاً يفيد تأخر الحوض عن الصراط.

ونص الحديث كما جاء عن أنس قال: سألت رسول الله على أن يشفع لي يوم القيامة ، قال: وأنا فاعل، ، قال: قلت: يا رسول الله ، فأين أطلبك يوم القيامة ؟ ، قال: واطلبني أول ما تطلبني على الصراط، ، قلت: فإن لم ألقك عند على الصراط؟ ، قال: وفأنا عند الميزان، ، قال: قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: وفأنا عند الحوض، لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن يوم القيامة، (3) .

⁽١)، (٢)، (٣) انظر: تكملة شرح الصدور ص٢٤.

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد جـ ٣ ص ١٧٨ ، ورواه الترمذي جـ٤ ص ١٢١ .

إلا أنه يرد على كلام ابن كثير - رحمه الله - سؤال ، وهو : هل كان يقصد الرسول على حينما قال هذا الحديث ترتيب وجوده بين هذه الثلاثة الأماكن ؟ لأنه قال : و أول ماتطلبني »، أم كان يقصد الإخبار بأنه إما أن يوجد في هذا المكان أو في المكان الآخر دون ملاحظة الترتيب ؟

فالذي يلاحظ الترتيب هو الذي يستشكل وجود الحوض بعد الصراط، والذي لا يلاحظ الترتيب لا يستشكله، والله أعلم بمراد رسوله ﷺ.

وفيه أيضاً إيراد آخر على القائلين بأن الحوض يكون بعد الصراط ، وهو أن الناس إذا خلصوا من الموقف وتجاوزوا الصراط دخلوا الجنة ، فلم يحتاجوا إلى الشرب منه ، وقد أجاب السيوطي عن هذا بقوله : « فالجواب : بل يحتاجون إلى ذلك لأنهم محبوسون هناك لأجل المظالم ، فكان الشرب في موضع القصاص »(٢) .

⁽١) النهاية جـ٢ ص ٦٨.

⁽٢) لوامع الأنوار جـ ٢ ص ١٩٥.

ولعل هذا هو الحوض الذي لا يذاد عنه أحد ؛ لأن هؤلاء المحبوسين هناك لأجل المظالم هم المؤمنون الذين علم الله أنهم من أهل السعادة، كما قدمنا ذلك في مبحث القنطرة .

وقد أورد الحافظ ابن حجر حديث أنس الذي استشكله ابن كثير واستشكله هو أيضاً ، فقال: « وقد استشكل كون الحوض بعد الصراط بما سيأتي في بعض أحاديث الباب أن جماعة يدفعون عن الحوض بعد أن يكادوا يردون ويذهب بهم إلى النار » ، قال: « ووجه الإشكال أن الذي يمر على الصراط إلى أن يصل إلى الحوض يكون قد نجا من النار ، فكيف يرد إليها ؟ » .

ثم أجاب عن هذا الإشكال بقوله: « ويمكن أن يحمل على أنهم يقربون من الحوض بحيث يرونه ويرون النار ، فيدفعون إلى النار قبل أن يخلصوا من بقية الصراط»(١).

وقد ورد حديث صريح في أن الحوض يكون قبل الصراط كما ذكر ابن حجر ؛ وهو حديث لقيط بن عامر الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، وفيه: «ثم ينصرف نبيكم وينصرف على أثره الصالحون ، فيسلكون جسراً من الناد يطأ أحدكم الجمرة، فيقول: حس^(۲) ، فيقول ربك: أوانه (۲) ، ألا فيطلعون على حوض الرسول على أظمأ والله ناهلة (٤) رأيتها أبداً ، ما يبسط أحد منكم يده إلا وقع على قدح، (٥) الحديث .

⁽۱) فتح الباري جر ۱۱ ص ۲۱۶.

 ⁽٢) كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما مضه وأحرقه غفلة كالجمرة والضربة ونحوهما .

⁽٣) أي : حين وزمان .

⁽٤) تشبيها بالإبل العطاش الشارعة في الماء.

⁽٥) أخرجه أحمد في المسندج ٤ ص ١٤ ، وابن أبي عاصم والطبراني والحاكم .

قال ابن حجر: ﴿ وهو صريح في أن الحوض قبل الصراط ١٠٥٠ .

وحديث لقيط ظاهره يفيد أن الحوض يكون بعد الصراط لا قبله، إذ أخبر على أنهم يسلكون الجسر ثم يطلعون على الحوض.

وحديث أبي هريرة السابق و بينا أنا قائم على الحوض إذا زمرة ، . . . إلخ ، يفيد أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط . وحديث لقيط يفيد أنه بعد الصراط .

وليس هذا من باب التعارض الذي لا يمكن الجمع معه ، فقد سبق أن ذكرنا أن بعض العلماء قد قال بأن هناك حوضين ، قبل الصراط وبعده ، وربما يشيرون بما بعد الصراط إلى الكوثر كما ذكر سابقاً ، وبعض العلماء مثل الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي - رحمه الله - يجعل هذه الأحاديث من باب كون الحوض قابلاً لها بسبب اتساعه ، فهو يقول عن حديث أبي هريرة وحديث لقيط :

« وليس بين أحاديث رسول الله عَيْثُ تعارض ولا تناقض ولا اختلاف، وحديثه كله يصدق بعضه بعضاً ، وأصحاب هذا القول إن أرادوا أن الحوض لا يرى ولا يوصل إليه إلا بعد قطع الصراط ؛ فحديث أبي هريرة هذا وغيره يرد قبولهم ، وإن أرادوا أن المؤمنين إذا جاوزوه وقطعوه بدا لهم الحوض فشربوا منه ، فهذا يدل عليه حديث لقيط هذا ، وهو لا يناقض كونه قبل الصراط ، فإن قوله : • طوله شهر وعرضه شهر، فإذا كان بهذا الطول والسعة ؛ فما الذي يحيل امتداده إلى وراء الجسر فيرده المؤمنون قبل الصراط وبعده ؟ فهذا في حيز الإمكان ووقوعه موقوف على خبر الصادق (٢٠).

⁽۱) فتح الباري جـ ۱۱ ص ٤٦٧ .

⁽٢) معارج القبول جـ٢ ص ١٩٦ .

وقد جمع الجلال السيوطي بين الروايات التي تفيد أن الحوض بعد الصراط، والروايات التي تفيد أنه قبله بقوله: «ويحتمل الجمع بأن يقع الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم وتأخيره بعده لآخرين بحسب ما عليهم من الذنوب والأوزار، حتى يهذبوا منها على الصراط»، ثم قال: «ولعل هذا أقوى »(۱).

وقد امتدح الشيخ مرعي ـ كما نقل عنه السفاريني ـ هذا الجمع بقوله: «وهذا في غاية التحقيق جامع للقولين وهو دقيق »(٢).

أما بالنسبة لأسبقية الحوض على فصل القضاء أو بعده ؛ فالترجيح بينهما يتوقف على وجود نص ثابت ، غير أن الذي يظهر أن الحوض يكون قبل فصل القضاء ، وإن كان الحافظ ابن كثير يذكر أن المسألة فيها احتمال كلا القولين ، وهو ما أفاده قوله :

« وإذا كان الظاهر كونه يعني به الحوض قبل الصراط ، فهل يكون ذلك قبل وضع الكرسي للفصل أو بعد ذلك ؟ هذا مما يحتمل كلا الأمرين ، ولم أر في ذلك شيئاً فاصلاً ، فالله أعلم أي ذلك يكون (٢٠) .

وبعد عرض ما تقدم ؛ فإن الذي يبدو أنه الراجح - فيما أراه - أن : الحوض يكون قبل الصراط ، وقبل فصل القضاء ، وقبل الميزان أيضاً ؛ لأنه - كما تقدم - ليس بعد الصراط إلا دخول الجنة أو النار ، ولأنه ورد كذلك أن ناساً يذادون عن الحوض ، والذين نجوا من الصراط وتجاوزوه هم من أهل الجنة فلا يذادون ، وإن القول بوجود حوضين إنما هو من باب تغليب تسمية

⁽١)، (٢) نقلاً عن لوامع الأنوار ص١٩٦ ج٢.

⁽٣) النهاية جـ ٢ ص ٦٩.

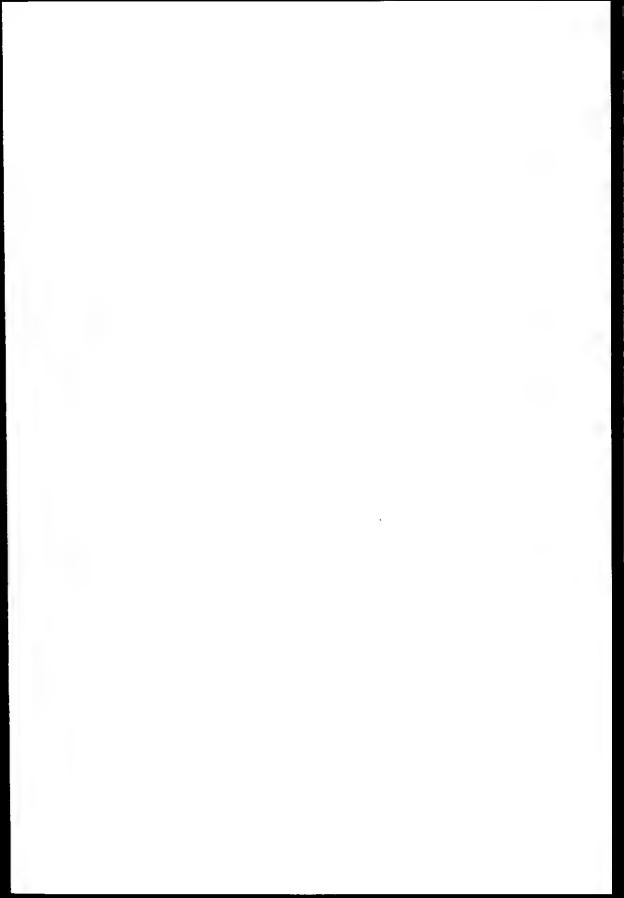
الكوثر بالحوض للاتصال الذي بينهما ، وإنما حمل القائل به التوفيق بين الروايات وتسميته للكوثر حوضاً آخر .

وكذلك الميزان فإنه معلوم أنه يكون في الموقف ، ويبعد القول بأن الحوض يكون بعد وزن الأعمال ، لأن الوزن في الموقف ، ولأنه كذلك ليس بعد وزن الأعمال إلا إعطاء النتيجة : إما الجنة ، وإما النار ، كما تفيده النصوص .

والحاصل من هذا كله أن الحوض يكون في الموقف، وقبل الصراط، وقبل الميزان وقبل فصل القضاء أيضاً كما يستفاد من مجموع النصوص.

ولا يمنع أن يكون الحوض أيضاً ممتداً إلى ما وراء الصراط حسبما ذهب إليه بعض العلماء فيما سبق ذكره ، والله أعلم .





الفصل الثامن الهنكرون للدوض

ورغم ما تقدم من تظافر الأدلة الصحيحة التي بلغت حد التواتر ـ كما مر ـ ورغم إطباق جميع السلف على القول بإثباته ؛ فإنه وجد من بين من ينتسب إلى الإسلام من ينفي وجود الحوض مطلقاً ؛ ومنهم من يجوز التوقف فيه ، ومنهم من يفرق بين كونه حقاً أو من المسائل الواجب اعتقادها .

أما الذين ينسب إليهم إنكاره ، فهم :

١ ـ فرقة المعتزلة .

٧ ـ الحوارج .

٣ ـ ومن أفراد الناس الذين كانوا ينكرونه: ابن زياد .

وأما الذين يفرقون بين كونه حقاً وبين كونه واجباً أو من المسائل الواجب اعتقادها فهم : الإباضية .

وفيما يلى بيان إثبات ذلك عنهم:

ا ـ أما إنكار المعتزلة للحوض: فهو ما أثبته عنهم السفاريني في كتابه «لوامع الأنوار» بقوله: «خالفت المعتزلة فلم تقل بإثبات الحوض مع ثبوته بالسنة الصحيحة الصريحة »(١).

⁽¹⁾ لوامع الأنوارج ٢ ص ٢٠٢ .

ويقول الجيلاني: «وقد أنكرت ذلك المعتزلة ، فلا يسقون منه ويدخلون النار ورداً عطشاً إن لم يتوبوا عن مقالتهم وجحودهم الحق ورد الآيات والأخبار والآثار»(۱).

وأما عن إنكار الخوارج والمعتزلة أيضاً ، فهو ما ذكره الحافظ ابن حجر بقوله : « قلت : أنكره الخوارج وبعض المعتزلة» (٢٠٠٠ .

ويقول الجيلاني عن إنكار الخوارج له: « ولا يؤمنون بعذاب القبر ولا الحوض ولا الشفاعة ولا يخرجون أحداً من النار »(٣).

وأما الفرق التي نسب إليها القول بإنكار الحوض دون ذكر اسمها فهو ما ذكره الأشعري عنهم بقوله: « قال أهل السنة والاستقامة: إن للنبي على حوضاً يسقي منه المؤمنين ولا يسقي منه الكافرين ، و أنكر قسوم الحوض ودفعوه (أن) .

وقال ابن حجر: « وأنكرت ذلك طائفة من المبتدعة، وأحالوه (٥) على ظاهره ، وغلوا في تأويله من غير استحالة عقلية ولا عادية تلزم من حمله على ظاهره وحقيقته ، ولا حاجة تدعو إلى تأويله ، فخرق من حرفه إجماع السلف وفارق مذهب أئمة الخلف ١(١) ، ولعله يشير بهذه الطائفة التي ذكرها إلى الخوارج والمعتزلة ـ كما مر ـ .

⁽١) الغنية جـ ١ ص٨٥ .

⁽٢) فتح الباري جـ ١١ ص ٤٦٧ .

⁽٣) الغنية جـ ١ ص ٨٥.

⁽٤) المقالات جـ ٢ ص ١٦٥ .

⁽٥) أي : جعلوه مستحيلاً .

⁽٦) فتح الباري جـ ١١ ص٤٦٧.

أما من يفرق بين كونه حقاً وبين كونه واجباً أو من المسائل الواجب اعتقادها ؛ فهم الإباضية حسب ما يظهر من كلام علمائهم، فهم يثبتونه على أنه من متممات الفضائل وليس من المسائل التي يجب اعتقادها ، فالسالمي من علمائهم ـ يقول :

والكتب والصحف حوت أعمالاً والحوض حق فاترك الجدالا وعند شرح السالمي لهذا البيت من النظم قال: «هذه المسألة بما يسع جهله لمن لم يبلغه تواتر الأخبار، ويجوز التصديق بخبر الواحد فيها لأنها من زيادة الفضائل لنبينا عليه الصلاة والسلام، فالتصديق بها تصديق بجزيد فضيلة له، ولذا قال المصنف: والحوض حق. ولم يقل: والإيمان به واجب، ولم يذكره مع المسائل التي يجب اعتقادها في أول الفصل».

وعن معنى قوله: « فاترك الجدالا » يقول: أي في حقيقته ؛ فإن الأخبار واردة به كما رأيت ، فإن أنكرتها - وهي في نفس الأمر مطابقة للواقع - كنت منكراً لما هو حق في نفس الأمر ، فالوقوف - إن لم تصدق - أولى من الإنكار وأسلم ، فإنها وإن كانت لا تقوم بها حجة عليك فلا يصح تكذيبك لراويها ، وهكذا يجب في كل حديث ورد فيه محتمل للحق أن لا يرد ، فإن قامت به حجة فذاك وإلا فأمر راويه إلى الله ها .

وأما إنكار ابن زيادله ؛ فقد اشتهر عنه هذا الإنكار ، وكان شديداً على من يقول به ، وقد جرت بينه وبين بعض الصحابة الذين كانوا يحدثون بالحوض مساءلات ومشادة بلغت إلى حد السباب من قبل عبيد الله بن زياد، كما وقع ذلك مع الصحابي أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه حينما دخل عليه ،

⁽١) مشارق أنوار العقول ص٢٨٢ .

فقد قابله ابن زياد بسوء الأدب والتكذيب ، ولكن أبو برزة غضب من إنكار ابن زياد ورد عليه رداً عنيفاً كما في رواية عبد السلام بن أبي حاتم أبو طالوت ، قال : الشهدت أبا برزة دخل على عبيد الله بن زياد ، فحدثني فلان ـ سماه مسلم (۱) ـ ، وكان في السماط (۱) ، فلما رآه عبيد الله قال : إن محمديكم هذا الدحداح (۱) ، ففهمها الشيخ (أبو برزة) ، فقال : ما كنت أحسب أني أبقى في قوم يعيروني بصحبة محمد على ، فقال له عبيد الله : إن صحبة محمد لله في قوم يعيروني بصحبة محمد لله المنابك عن الحوض ، لك زين غير شين ، ثم قال له : إنما بعثت إليك لأسألك عن الحوض ، سمعت رسول الله على يذكر فيه شيئا ؟ فقال أبو برزة : نعم ، لا مرة ولا اثنتين ولا ثلاثاً ولا أربعاً ولا خمساً ، فمن كذب به فلا سقاه الله منه ، ثم خرج

أما زيد بن أرقم ، فكان له معه موقف أغلظ من الموقف الذي كان مع أبي برزة ، فقد أخرج الإمام أحمد عن يزيد بن حبان التيمي قال : حدثنا زيد بن أرقم ، قال : «بعث إلى عبيد الله بن زياد فأتيته ، فقال : ما أحاديث تحدثها وترويها عن رسول الله على لا نجدها في كتاب الله ؟ تحدث أن له حوضاً في الجنة ؟ قال : قد حدثناه رسول الله على ووعدناه ، قال : كذبت ، ولكنك شيخ قد خرفت ، قال : إني قد سمعته أذناي ووعاه قلبي من رسول الله على متعملاً فليتبوأ مقعده من جهنم، وما كذبت على يقول : «من كذب على متعملاً فليتبوأ مقعده من جهنم، وما كذبت على

 ⁽١) يعنى به مسلم بن إبراهيم الذي روى عنه أبو داود هذا الحديث.

⁽٢) هم الجماعة من الناس

⁽٣) هو القصير (جامع الأصول جـ ١٠ ص ٤٦٦ ..

⁽٤) أخرجه أبو داود جـ ٢ ص ٥٣٩ .

وكذلك أنس رضي الله عنه فإنه قد حضر مجلس ابن زياد وهم يذكرون الحوض ، فقال ابن زياد : هذا أنس ، قال أنس : « فقلت : لقد كانت عجائز بالمدينة كثيراً ما يسألن ربهن أن يسقيهن من حوض نبيهن " قال ابن حجر (٢٠) : وسنده صحيح ، وفي رواية عن أنس أيضاً أنه قال : « ما حسبت أن أعيش حتى أرى مثلكم ينكر الحوض (٢٠) .

ومما يجدر ذكره أن ابن زياد قد رجع أخيراً عن تكذيبه بالحوض حينما بين له أبو سبرة الأمر ، وفي هذا يقول ابن حجر - رحمه الله - : « وممن كان ينكره - يعني الحوض - عبيد الله بن زياد أحد أمراء العراق لمعاوية وولده » . . . إلى أن يقول ابن حجر : « ومن طريق يزيد بن حبان التيمي : شهدت زيد بن أرقم وبعث إليه ابن زياد ، فقال : ما أحاديث تبلغني أنك تزعم أن لرسول الله على حوضاً في الجنة ؟ قال : حدثنا بذلك رسول الله على .

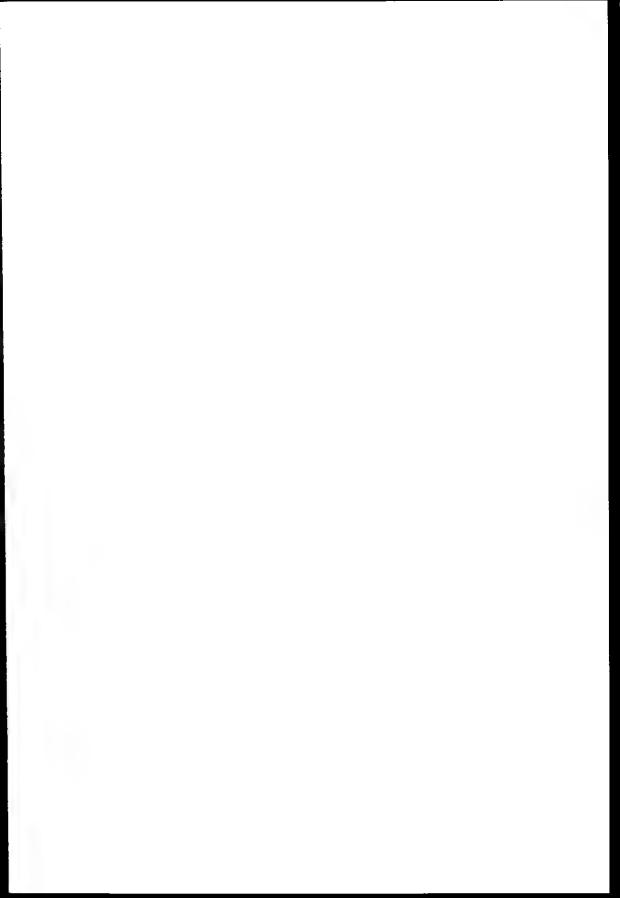
وعند أحمد من طريق عبد الله بن بريدة عن أبي سبرة - بفتح المهملة وسكون الموحدة - الهذلي ، قال: قال عبيد الله ابن زياد: ما أصدق بالحوض . وذلك بعد أن حدثه أبو برزة والبراء وعائذ بن عمرو ، فقال له أبو سبرة : بعثني أبوك في مال إلى معاوية فلقيني عبد الله بن عمرو فحدثني ، وكتبته بيدي من فيه أنه سمع رسول الله على يقول : «موعدكم حوضي » الحديث ، فقال ابن زياد حينئذ : أشهد أن الحوض حق (3) .

^{* * *}

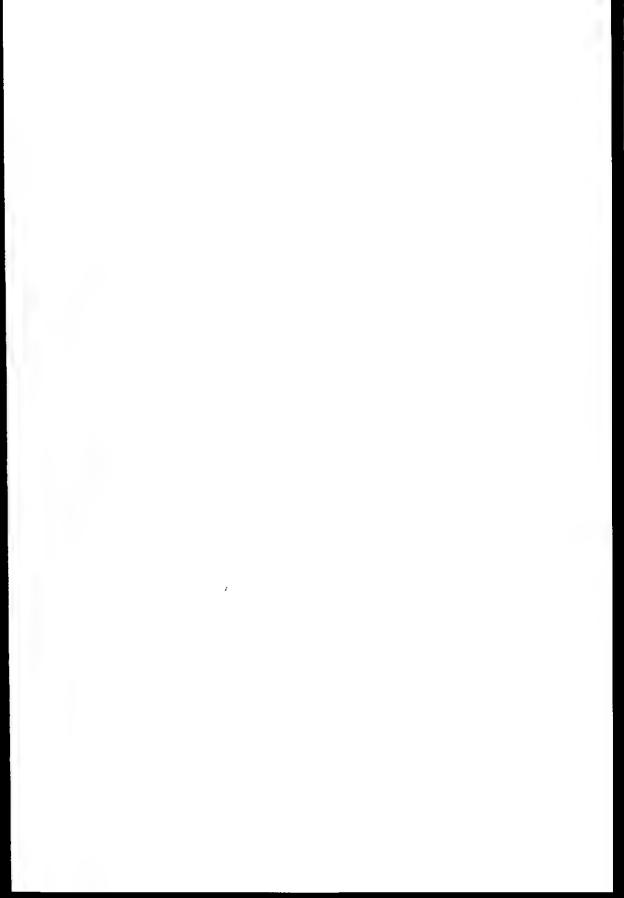
⁽١) أخرجه الإمام أحمد ج٤ ص٣٦٧.

⁽٢)، (٣) قتح الباري جد ١ ص ٤٦٨.

⁽٤) فتح الباري جـ ١١ صـ ٤٦٨ ، وانظر الشريعة للآجري صـ ٣٥٤ .







الفصل التاسع الرد على من ينكر الدوض

رأينا فيما سبق بحثه مما أوردنا من الأدلة القاطعة المتواترة ومن أقوال العلماء في إثبات الحوض ما يدحض شبهة من كان في قلبه شبهة في ثبوت حوض نبينا محمد على .

كما أنه لا يجحد بعد ذلك مدلول تلك النصوص الصحيحة الصريحة المتواترة بعد أن يقف عليها إلا من كان في قلبه زيغ ، وسلك مسالك أهل البدع^(۱) ، وهو في إنكاره هذا ليس له ما يثبت به إنكاره لا من العقل ولا من النقل ، قال السفاريني : « إن الحوض ثابت بالسنة المتواترة ، وظاهر الكتاب، فمنكره زائغ عن الصواب »^(۲) .

وقال أبو محمد بن حزم:

اوأما الحوض فقد صحت الآثار فيه ، وهو كرامة للنبي عَلَيْهُ ولمَـن ورد عليه من أمنه ، ولا ندري لمن أنكره متعلقاً ، ولا يجوز مخالفة ما صح عن النبي عَلَيْهُ في هذا ولا غيره الله عنه .

وبالإضافة إلى ما تقدم ؛ فإن العقل لا يستبعد ذلك ولا يحيله ، ويكفي

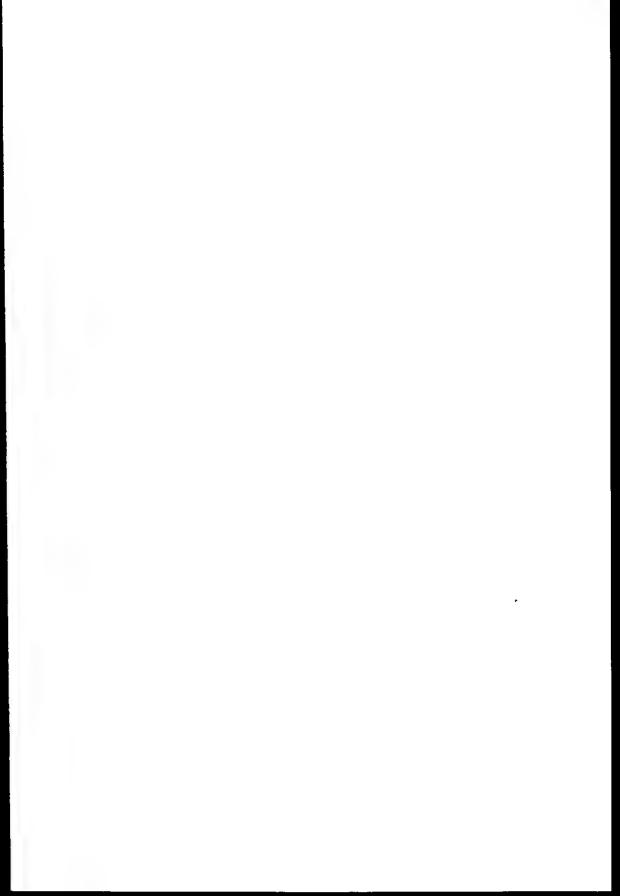
⁽١)، (٢) انظر لوامع الأنوار جـ٢ ص ٢٠٢ .

⁽٣) الفصل ج ٤ ص ٦٦.

في ذلك الإمكان، وقد كان السلف يقولون عن منكري الحوض عبارتهم المشهورة: «من كذب به فلا سقاه الله منه»، وكانوا يستعظمون إنكاره، ويشددون في الرد على من ينكره، كما وقع لكثير من الصحابة الذين ذكرنا مواقفهم مع ابن زياد فيما سبق، كذلك فإن المنكرين له ليس لهم دليل لا من العقل ولا من النقل، فيبقى إنكارهم لا معنى له، بل هو اتباع الهوى الذي يستحق صاحبه الذم.

* * *





الفصل العاشر هل ثبت أن لكل نبي حوضاً يخصه ؟

فيما سبق بحثه ثبت أن للنبي محمد على حوضاً موروداً كرامة من الله تعمالي له ، ورأينا أنه لم يخالف في ثبوته إلا بعض أهل البدع ، وإذا كان حوض نبينا محمد على ثابتاً بما لا ريب فيه ، فهل هذا من خصوصياته على أم أن لكل نبي حوضاً ؟

الواقع أن هذه المسألة محل خلاف ، وإن كان كثير من العلماء يذهب إلى أن لكل نبي حوضاً إلا إنه لا يزال فيها بعض الغموض؛ إذ الأدلة التي يستدلون بها لا تفي بإثبات أن لكل نبي حوضاً يخصه . .

ومن أدلة الإثبات ما جاء عن سمرة ، قال : قال رسول الله عَلى : «إن لكل نبي حوضاً ، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة (١) وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة» (٢).

وهذا الحديث مرسل ؛ لأنه من رواية الحسن عن النبي على ، ولولا تلك العلة لكان الحديث قاطعاً لكل شك في هذه المسألة .

الواردة : القوم يردون الماء .

⁽٢) أخرجه الترمذي جـ ٢ ص ٧٧ ، ثم قال: «قال أبو عيسى: هذا حديث غريب ، وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي على مرسلاً ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح ».

وقال ابن حجر: « وقد اشتهر اختصاص نبينا عَلَى بالحوض، لكن أخرج الترمذي من حديث سمرة ، رفعه: «إن لكل نبي حوضاً»، وأشار إلى أنه اختلف في وصله وإرساله، وأن المرسل أصح.

قلت: والمرسل عَلَيْ أخرجه ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن الحسن ، قال: قال رسول الله عَلَيْ: «إن لكل نبي حوضاً ، وهو قائم على حوضه بيده عصا يدعو من عرف من أمته ، ألا إنهم يتباهون أيهم أكثر تبعاً ، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً ، .

وأخرجه الطبراني من وجه آخر عن سمسرة موصولاً مرفوعاً مثله ، وفي سنده لين ، وأخرج ابن أبي الدنيا أيضاً من حديث سعيد، رفعه: «وكل نبي يدعو أمته ، ولكل نبي حوض ، فمنهم من يأتيه الفنام ، ومنهم من يأتيه العصبة ، ومنهم من يأتيه السواحد، ومنهم من يأتيه الاتنان ، ومنهم من لا يأتيه أحد، وإني لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة »، وفي إسناده لين وإن ثبت فالمختص بنبينا يَقِط الكوثر الذي يصب من مائه في حوضه ؟ فإنه لم ينقل نظيره لغيره ،

⁽١) تكملة شرح الصدور ص ٢٦، وعزاه إلى البزار.

ووقع الامتنان عليه به في السورة المذكورة ـ يعني الكوثر ـ (١٠) .

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه ـ كما قدمنا ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله عنه قوله : « إنبي الأفود عن حوضي رجالاً كما تفاد الفريبة من الإبل الله ، وهذا الحديث قد يستدل به من يقول بتعدد الأحواض ، وأن كل نبي يذود عن حوضه ، لكنه ليس صريحاً في إثبات ذلك ، وقد تقدم النقل عن ابن حجر في تعليله لذود الرسول عنه من ليس من أمته عن حوضه بأن ذلك إرشاد منه عنه الأنباء ليردوا أحواض أنبيائهم ، وأن هذا إنصاف منه عنه ورعاية لحرمة إخوانه من النبيين .

وقال السفاريني: « وورد في بعض الأخبار أن لكل نبي حوضاً ، إلا صالحاً عليه السلام ؛ فإن حوضه ضرع ناقته »(٢) ، ولم يذكر تلك الأخبار ، ولم أجدها في نص ثابت .

ويقول القرطبي: "وكذا حياض الأنبياء عليهم السلام تكون أيضاً في الموقسف" (3) ، ويقول ابن أبي العز: "وقد ورد في أحاديث أن لكل نبي حوضاً ، وأن حوض نبينا على أعظمها وأحلاها وأكثرها وارداً ، جعلنا الله منهم بفضله وكرمه "(6) ، ويقول السيد سابق: "إن لكل نبي حوضاً يشرب هو وأمته منه بعد الموقف وقبل دخول الجنة ، ولنبينا حوض كذلك (1)

⁽١) فتح الباري جـ ١١ ص ٤٦٧ .

⁽٢) صحيح مسلم جـ٥ ص ١٦١ .

⁽٣) لوامع الأنوار جـ٢ ص ٢٠٣ .

⁽٤) التذكرة ص٣٠٣.

⁽٥) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٥٠.

⁽٦) العقائد الإسلامية ص ٢٨٧.

وبعد عرض أقوال العلماء هذه فإنه يستفاد من تلك الأقوال مع النصوص الأخرى :

أن إثبات أحواض الأنبياء الآخرين غير حوض نبينا محمد عليه الصلاة والسلام مما يحتاج إلى دليل ثابت خال عن شائبة الضعف ، على أن من أثبت ذلك استئناساً بتلك الروايات وأقوال العلماء لا حرج عليه فيما أرى ومن توقف فكذلك ، إذ إن الأحاديث التي تقدمت ضعيفة ، وأقوال العلماء مهما كانت محترمة ؛ فإن طلب الدليل الصحيح وخصوصاً في مثل هذه المسائل الغيبية أمر لا جدال فيه ، على أن مقتضى الحال لا ينفي أن يكون لكل نبي حوض يخصه ، وذلك لاشتراك جميع الأم في الحاجة إلى الشرب في ذلك المرقف العظيم ؛ لأن الشرب منه إنما يكون لما يلحق الناس من العطش ، ولا يمنع أن يكون من باب الكرامة وغير ذلك ، كما جاء عن رسول الله على والعطش لا يقتصر على أمة دون أخرى ، وإذا كان المؤمنون من أي أمة كانت قد اشتركوا في الإيمان بالله قد اشتركت في الضرورة إلى الماء؛ فهم كذلك قد اشتركوا في الإيمان بالله وطاعته ، والمفاضلة بينهم لا يلزم أن تكون في السقيا من الماء، وهو أمر ضروري .

* * *

الباب الخامس عشر الکوثر

ويشمل الفصول الآتية :

الغصل الأول : تعريف الكوثر في اللغة والأصطلاح.

الفصل الثاني : الأدلة على إثبات الكوثر :

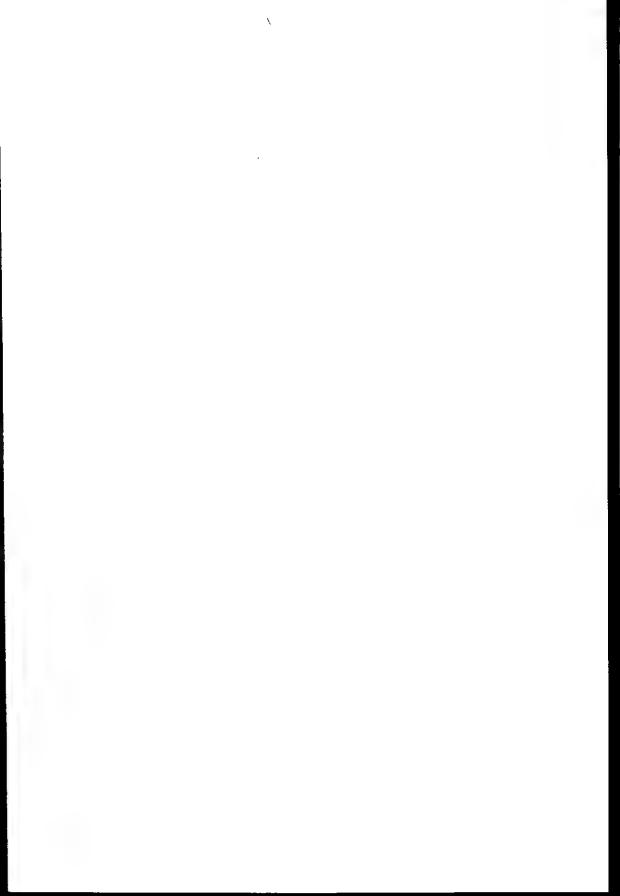
١_من القرآن الكريم.

٢_من السنة النبوية.

الفصل الثالث : تسمية الكوثر بالحوض، والحوض بالكوثر، وبيان وجه الاتصال بينهما .

الفصل الرابع : اختصاص الرسول ﷺ بالكوثر دون غيره من الأنبياء،

الغصل النامس: صفات الكوثر،



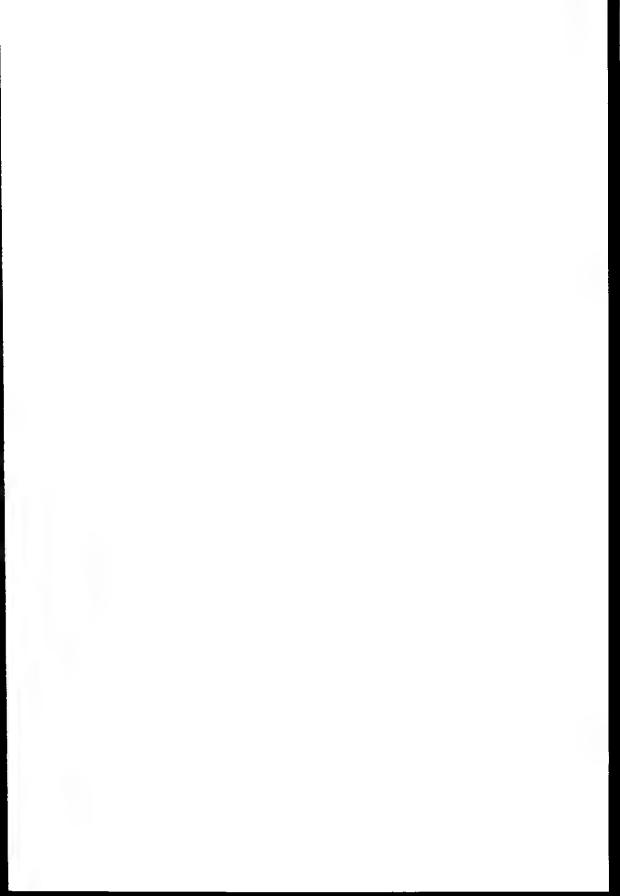
لماذا أثبت بحث الكوثر وهو من الأمور التي في داخل الجنة؟

لم تتفق كلمة العلماء على التفرقة بين الحوض والكوثر في التسمية بحيث يقع بينهما التباين حتى يتضح الحكم بعد ذلك بشأنهما، بل وقع التداخل في تسميتهما عند كثير من العلماء.

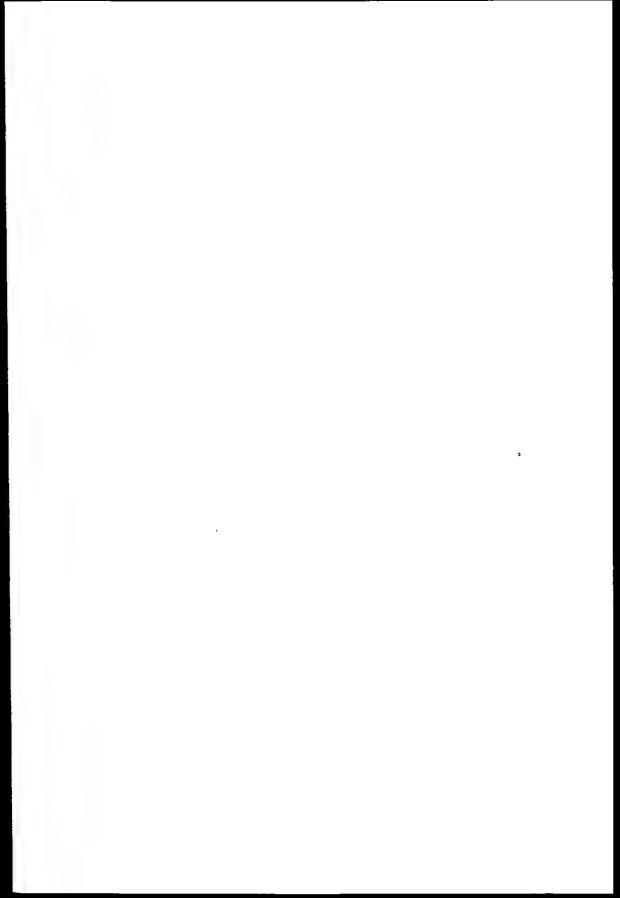
فبعضهم يذهب إلى أن الحوض هو الكوثر والكوثر هو الحوض، وبعضهم يذهب إلى الفصل في التسمية بينهما، ثم يفاجأ ببعض النصوص الواردة في الكوثر والتي هي تصدق على الحوض، فيذهب في التكلف للجواب عن ذلك بإجابات بعيدة عن الصواب، كما سنذكر مثال ذلك.

كما أن الذي حملني أيضاً على ذكر الكوثر هنا أن هناك أحاديث تدل على أن الكوثر . وهو في داخل الجنة . مسزابان يصبان في الحوض الذي هو في الموقف ليشرب منه من شاء الله من السعداء .

فلأجل هذا الاتصال فيما بين الحوض والكوثر أحببت أن أدخله في بحث الرسالة إيضاحًا وتتميمًا للفائدة بطريقة موجزة أعرف الكوثر ثم أبين وجه اتصاله بالحوض ومكان كل منهما فيما يأتي:







الفصل الأول تعريف الكوثر في اللغة والاصطلاح

١. تعريفه في اللغة :

يطلق الكوثر في اللغة على عدة معان دائرة حول الكثرة والاتساع، ومن تعريفات أهل اللغة له ما قاله الأزهري:

«الكوثر فوعل من الكثرة، ومعناه الخير الكثير ا^(۱).

وقال الفيروز أبادي:

«والكوثر: الكثير من كل شيء، والكثير الملتف من الغبار، والإسلام، والنبوة، والرجل الخير المعطاء، والسيد، والنهر، ونهر في الجنة تتفجر منه جميع أنهارها»(٢).

وعرفه الراغب بقوله:

"قيل: هو نهر في الجنة يتشعب عنه الأنهار، وقيل: بل هو الخير العظيم الذي أعطاه النبي علله، وقد يقال للرجل السخي: كوثر، ويقال: تكوثر الشيء: كثر كثرة متناهية، قال الشاعر:

وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا^{ع(٣)}.

⁽١) تهذيب اللغة ١٠/ ١٧٨.

⁽٢) القاموس المحيط ٢/ ١٢٩.

⁽٣) المفردات ص: ٤٣٦، وانظر: أساس البلاغة ص: ٣٨٧.

وكل تعريفات أهل اللغة في مادة «كشر» تدور حول معنى الكشرة والاتساع.

٢ . تعريفه في الاصطلاح وبيان المراد من الكوثر :

أما تعريفه في الاصطلاح، فهو حسب مفهوم تعريفات العلماء له على ضوء ما عرفه به رسول الله على من أنه: نهر في الجنة، أعطاه الله نبيه محمدًا على زيادة في إكرامه ولطفه به وبأمته. وهو متصل بالحوض الذي هو في الموقف كما أشرنا إلى ذلك في مبحث الحوض، وكما سيأتي إيضاحه أيضًا.

وقد فسر الكوثر بأنه نهر في الجنة ، كما جاء في حديث أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها أنه قال: سألتها عن قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثُورَ ﴾ قالت: «هو نهر أعطيه نبيكم عَلَكُ ، شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم»(۱).

فهذا الحديث نص في تفسير الكوثر بأنه النهر الذي أعطيه الرسول على أنه قد جاء في رواية ابن عباس أنه فسر الكوثر تفسيراً عاماً يندرج تحته الكوثر الذي هو النهر في الجنة وغيره، وذلك في ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر: «هو الخير الذي أعطاه الله إياه»، قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: «النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه»، وهذا فقال سعيد بن جبير بين حديثي ابن عباس وعائشة وما في معناهما عما يدل على تفسير الكوثر بالنهر.

⁽١) البخاري ٨/ ٧٣١.

⁽٢) المصدر السابق.

قال ابن حجر: هذا تأويل من سعيد بن جبير بين حديثي عائشة وابن عباس، وكأن الناس الذين عناهم أبو بشر وأبو إسحاق وقتادة ونحوهما عن روى ذلك صريحًا أن الكوثر هو النهر(۱)، على أنه لا تعارض بين تفسير ابن عباس وتفسير عائشة للكوثر - كما ذكر ابن حجر العسقلاني - إذ إن حاصل ما قاله سعيد بن جبير أن قول ابن عباس رضي الله عنهما - أنه الخير الكثير - لا يخالف قول غيره أن المراد به نهر في الجنة ؛ لأن النهر فرد من أفراد الخير الكثير.

ولعل سعيداً أوماً إلى أن تأويل ابن عباس أولى لعمومه؛ لأنه يشمل كل خير كثير مفرط؛ من علم وعمل وشرف الدارين، وهذا وإن كان تأويلاً حسنًا لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبي عَلَيْهُ من عدة طرق عن عدد من الصحابة، فلا معدل عنه؛ لثبوت ذلك وصحته عن الذي أنزل عليه الوحي(٢).

وقد أيد سيد قطب رحمه الله تفسير ابن عباس للكوثر بأنه الخير الكثير، وقال: "إن هذا هو الأنسب في هذا السياق وفي هذه الملابسات "(")، على أنه قد جاء في بعض الروايات عن ابن عباس أنه فسر الكوثر بالنهر الذي في الجنة (٤)، كما في التفسير المنسوب إليه، وكما أخرج ابن مردويه عنه ذلك (٥)، وهذا هو رأى حذيفة (١) أيضًا.

⁽۱) فتح الباري ٨/ ٧٣٢.

⁽٢) شرح ثلاثيات المسند ١/ ٥٣٥، وفتح الباري ٨/ ٧٣٢.

⁽٣) في ظلال القرآن ٣٠/ ٣٩٨٨.

⁽٤) انظر: تنوير المقباس ٦/ ٤٠٠ مع الدر المنثور.

⁽٥) ذكره الشوكاني في فتح القدير ٥/ ٥٠٣.

⁽٦) المصدر السابق.

وهناك أقوال لأهل العلم في بيان معنى الكوثر، هي في الواقع لا تخرج عن مضمون ما سبق، قال الشوكاني: «وذهب أكثر المفسرين ـ كما حكاه الواحدي ـ إلى أن الكوثر نهر في الجنة، وقيل: هو حوض النبي تظلف في الموقف، قاله عطاء، وقال عكرمة: الكوثر النبوة، وقال الحسن: هو القرآن، وقال الحسن بن الفضل: هو تفسير القرآن وتخفيف الشرائع، وقال أبو بكر بن عياش: هو كثرة الأصحاب والأمة، وقال ابن كيسان: هو الإيثار، وقيل: هو الإسلام، وقيل: الشفاعة، وقيل: الإسلام، وقيل: الشفاعة، وقيل: المعجزات، وقيل: العجزات، وقيل: العالمة في الدعوة، وقيل: لا إله إلا الله، وقيل: الفقه في الدين، وقيل: الصلوات الخمس»(١).

وذكر السيوطي عن مجاهد رضي الله عنه قال: الكوثر خير الدنيا والآخرة (٢) ، فهذه الأقوال لا ينافي بعضها بعضا؛ إذ أنها تشترك في إثبات أن خيراً خص الله به نبيه محمداً على الكراما وتشريفاً له، وهذا يصدق على كل ما قيل في ذلك، أما القول الأول؛ وهو أن الكوثر نهر في الجنة، فهذا هو الراجح في بيان معناه والذي تشهد له النصوص كما أشرنا إليه.

وأما القول الثاني: وهو أن الكوثر هو نفس الحوض الذي وعد به نبينا محمد فيه من الكوثر الذي محمد فيه من الكوثر الذي هو داخل الجنة ـ كما سيأتي في وجه الاتصال بينهما، وأما الأقوال الأخرى فإنها كلها تهدف إلى إثبات خير أوتيه نبينا في الكالم وكلها تدخل في تعريف من عرف الكوثر بأنه الخير الكثير، وإن كان في تلك الصفات ما يختص به وحده،

⁽۱) فتح القدير ٥/ ٥٠٢-٥٠٣، فتح الباري ٨/ ٧٣٢.

⁽٢) الدر المنثور ٦/ ٤٠٣، وعزاه إلى ابن جرير وابن عساكر.

ومنها ما يشركه فيها غيره من الأنبياء والرسل وأتباعهم كالشفاعة مثلاً.

وفي هذا يقول الخازن في تفسيره: «فجميع ما جاء في تفسير الكوثر فقد أعطيه النبي علله والمنبوة، والكتاب، والحكمة، والعلم، والشفاعة، والحوض المورود، والمقام المحمود، وكثرة الأتباع، والإسلام وإظهاره على الأديان كلها والنصر على الأعداء، وكثرة الفتوح في زمنه وبعده إلى يوم القيامة، وأولى الأقاويل في الكوثر الذي عليه جمهور العلماء أنه نهر في الجنة (١٠).

وقال النيسابوري: «قال أهل المعنى: ولعله إنما سمي كوثراً لأنه أكثر أنهار الجنة ماءً أو خيراً، ولأن أنهار الجنة تتفجر منه (١٠).

ويقول ابن حجر: «والكوثر فوعل من الكثرة، سمي بها النهر لكثرة مائه وآنيته وعظم قدره وخيره»(٢٠).

وقد ذكر النيسابوري إضافة إلى ما سبق من الأقوال قولين يبدو عليهما أثر التكلف؛ مثل القول بأن المراد بالكوثر هم أولاد الرسول على ، أي أولاد ابنته فاطمة ، أو هم علماء أمته (٤) ، وهما وإن كانا داخلين في عموم لفظ الكوثر بعناه اللغوي إلا أنهما لا دليل عليهما .

وفيما يلي نعرض أدلة إثبات الكوثر من القرآن الكريم والسنة النبوية.

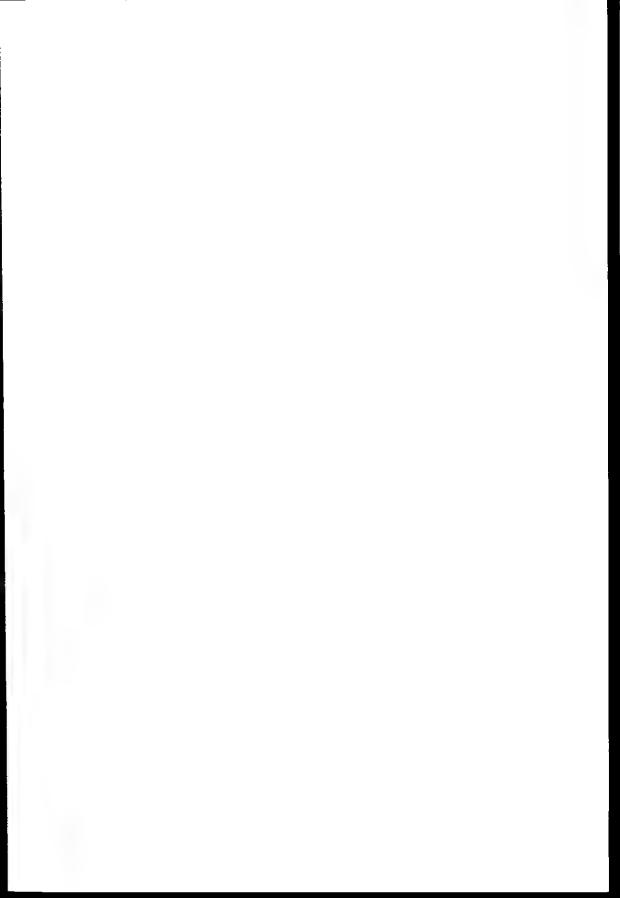
* * *

⁽١) تفسير الخازن ٤/ ٤١٤، تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل.

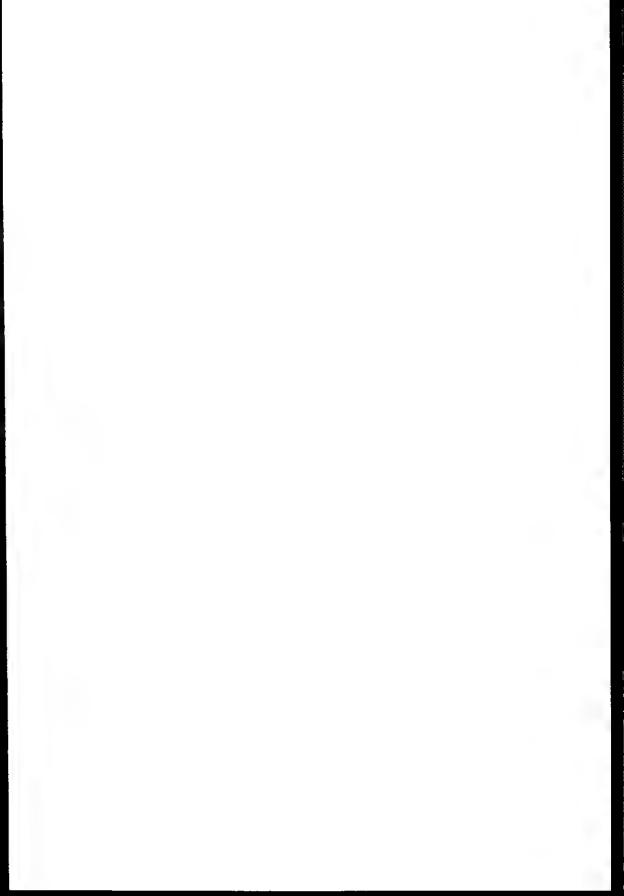
⁽٢) غرائب القرآن ٢٠/ ١٩٤.

⁽٣) فتح الباري ٨/ ٨٣١.

⁽٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٣٠/ ١٩٥.







الغصل الثاني الأدلة على إثبات الكوثر

١ ـ من القرآن الكريم :

جاء في كتاب الله عز وجل الامتنان على نبي الله محمد على عما حباه به ربه من إعطائه الكوثر، فقال عز وجل مبشرًا له: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثُورَ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۞ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر: ١ - ٣].

فهذه الآية الكريمة صريحة في ثبوت الكوثر، لكنها لم تحدد موقعه، ولكن جاءت السنة النبوية فوضحت ذلك، وأنه نهر في الجنة.

وهذا ما نتبينه في الأدلة الآتية من السنة النبوية.

٢_ادلة إثباته من السنة :

أخرج البخاري عن أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قال: سألتها عن قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثُرَ ﴾، قالت: «هو نهر أعطيه نبيكم عَلَه، شاطئاه عليه در مجوف، آنيته كعدد النجوم؛ (۱) .

وعن أنس رضي الله عنه قال: لما عرج بالنبي عَلَيْهُ إلى السماء قال: وأتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر، (٢).

⁽١) سبق تخريجه.

⁽٢) المصدر السابق.

وفي رواية أخرى للبخاري عن أنس رضي الله عنه عن النبي على قال : «بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا با جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا منه على أو : طيبه مسك أذفر »(١) ، وهذه الرؤية حصلت ليلة الإسراء .

وعن أنس رضي الله عنه قال: بينا رسول الله على ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاء (٢) ثم رفع رأسه مبتسمًا فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت علي انفًا(٣) سورة، فقرأ: بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثُورَ

(1) فَصَلِّ لِرَبِكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِتَكَ (٤) هُو الأَبْتَرُ (٥) ﴾.

ثم قال: أتدرون ما الكوثر (() فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج (() العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك)، زاد ابن حجر في حديثه: «بين أظهرنا في المسجد. . . وقال: ما أحدث بعدك) (() . والقائل له هذا القول: يحتمل أن يكون من الملائكة، ويحتمل أن يكون الله تعالى () .

⁽١) البخاري ١١/ ٤٦٤، والذي شك هو هذبة راوي الحديث؛ هل قال الرسول ﷺ : طينه أو طيبه .

⁽٢) أغفى إغفاءة: أي نام.

⁽٣) آنفًا: أي قريبًا.

⁽٤) شانتك: أي مبغضك.

⁽٥) الأبتر: هو المنقطع العقب.

⁽٦) الكوثر: نهر في آلجنة، كما فسره الرسول ﷺ هنا، وفي بعض الأحاديث أنه الخير الكثير.

⁽٧) يختلج أي يشزع ويقطع.

⁽۸) مسلم ۲/ ۳۷.

⁽٩) شرح ثلاثیات المسند ١/ ٣٦٥.

ولعل هذا الحديث إنما يتوجه إلى الحوض الذي هو خارج الجنة، بدليل ما يقع فيه من اختلاج أقوام ومنعهم من الشرب منه؛ إذ لو كان المراد النهر الذي هو داخل الجنة لما حصل المنع والاختلاج، وأما تسميته بالكوثر؛ فإن ذلك يرجع إلى ملاحظة أن ماء الحوض إنما هو من الكوثر حيث يمد منه بواسطة ميزابين.

ولهذا فإن الداودي استشكل ما جاء من إخبار الرسول على بأن نهر الكوثر داخل الجنة، بقوله عليه الصلاة والسلام: «بينا أنا أسير في الجنة إذ أنا بنهر ... ولنخ . الحديث .

وبين ما جاء في طرد أناس واختلاجهم عنه بعدما يراهم ويناديهم، ومعلوم أن تلك الرؤية له على حصلت في ليلة الإسراء، فظن الداودي - كما يذكر ابن حجر - أن هذا يكون في يوم القيامة؛ لأنه قال: «إن كان هذا محفوظًا دل على أن الحوض الذي يدفع عنه أقوام غير النهر الذي في الجنة، ويكون يراهم وهو داخل الجنة وهم من خارجها، فيناديهم فيصرفون عنه».

قال ابن حجر معلقًا على هذا القول:

«وهو تكلف عجيب يغني عنه أن الحوض الذي هو خارج الجنة يمد من النهر الذي هو داخل الجنة، فلا إشكال أصلاً» (١).

وقد جاء التصريح كذلك بأنه نهر في الجنة في رواية الإمام أحمد، وقد ذكرها بما تقدم عند مسلم بزيادة قال: «هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة» الحديث(٢).

⁽١) فتح الباري ١١/ ٤٧٣.

⁽٢) المستد ٣/ ١٠٢.

وقد قال النووي في شرحه للحديث:

﴿ وَالْكُوثُرُ هَنَا نَهُرُ فِي الْجُنَةَ ـ كَمَا فَسَرُهُ النَّبِي ﷺ ، وهو في موضع آخر عبارة عن الخير الكثير ﴾ (١) .

وعن المختار بن فلفل قال: سمعت أنس بن مالك يقول: أغفى رسول الله عَلَيْهُ إِغْفَاءَة بنحو حديث ابن مسهر ـ أي السابق ـ غير إنه قال: «نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة، عليه حوض، ولم يذكر آنيته عدد النجوم (٢) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله عَلَيْ : «الكوثر نهر من الجنة حافتاه من ذهب، مجراه على الياقوت والدر، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل وأشد بياضًا من الثلج، (٣) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سئل رسول الله على ما الكوثر؟ فقال: «ذاك نهر أعطانيه الله» يعني في الجنة وأشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر(٤) قال عمر: إن هذه لناعمة ، قال رسول الله على أكلتها أنعم منهه (٥).

وأخرج الطبري(١) عن أنس أن القائل ﴿إنها لناعمة ، هو أبو بكر رضي الله

⁽۱) شرح النووي لمسلم ۲/ ۳۷.

⁽۲) مسلم ۲/ ۳۸ «النووي»، وأبو داود ۲/ ۵۳۸.

⁽٣) ابن ماجه ٢/ ١٤٥٠ ، والترمذي في جامعه ٥/ ٤٥٠ .

⁽٤) الجزر: جمع جزور، وهو البعير ذكراً كان أو أنثى، إلا أن اللفظة مؤنثة، جامع الأصول ١٠/١٠.

⁽٥) أخرجه أحمد في المستد٣/ ٢٢٠.

⁽٦) جامع البيان ٣٠/ ٣٢٤.

عنه، وأخرج أيضاً رواية أخرى أن القائل هو عسمر، ولا منافاة في هذا، فيمكن أن يكون كل منهما قد قال هذا القول، ولا مانع من حصول هذا والله أعلم. وفي رواية الإمام أحمد: «اكلتها أنعم منها».

وعند الطبيري: «آكلها أنعم منها»، ففي الأولى جاء الوصف لبيان لذة أكلها، وفي الثانية جاء الوصف لبيان نعومة آكلها، وفي كلتا الحالتين فالأمر لا يختلف؛ فإن أكلها ناعم ولذيذ وآكلها كذلك ناعم.

وعن أبن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله عَلَيَّة : «الكوثر نهر في الجنة، حافتاه من ذهب، والماء يجري على اللؤلؤ، وماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، أكوابه مثل نجوم السماء، من شرب شربة لم يظمأ بعدها، أول الناس ورودًا علي صعاليك المهاجرين. قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: الشعثة رؤوسهم، النحيفة وجوههم، الدنسة ثيابهم، لا تفتح لهم السدد، ولا ينكحون المنعمات، الذين يعطون كل الذي عليهم، ولا يأخذون كل الذي لهم لهم الهم، (١)

وعن أنس قال: قال رسول الله عَلَيْهُ: «أعطيت الكوثر، قلت: يا رسول الله، وما الكوثر؟ قال: نهر في الجنة عرضه وطوله ما بين المشرق إلى المغرب، لا يشرب منه أحد فيظمأ، ولا يتوضأ منه أحد فيشعث، ولا يشرب منه من أخفر ذمتي ولا من قتل أهل بيتى، (٢).

وبعد ذكر ما تقدم من الأدلة المثبتة للكوثر، فإن ما يعتقده بعض الناس من أن خرير الكوثر يسمع عندما يضع الشخص أصبعيه في أذنيه قول غير

⁽١) أخرجه ابن ماجه ٢/ ١٤٣٨، والترمذي ٤/ ٦٢٩.

⁽٢) ذكره السيوطي في البدور السافرة ص ٤٢ «فلم»، وعزاه إلى الطبراني.

صحيح، وما استدلوا به من حديث يروى عن عائشة رضي الله عنها في إثبات ذلك فقد ذكر العلماء أن الحديث لا يصح، ونص الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «من أحب أن يسمع خرير الكوثر فليجعل أصبعه في أذنه» (۱). ذكره السيوطي في كتابه البدور السافرة وعزاه إلى هناد في الزهد، وقد أخرج الحديث الطبري، وقال في سنده: حدثنا أحمد بن سريج الرازي إلى أن يقول: عن مجاهد عن رجل عن عائشة ثم ساق الحديث باختلاف في الألفاظ، وأخرجه الطبري كذلك من رواية أخرى عن ابن أبي نجيح عن عائشة "، وقد وصف ابن كثير هذه الرواية بأنها منقطعة بين ابن أبي نجيح وعائشة.

وقال السهيلي فيما ينقله عنه ابن كثير وصاحب النشر الطيب: إنه رواه الدارقطني مرفوعًا من طريق مالك بن مغول عن الشعبي عن مروان عن عائشة عن النبي علله ("") ، وقال الوزاني: ولم أرى أحدًا صححه، بل هو منقطع، وقد علق الشيخ عبد الله محمد الصديق فيما يذكره عنه الوزاني على هذا الحديث بقوله: «هذا حديث موضوع» (").

وعلى هذا، فلا صحة للقول بأن خرير الكوثر يسمع في الدنيا عندما يضع الشخص أصبعه في أذنه، وعلى فرض صحة ذلك، فالمعنى أنه يسمع نظير خرير الكوثر لا الكوثر نفسه، وبما تقدم نكتفي من إيراد الأدلة من السنة على إثبات الكوثر.

* * *

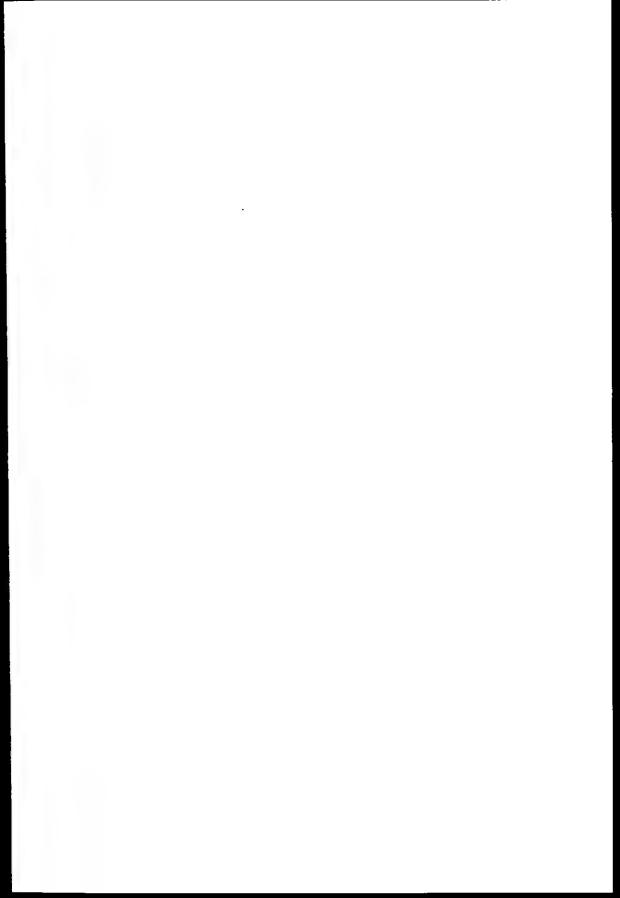
⁽١) البدور السافرة افلم.

⁽٢) جامع البيان ٣٠/ ٣٢٠. ٢٢١.

⁽٣) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٥٧.

⁽٤) النشر الطيب ٢/ ٣٩١.





الفصل الثالث تسمية الكوثر بالحوض والحوض بالكوثر

وبيان وجه الاتصال بينهما

فسر الرسول على الكوثر بأنه: نهر في الجنة من أنهارها، وأخبر عن الحوض بما يدل على أنه في الموقف في عرصات القيامة، وأخبر عن وجه الاتصال بينهما بأن ذلك يتم بواسطة ميزابين يجريان من الكوثر إلى الحوض، ولكن وقع خلاف بين العلماء في إطلاق التسمية؛ فهل هناك فرق بينهما؟ وكيف أطلق بعض العلماء التسمية على الحوض أنه الكوثر؟ واستدل لإثباته من القرآن الكريم بسورة الكوثر.

والجواب عن ذلك:

أن تفسير الكوثر بأنه نهر في الجنة هو ما أخبر به رسول الله على كما تقدمت أدلة ذلك، وعلى هذا الرأي كشير من العلماء، ومنهم: الإمام الطبري، حيث قال بعد أن ذكر أقوال العلماء في معنى الكوثر: «وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي قول من قال: هو اسم النهر الذي أعطيه رسول الله على الجنة؛ وصفه الله بالكثرة لعظم قدره»(١).

ومنهم كذلك الشوكاني، فهو بعد أن أورد بعض الأحاديث التي تثبت الكوثر بأنه نهر في الجنة قال:

⁽١) جامع البيان ٢٠/ ٣٢٣.

«فهذه الأحاديث تدل على أن الكوثر هو النهر الذي في الجنة، فيتعين المصير إليها وعدم التعويل على غيرها»(١).

وليس معنى هذا أن يغفل اتصال الكوثر بالحوض، فإن اتصالهما أمر معلوم كما ورد.

وأما الذين أطلقوا تسمية الكوثر على الحوض فهو من باب تغليب الأصل على الفرع، وقد أصبح معلومًا أن موقع الحوض غير موقع الكوثر، وتسمية الحوض-بغض النظر عن اتصاله بالكوثر-غير الكوثر، ولكن الإيراد يأتي على من فسر الكوثر بالحوض، حيث غلب الفرع على الأصل، مثلما كان يفسر عطاء الكوثر لمن يسأله عنه بالحوض الذي يكثر الناس عليه، أي حوض نبينا على المناس عليه الم

وكذلك ما يذكره صاحب النشر الطيب أن الكوثر هو الحوض، وأن هذا هو قول الجمهور، وذلك في قوله: «اختلف في تفسير الكوثر على أقوال: الأول أنه الحوض، وصححه ابن جزي وعليه الجمهور، لظاهر هذا الحديث يعني به حديث أنس في وصف الكوثر والطير التي ترد عليه ولما في الصحيحين عن أنس عنه على حين أنزلت عليه سورة الكوثر: «اتدرون ما الكوثر؟ "إلخ الحديث.

ومثله ما ذكره عاشور في كتابه «نعيم الجنة» من أن الكوثر هو حوض النبي عَلَيْهُ ، وهو رأي الجمهور(٤) .

⁽١) فتح القدير ٥/ ٥٠٣.

⁽٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير ٩/ ٢٤٩، وجامع البيان ٣٠/ ٣٢٣.

⁽٣) النشر الطيب ٢/ ٣٩١.

⁽٤) نعيم الجنة ص: ٤٨.

وأما حجتهم في تسمية الحوض بالكوثر فهو ما أشار إليه ابن حجر من أنهم تمسكوا بحديث المختار بن فلفل.

قال ابن حجر: «وجاء إطلاق الكوثر على الحوض في حديث المختار بن فلفل»(١).

وقد قدمنا ذكر هذا الحديث وهو واضح في إطلاق الكوثر على الحوض لما فيه من الصفات التي تليق بالحوض، ولكن الرسول على حينما قال هذا لعله غلب تسمية الكوثر على الحوض مع مراعاة الفوارق بينهما.

أما من ناحية وجه الاتصال بينهما حقيقة فهو ما أخبر به رسول الله على من أنه يشخب فيه ميزابان من الكوثر بمدانه.

وقد صرح رسول الله عَن حكما في حديث ثوبان الذي قدمنا ذكره في باب الحوض - بالرابطة التي تربط بين الحوض والكوثر، وهو قوله عَن : «يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والآخر من ورق»(۱) .

ومثل حديث ثوبان حديث آخر عن ابن مسعود، وفيه التصريح ببيان وجه الاتصال بين الحوض والكوثر أيضًا، وهو حديث طويل نأخذ منه قوله عَلَيْهُ: «ويفتح نهر من الكوثر إلى الحوض» (٣) الحديث.

وهو واضح في وجه الاتصال بينهما، لولا أن في سند الحديث عثمان بن عمير، وهو ضعيف كما قال الهيثمي (١٠)، وهذا الضعف لا يؤثر في حقيقة الاتصال بينهما لثبوت ذلك في صحيح مسلم وهو الحديث السابق.

^{* * *}

⁽١) فتح الباري ١١/ ٤٦٧.

⁽٢) الحديث أخرجه مسلم ٥/ ١٥٩، ١٦٠.

⁽٣) المستد ١/ ٣٩٩.

⁽٤) مجمع الزوائد ١٠/ ٣٦٠.

أقوال العلماء

وبعد أن أورد الإمام ابن كثير بعض الأحاديث في إثبات الكوثر، وأنه نهر في الجنة، قال عن وجه الاتصال بينه وبين الحوض: «ومعنى ذلك أنه يشخب من الكوثر ميزابان إلى الحوض، والحوض في العرصات قبل الصراط؛ لأنه يختلج عنه، ويمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم، ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط»(۱).

ويقول ابن حجر عن سبب إطلاق الكوثر على الحوض ووجه الاتصال بينهما أن: «الكوثر نهر داخل الجنة ـ كما تقدم ويأتي ـ ، وماؤه يصب في الحوض، ويطلق على الحوض كوثر لكونه يمد منه (٢٠) .

وقبال أيضاً: «المراد بالكوثر النهسر الذي يصب في الحوض فهو مادة الحوض» (٣). أي فليس المقصود بالحوض هو النهر كما هو الواقع.

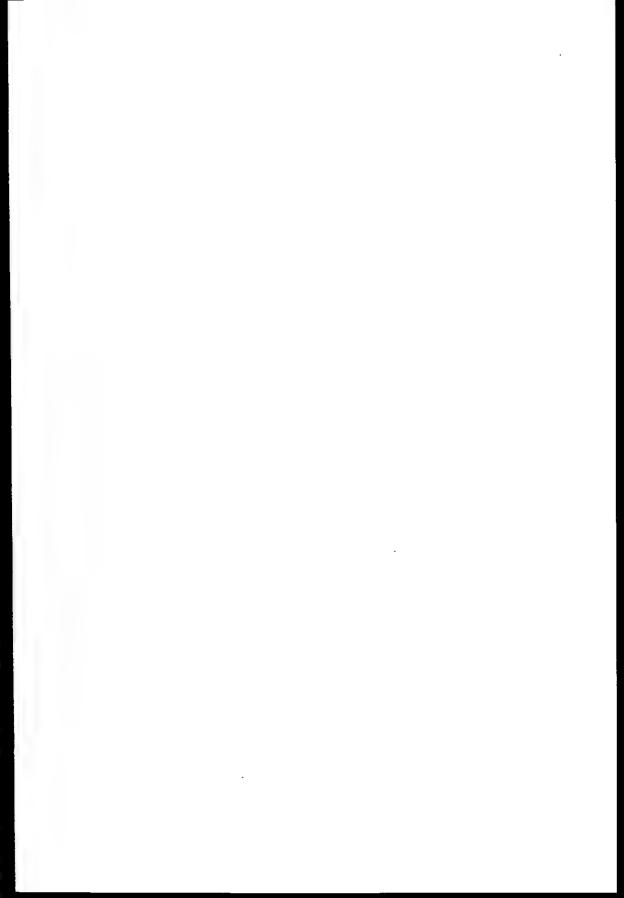
* * *

⁽١) النهاية ٢/ ٣١، وانظر: الطحاوية ص: ٢٥٠.

⁽٢) فتح الباري ١١/ ٤٦٦_٤٦٧.

⁽٣) المصدر السابق.





الفصل الرابع الرسول ﷺ بالكوثر دون غيره من الأنبياء

الكوثر نهر من أنهار الجنة، جعله الله كرامة لنبيه علله ، وهو خاص به عليه الصلاة والسلام دون غيره كما تفيده النصوص الثابتة ، فإنه لم ينقل نظيره لغيره، ووقع الامتنان عليه به في السورة المذكورة (١): «الكوثر»، ويؤيد هذا ما جاء في صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك مرفوعًا، وفيه: «ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فضرب يده فإذا هو مسك أذفر، قال: ها العاجبريل، قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك، (٢).

وذكر السيوطي حديثًا عن ابن عباس فيه التنصيص على اختصاص الرسول على ابن مردويه، فقال: الرسول على ابن مردويه، فقال: الرسول الله عنهما في قوله: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الله عنهما في قوله: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ اللَّهُ عنهما في قوله: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ اللَّكُوثُورَ ﴾، قال: نهر في الجنة عمقه سبعون ألف فرسخ، ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، شاطئاه الدر والياقوت والزبرجد، خص الله به نبيه محمدًا عَلَيْهُ دون غيره من الأنبياء "(").

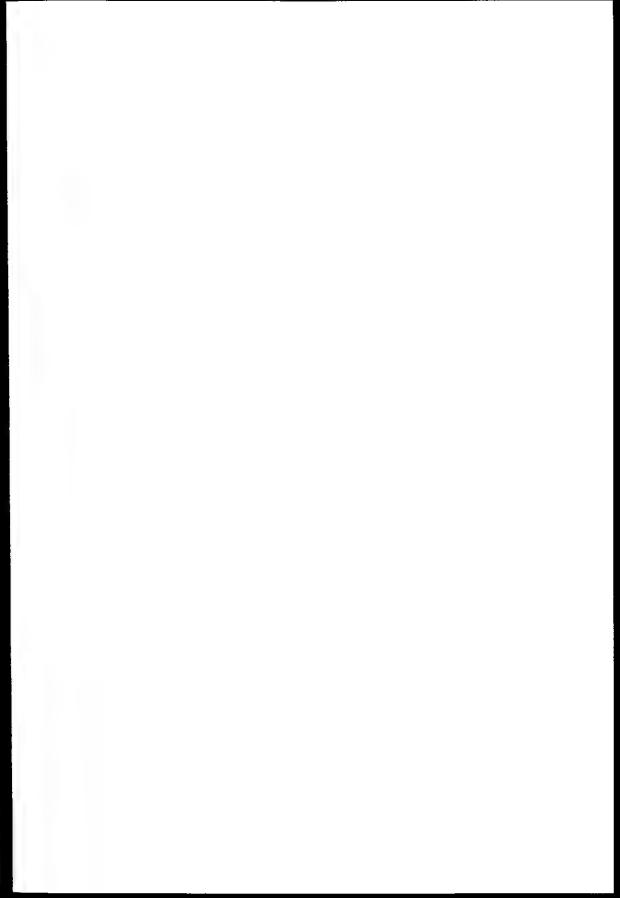
ولم أجد نصاً فيما رأيت في إثبات عمق الكوثر غير ما تقدم من قول ابن عباس.

* * *

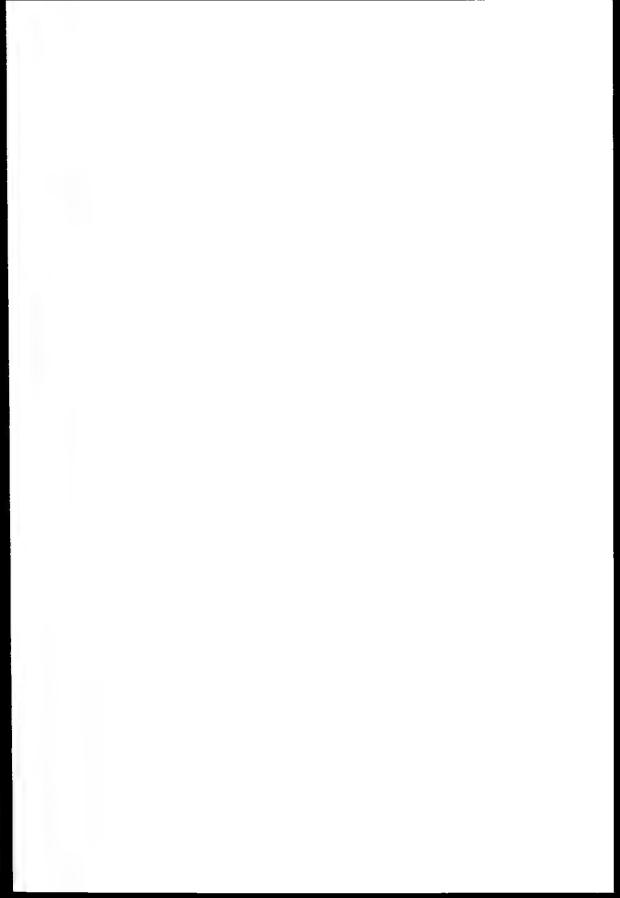
⁽١) فتح الباري ١١/ ٤٦٧ اسورة الكوثرا.

⁽٢) أخرجه البخاري ١٣/ ٤٧٨.

⁽٣) الدر المتور ٦/ ٤٠٢.







الفصل الخامس صفات الكوثر

وبعد إيراد أدلة إثبات الكوثر نخص بالذكر الصفات الواردة له، وهي وإن كانت ثابتة ضمن الأحاديث السابقة إلا أننا نحب إبرازها كما قدمنا في إبراز صفات الحوض.

فبالنظر إلى ما أسلفنا من الأحاديث المثبتة للكوثر نجد أن الصفات الواردة له هي نفس الصفات الثابتة للحوض، وهذا أمر ظاهر؛ وذلك لأن الماء الذي في الحوض إنما جاء من الكوثر، فهو الأساس، وإن كانت العناية قد توجهت لدى كثير من الناس إلى إبراز صفات الحوض والاهتمام بها بغض النظر عن صفات الكوثر، وعلى أي حال فقد أودع الله تعالى في الكوثر صفات ومزايا عظيمة.

كيف وقد أعده الله إكرامًا لنبيه وخليله محمد لله وإذا كان الناس يختارون لضيوفهم أحسن المآكل والمشارب فما الظن بالله تعالى، الذي هو على كل شيء قدير، وقد وعد أهل طاعته بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؟

وقد جاء في رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما الكوثر؟ قال: «نهر من أنهار الجنة أعطانيه الله عرضه ما بين أيلة وعمدن»(١) إلح الحديث. فهذا الوصف هو نفس الوصف الذي جاء للحوض

⁽١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٠٢. وعزاه إلى ابن مردويه.

كما تقدم، غير أنه لا يمنع أن يحمل هذا الوصف على الكوثر حقيقة، ويكون هذا التحديد من باب التقريب أيضًا لمسافة عرض الكوثر.

ومجمل صفات الكوثر ـ كما وردت بها الأحاديث ـ أنه نهر في الجنة ماؤه أحلى من العسل وأشد بياضاً من الثلج ومن اللبن، ماؤه كثير مبارك، حافتاه خيام الدر المجوف، وفي رواية: حافتاه من ذهب يجري على الياقوت والدر المجوف، طينه من المسك الأذفر بل هو أطيب ريحاً منه، أرضه ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ يجري عليه الماء، عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب. آنيته عدد نجوم السماء لا يشرب منه أحد فيظماً، أو يتوضاً منه أحد فيشعث، وفيه طير خلقها الله كأن أعناقها أعناق الإبل لنعومتها وسمنها، جعله الله في أعلى الجنة وأرفعها موضعاً.

هذه أهم الصفات الثابتة له والله أعلم.

هذا، وفي ختام بحث الحوض والكوثر أتوجه إلى الله العلي القدير أن يثيبني، على ما بذلته من جهد في إعداد هذا البحث، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يغفر لي ولكل مسلم ما جانب الصواب من القول، كما أسأله تعالى أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه بجنه وفضله.

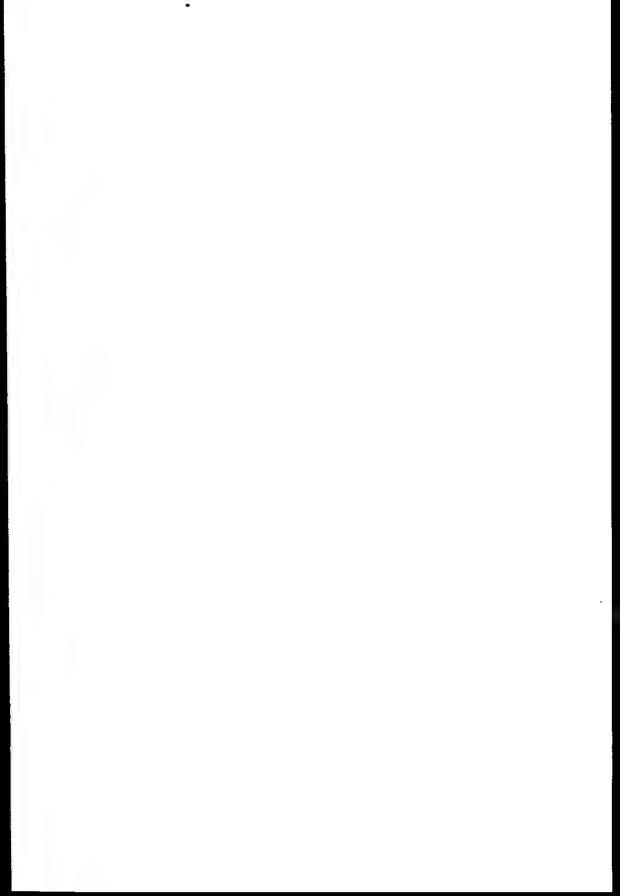
ثم أود التنبيه إلى أنني أخرت مبحث الحوض والكوثر في الترتيب إلى آخر الرسالة؛ لتسلسل الأعمال الأخرى التي تقع في يوم القيامة من الحشر والوقوف وما بعدهما من أعمال.

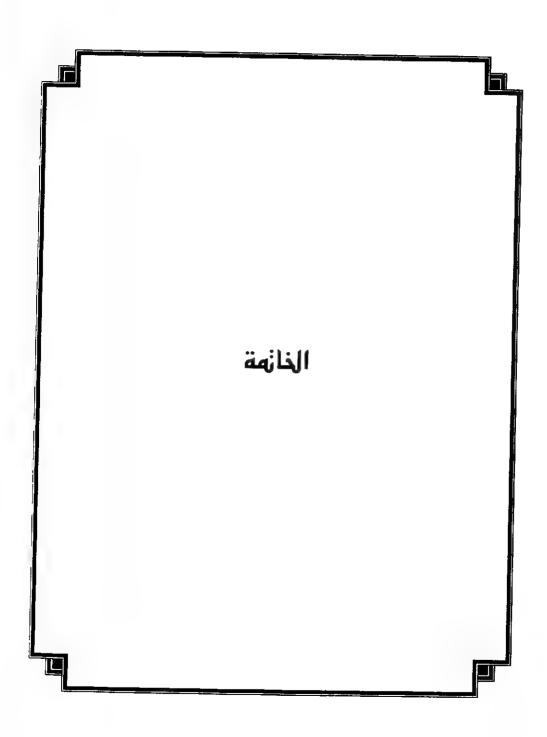
كذلك فإن تأخير بحث الحوض إلى آخر الرسالة ليس أمراً غريباً؛ فقد رأينا فيما سبق من قرر من العلماء أن الحوض يكون بعد الصراط والميزان، ثم إضافة إلى ذلك فإنني أخرته رغبة في أن يكون ختامها بالحوض والكوثر

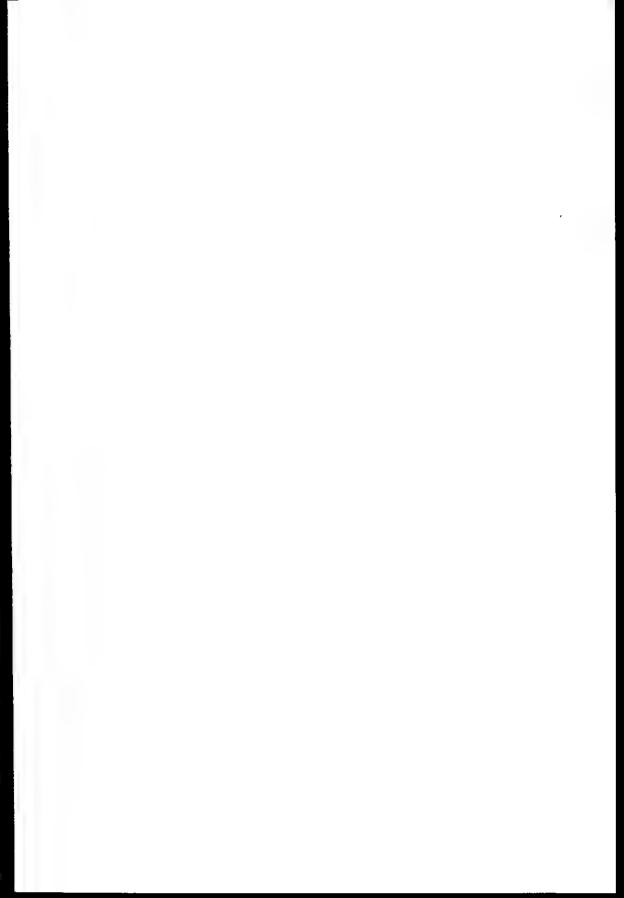
تفاؤلاً لي ولكل قارئ وسامع أن يسقينا الله تعالى بمنه وكرمه منه إنه سميع مجيب.

وسلام على المرسلين، والحمد الله رب العالمين، الذي تتم بنعمت الصالحات.

海 谷 谷







الخازمة

وبعد الانتهاء ـ بعون الله تعالى وتوفيقه ـ من دراسة تلك الفترة الزمنية من أمور اليوم الآخر، الواقعة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار، تبين لي من تلك الدراسة أمور، أوجز أهمها فيما يأتي:

- ا أن أمر اليوم الآخر والتصديق به من الأمور التي لا يدخل الشخص في الإيمان حتى يؤمن بها على وفق ما أخبر الله عز وجل ورسوله على عنها، وأن الإيمان بذلك مما يحتاج إلى يقين قوي؛ إذ إن أكثر ما يضعف من عقيدة الشخص هو الجانب الأخروي وما يقع فيه من أحداث.
- ٢ أن القرآن الكريم والسنة النبوية قد أوليا اليوم الآخر البيان والإيضاح التام
 الكافي في أكثر من آية في القرآن الكريم، وأكثر من حديث في السنة
 النبوية المطهرة.
- ٣ أن الإيمان بالغيب أمر من العقيدة بالمكان الأعلى ؛ إذ يتوقف إيمان الشخص على الإيمان بالغيب.
- وقد مدح الله تعالى ورسوله على من اتصف بتلك الصفة وهي الإيمان بالغيب في نصوص كثيرة، ومن ذلك الإيمان الجازم بوقوع أخبار اليوم الآخر، وهي الحياة الأخرى الخالدة، حيث يحيا صاحبها أبداً إما في نعيم وإما في جحيم.
- ٤ تبين كذلك أن الله تعالى قد ذكر في القرآن الكريم عدة أسماء ليوم القيامة،

ويعود سبب ذلك إلى شدة الاهتمام والعناية بها.

- ٥ أن البعث أمر واقع، وليس بمستحيل إعادة الخلق كما كانوا للحساب والجزاء، حفاة عراة غرلاً كما كانوا في الدنيا وليس لمن أنكره أي مستند لا من العقل ولا من النقل، وليس له ما يدفع به تلك النصوص المتكاثرة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه على، وقد رأينا من عرض أدلة البعث واليوم الآخر جوانب من عناية القرآن الكريم والسنة المطهرة بذكره، حيث جاء إثباته بطرق ومسالك عديدة تدل على صفة البعث وكيفيته وأنه بالروح والجسد معاً.
- ٦ ـ النفخ في الصور نفخة البعث ثبتت بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، وظهر
 كذلك أن العلماء لم يتفقوا على عدد النفخات كما رأينا فيما سبق ذكره.
- ٧ ـ تبين أن الناس يحشرون على صور شتى وهيئات مختلفة تبعًا لما كانوا عليه
 من الأعمال الطيبة أو الخبيئة في الدنيا .
- ٨ ـ تبين أن الخلق يحشرون حفاة عراة غرالاً مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ كُمَا بَدَأْنَا اللهِ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ
- ٩ بعث الموتى في أكفائهم مسألة وقع فيها الخلاف، والذي يترجع من ذلك حسبما تفيده النصوص أن الناس في حالة حشرهم يكونون حفاة عراة غرلا، وأن ما ورد من نصوص تفييد حشرهم في ثيابهم فإن المراد بها الأعمال. والله أعلم.

- ١٠ تبين أن جميع الخلق يحشرون بما فيهم إضافة إلى الجن والإنس جميع المخلوقات الأخرى، وأن من قال بعدم حشر الحيوانات فقد أخطأ خطأ فاحشاً.
- ١١ ما ورد من أن الكفار يسمعون ويتكلمون ويبصرون، وما ورد كذلك من عدم كلامهم وعدم وجود سمعهم وبصرهم إنما هو بالنسبة للمواقف التي يرون بها في يوم القيامة.
- ١٢ تبين أن مراتب الأعمال التي تقع في الموقف كاملة مما لم يثبت بها نص صحيح - حسب معرفتي - .
- 1۳ ـ الناس في الموقف يكونون على هيئات مختلفة وأحوال متباينة على ما لا يتصور من الهم والكرب، كما وردت بذلك النصوص من كتاب الله عز وجل ومن سنة نبيه على ، وتبين أن ما ورد من خلاف العلماء في طول مدة الموقف وقصرها إنما هو بالنسبة للأشخاص حسب أعمالهم.
- ١٤ الأرض التي يقف عليها الخلق مما وقع فيه الخلاف بين العلماء في صفتها وكيفيتها، والذي يترجح من ذلك هو القول بأنها أرض مستوية تطهر لنزول الله تعالى لفصل القضاء، وأما حقيقتها وم تكون فعلم ذلك إلى الله تعالى.
- 10 . تبين لي كذلك أن الشفاعات تنقسم إلى شفاعات ثابتة وشفاعات منفية ، وأن من الشفاعات ما هو خاص بالرسول محمد على ، ومنها ما هو مشترك بينه وبين بقية المخلوقات ، وتبين كذلك أن هناك شفاعات ثابتة جاء بها النص ، وشفاعات غير ثابتة بنص صحيح .

١٦ ـ وتبين كذلك أن بعض الأعمال بما يثبت به الشفاعة، وبعضها لم يثبت به نص صحيح.

وأن فيه أموراً تمنع الشفاعة وأموراً لم يصح ما قيل من نفي الشفاعة بسببها.

 ١٧ ـ تبين أن من الشفعاء الذين أكرمهم الله بقبول شفاعتهم الأنبياء والملائكة والشهداء والولدان، وشفاعة المؤمنين بعضهم في بعض، وشفاعة القرآن الكريم.

وفي مقابل أولئك فإن هناك شفعاء لم يثبت بهم نص صحيح.

- ١٨ ـ تبين أن الله تعالى ينزل نزو لا يليق به جل وعلا للفصل بين الخلق في يوم القيامة ، وهذا هو ما تؤيده الأدلة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه ﷺ وأقوال علماء السلف، وأن من أوله إلى أي معنى من معاني التأويل كمجيء أمره أو غير ذلك فإن قوله باطل.
- 19 تبين أن رؤية الله تعالى في عرصات القيامة أمر ممكن عقلاً، وهو ما قررته النصوص الكثيرة من كتاب الله ومن سنة نبيه ﷺ؛ وأن من قال باستحالة رؤيته تعالى فإنه ضال عن الهدى غير متبع للحق. وأن ما ظهر من الحلاف في رؤية غير المؤمنين لربهم مما وقع فيه النزاع بين العلماء، وهي من المسائل التي سكت عنها الصدر الأول من السلف وخاض فيها من جاء بعدهم، وكذلك مسألة رؤية الله تعالى في جهة.
- ٢٠ تبين كذلك أن كلام الله تعالى صفة حقيقية له جل وعلا، وأن الله يكلم
 خلقه في يوم القيامة، كما ثبت ذلك بالقرآن الكريم والسنة المطهرة وأقوال

علماء السلف، ومن أنكر هذا فقوله باطل، وأن ما ورد من عدم كلام الله تعالى لبعض خلقه في يوم القيامة فإنما هو من باب العقوبة لهم، أو أنه لا يكلمهم بكلام الرضى والسرور، بل بكلام التقرير والتوبيخ.

وأما بأي لغة يتكلم الله يوم القيامة فهذا مما لم يرد بيانه بنص صحيح وعلمه إلى الله تعالى.

٢١ ـ تبين أن العرض على الله جل وعلا في موقف فصل القضاء أمر ثابت كما نص عليه كتاب الله تعالى وسنة نبيه على ، وأن إثبات ذلك على ضوء تلك النصوص هو القول الحق دون الالتفات إلى أقوال المؤولين وتحريفاتهم .

٢٢ ـ ظهر كذلك أن إيتاء الصحف أو كتاب الأعمال من الأمور الثابتة في يوم القيامة، لورودها في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه عَلَيْهُ وأقوال علماء الإسلام، ولا عبرة بقول من أنكرها.

وأن كل إنسان لابد وأن يقرأ كتابه بعد أن يأخذه بيمينه أو بشماله، سواء كان قارئًا أم لم يكن قارئًا، وأن لله تعالى حكمة في ذلك.

٢٣ ـ ومن الأمور الأخرى التي تقع في الموقف: الحساب؛ فقد ثبت وقوعه بالكتاب والسنة، وأن الله تعالى هو المتولي حساب خلقه حسبما تقتضيه مشيئة الله تعالى، وأن الحساب له كيفيات مختلفة، وأن من الناس من يستثنى من الحساب فلا يشمله.

وأن ما جاء في أول من يحاسب وفي أول ما يُسأل عنه العبد من المسائل التي وقع فيها الخلاف بين العلماء.

وقد ثبت أن الله تعالى يقرر عباده ويسائلهم عن كل ما صدر منهم، ويقيم

عليهم الشهود العدول من أنفسهم ومن غيرهم بالعدل الكامل في القصاص بينهم. وأن الجزاء من جنس العمل جزاءً وفاقًا.

وأن العمل نفسه لا يحكن أن يستحق به صاحبه الجنة إذا لم تنداركه رحمة الله تعالى.

٢٤ - أن الميزان العظيم الذي يزن الله به أعمال خلقه هو ميزان حقيقي له لسان
 وكفتان، وقد ثبت ذكر الميزان في القرآن الكريم وفي السنة النبوية وإجماع
 الأمة بما لا يدع مجالاً للشك فيه.

وأن المنكرين له أو لصفاته لا دليل لهم، لا من العقل ولا من النقل، وقولهم مردود عليهم، وأن الذي يوزن في الميزان هو العامل والعمل وصحف الأعمال لحكمة يعلمها الله جل وعلا، ينصبه الله جل وعلا ثم يزن أعمال الخلق في كيفية لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى.

وقد جاء كذلك إطلاقه بلفظ الإفراد وبلفظ الجمع، ولذا كان محل خلاف بين العلماء: هل هو ميزان واحد أم موازين متعددة؟

٢٥ ـ الصراط الذي أعده الله لعبور الخلق مما ثبت ذكره بلفظه الصريح في السنة النبوية، وفي القرآن الكريم عند بعض العلماء، وعدم ذكره صراحة في القرآن الكريم عند البعض الآخر، الذين قالوا إن ما ورد من ذلك في القرآن فهو احتمال وليس بصريح، كما بينا ذلك.

وأن وصف الصراط بأنه أحد من السيف وأدق من الشعرة هو الوصف الحق الذي ثبت له، وأن من تأول ذلك أو أنكر الصراط فإنه لا حجة له، وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يجتازه الخلق، وهي من المسائل التي لا

مجال للعقل في الخوض فيها، وما قاله العلماء في ذلك فإنما هو مجرد استنباط دون الاستناد إلى نص ثابت.

وظهر كذلك أن مسافة الصراط أمر لا يعلمه إلا الله وأن الأقسوال التي قيلت في تحديده تفتقر إلى نص يثبتها.

أما بالنسبة لمرور الخلق عليه جميعهم أو بعضهم فإنها مسألة خلافية ، فقد ذهب بعض العلماء إلى القول بأن كل الخلق يمرون عليه ، ومنهم من يقول بعدم مرور بعض الخلق إما إكرامًا لهم أو إهانة لهم ، والظواهر من النصوص تدل على أن الكل يمر عليه ، فينجو أولياء الله ويسقط فيه الكفار ، إلا من يلتقطهم عنق النار كما بينا ذلك .

وأما بالنسبة لأول من يجوز الصراط فقد تبين أنه الرسول محمد تلك وأمته، وأن شعار المؤمنين على الصراط: اللهم سلم سلم.

أما بالنسبة لخلق الصراط ووجوده الآن أو عدم وجوده وكذا القول ببقائه إلى خروج عصاة الموحدين أو عدم بقائه فالله تعالى أعلم بحقيقة ذلك، فقد يكون موجودًا الآن، وقد يوجد في يوم القيامة، وقد يبقى إلى خروج عصاة الموحدين فيعبرون عليه وقد لا يبقى.

٢٦ ـ وظهر لي كذلك أن المؤمنين الذين قد كتبت لهم السعادة يقفون بعد اجتيازهم الصراط على قنطرة دون الجنة ليقتصوا مظالم كانت بينهم، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، وهي ثابتة.

وقد وقع الخلاف في موضعها: هل هي جزء من الصراط وتتمة له، أم هي صراط آخر غير الصراط العظيم المنصوب على متن جهنم؟ وأن

الصحيح أنها قنطرة واحدة وليست قناطر متعددة.

٢٧ - وتبين أن الورود الذي ذكره الله بقوله: ﴿ وَإِن مَنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ مما وقع الخلاف في معناه بين العلماء، وأن الراجح من ذلك هو القول بأن الجميع يردها ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم، كما أفادته النصوص الثابتة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه عَلى .

۲۸ ـ تبین أن فئة من الناس یسمون: أصحاب الأعراف، قد تضاربت أقوال العلماء فیهم، وتباینت آراؤهم فیهم، یقفون على الصراط إما إكرامًا لهم و إما إهانة لهم، ثم یكون مصیرهم بعد ذلك إلى الجنة.

٢٩ - تبين أن الحوض المورود الذي وعد الله به نبيه محمداً علله قد ثبت بالسنة المطهرة بلفظه الصريح، وفي القرآن الكريم عند من يسمي الحوض كوثرا، ثم يستدل لإثباته بسورة الكوثر، وأن من أنكره ليس له دليل لا من العقل ولا من النقل، وإنما هو مجرد الاستبعاد فقط.

واتضح أن مسافة الحوض قد وردت بروايات كثيرة مختلفة ، ولبس فيها تعارض ولا اضطراب كما رأينا في الجمع بينها ، وأن الناس يردون عليه حين خروجهم من قبورهم يشربون منه وهم في الموقف على الصحيح من أقوال العلماء ، وقد ميزه الله بجزايا عديدة ولله تعالى القدرة والحكمة على ما يشاء .

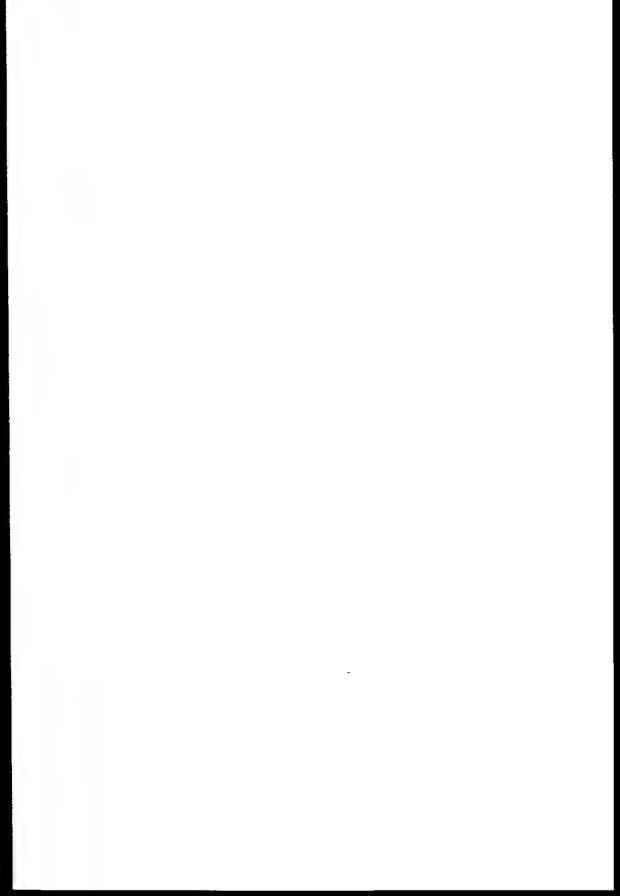
٣٠ الكوثر الذي ذكره الله تعالى هو نهر في الجنة، كما أفادته النصوص الصريحة في ذلك، وأن بعض العلماء قد أطلق تسمية الكوثر على الحوض، والحوض على الكوثر بسبب الاتصال الذي بينهما كما بينا

ذلك، وتبين أن الكوثر مما اختص الله به نبيه محمدًا على نشريفًا له دون غيره من الأنبياء كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثْرَ ﴾.

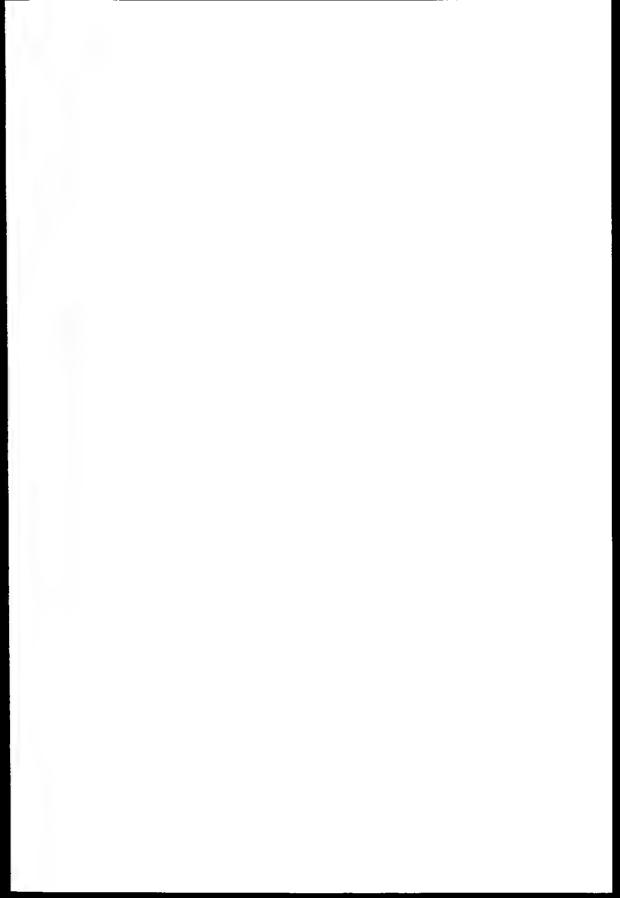
تلك أهم النتائج التي ظهرت لي في هذا الموضع، أسأل الله العلي العظيم أن يتقبل مني ويثيبني فيما أصبت الحق فيه، وأن يغفر ويتجاوز عما أخطأت فيه، وأن ينفع بهذه الدراسة إنه سميع مجيب.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

* * *







قائمة بأسماء المراجع

_القرآن الكريم .

(1)

- كتاب ذكر أخبار أصفهان، تأليف الإمام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل سنة ١٩٣١م.
- كتاب الأسماء والصفات، تأليف الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ابن عبد الله بن موسى البيهقي النيسابوري، المولود في شعبان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، المتوفى يوم عشرة جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ١٩٨٤ م.
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى ٤٥٨ هـ. تعليق كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م.
- كتاب الإيمان لابن منده، الحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده ٣١٠ه. ٣٩٥ه ، تحقيق الدكتور / علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

- أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم، تأليف الإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسسين بن منصور الطبري اللالكائي ٤١٨ هد.
- تحقيق الدكتور/ أحمد سعد حمدان، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.
- الإبانة عن أصول الديانة، للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى سنة بضع وعشرين وثلاثمائة، الناشر: المكتبة السلفية لصاحبها عبد المحسن الكتبي بالمدينة المنورة.
- آراء الخوارج، تأليف د/ عمار الطالبي، الناشر: المكتب المصري الحديث بالإسكندرية.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية المتوفى عام ٧٥١ه، بتعليق طه عبد الرؤوف سعد / دار الجيل، (بيروت) ١٩٧٣م.
- أساس البلاغة، تأليف الإمام جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى ٥٣٨ هـ، بتحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م.
- الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية، للشيخ العلامة محمد المدني بتصحيح الشيخ محمود أمين النواوي.

الطبعة الثانية ١٩٧٠ هـ، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، حسين محمد إمبابي بميدان الأزهر.

- الاستعداد ليوم المعاد للإمام أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، مكتبة المعارف، (بيروت) الطبعة الثالثة آذار ـ مارس ١٩٧٩م.
- حتاب الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة، لجلال الدين عبد الرحمن بن
 أبي بكر السيوطي، مطبعة دار التأليف بالقاهرة سنة ١٣٧١ هـ.
- _ الله والإنسان، تأليف عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٣٩٥هـ -١٩٧٥ م.
- أوضح التفاسير لابن الخطيب محمد محمد عبد اللطيف، الطبعة الثامنة، المطبعة المصرية ومكتبتها.
- كتاب أصول الدين، تأليف الإمام أبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي التميمي البغدادي، المتوفى سنة ٤٢٩ هـ. الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ ١٤٨٨ م. دار الكتب العلمية.
- آكام المرجان في أحكام الجان، تأليف الشيخ بدر الدين أبي عبد الله عمر بن عبد الله عمر بن عبد الله الشبلي الحنفي المتوفى سنة ٧٦٩ هـ، دار المعرفة.
- الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، تأليف الشيخ عبد العزيز المحمد السلمان، الطبعة الخامسة ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الأصفهاني وشركاه بجدة ١٣٧٨ هـ -١٩٥٩ م.
- إبانة المناهج في نصيحة الخوارج، تأليف القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام، مخطوط بدار الكتب المصرية.

(پ)

- البدور السافرة في أمور الآخرة، للسيوطي، مخطوط في فلم رقم ٥٨٠ بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية.
- البهائية تأريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية والصهيونية، تأليف عبد الرحمن الوكيل، الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ ١٩٦٢ م، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة، مصر.
- البيان في تفسير القرآن، للسيد أبو القاسم الموسوي الخوني، الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٦م.
- البدع والنهي عنها، تأليف محمد بن وضاح القرطبي المتوفى سنة ٢٨٦ هـ. أو ٢٨٧، والمولود عام ١٩٩ هـ، وقيل: ٢٠٠ هـ، بتحقيق محمد أحمد دهمان، دار البصائر، دمشق ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م الطبعة الثانية.
- البيهقي وموقف من الإلهيات، تأليف الدكتور/ أحمد بن عطية علي الغامدي، الطبعة الثانية ٢٠٤٢ هـ ١٩٨٢ م، مطابع الجامعة الإسلامية.
- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أو نقض تأسيس الجهمية، لشيخ الإسلام ابن تيمية بتعليق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى بمطبعة الحكومة السعودية بمكة المكرمة سنة ١٣٩٢ هـ.

(ج)

- جامع الأصول في أحاديث الرسول، تأليف الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ٥٤٤ - ٢٠٦ هـ بتحقيق

- عبد القادر الأرناؤوط، نشر وتوزيع مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، طبعة سنة ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م.
- الجامع الفريد يحتوي على كتب ورسائل لأئمة الدعوة الإسلامية ، الطبعة الثانية .
- جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي، تأليف خالد العلي، منشورات المكتبة الأهلية لصاحبها السيد شمس الدين الحيدري، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٥ م.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ ١٩٦٦ م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ، ١٩٦٨ م، شركة مكتبة ومطبعة: مصطفى البابى، خلفاء بالقاهرة.
- كتاب الجرح والتعديل، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، المتوفى ٣٢٧ هـ، الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن، الهند.
- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، للإمام المحدث أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي المتوفى ٤٦٣ هـ، دار الفكر.

(=)

- ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ١٤٠٦ هـ ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م دار الفكر، بيروت.
- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، لصاحب الفضيلة الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي.

(g)

- الوسيلة في شرح الفضيلة في علم أصول الدين، تأليف العلامة السيد عبد الرحيم الكريم محمد المدرس، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م. مطبعة الإرشاد - بغداد.

(i)

- الزواجر عن اقتراف الكبائر، تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر المكي الهيتمي ٩٠٩ ٩٧٤ هـ، شركة مكتبة ومطبعة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر محمد محمود الحلبي وشركاه، خلفاء بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م.
 - زاد المسير في علم التفسير.

(ح)

- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، للعلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن خريز الزرعي ثم الدمشقي شمس الدين أبي عبد الله بن قسيم الجوزية، المولود سنة ٦٩١ هـ، المتوفى سنة ٧٥١ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، للإمام أبي القاسم إسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني المتوفى سنة: ٥٣٥ هـ، تحقيق د/ محمد ربيع.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ. المكتبة السلفية.

(بي)

- اليوم الآخر، لعبد القادر الحاج مطلق الرحباوي، الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ
 ١٩٧٨، نشر وتوزيع دار الكتاب الإسلامي، حلب، باب الحديد.
- ـ اليوم الآخر في ظلال القرآن، جمع أحمد فائز، الطبعة الثالثة ١٤٠ هـ ـ ١ اليوم الآخر في ظلال القرآن، جمع أحمد فائز، الطبعة الثالثة ١٤٠ هـ ـ ١٩٨٠ م.

(ڪ)

- الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة من اللغة الفرنسية، للدكتور/ يوسف حنا نصر الله، الطبعة الثانية، بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

(J)

- ـ لمعة الاعتقاد، تأليف الإمام الموفق ابن قدامة المقدسي، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٣٩٥ هـ، بيروت.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية بشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، تأليف العلامة الشيخ محمد بن أحمد السفاريني الأثري الخنبلي.
- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هـ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
- اللآلئ البهية في شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف أحمد بن عبد الله المرداوي الحنبلي، الطبعة الأولى، مؤسسة النور للطباعة والتجليد، الرياض.

(a)

- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، تصنيف الإمام أبي العباس نقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي الحنبلي الشهير بابن تيمية، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
- كتاب الموضوعات، للعلامة أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي القرشي ٥١٠-٥٩٧، بتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م.

- مفيد الأنام ونور الظلام في تحرير الأحكام لحج بيت الله الحرام، تأليف الشيخ/ عبد الله بن جابر النجدي التميمي الوهيبي الأشيقري ثم المكي السلفي، الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م، مكتبة النهضة المصرية لأصحابها حسن محمد وأولاده، ٩ شارع عدلي باشا بالقاهرة.
- موارد الظمأن إلى زوائد ابن حبان للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي دار الكتب العلمية .
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تأليف الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، المتوفى عام ٣٣٠ هـ بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م. مكتبة النهضة المصرية.
- الملل والنحل، تأليف أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ٤٧٩ ـ ٥٤٨ هـ، بتحقيق محمد سيد الكيلاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيشمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ، الناشر: مكتبة القدسي بالقاهرة، سنة ١٣٥٧هـ.
- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تأليف الشيخ حافظ ابن أحمد الحكمي رحمه الله -، ١٣٤٧ هـ ١٣٧٧ هـ، من مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، بالمملكة العربية السعودية.
- المواقف، تأليف عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي القاضي،

المتوفى سنة ٧٥٦ هـ.

- مختار الصحاح، تأليف الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، بترتيب السيد محمود خاطر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة.
- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (۱) ، للعلامة الإمام يحيى بن شرف ابن مري حسن بن حسين بن حزام النووي الشافعي، طبعة الشعب، القاهرة.
- مناهج الأدلة في عقائد الملة، لابن رشد المولود في أوائل القرن السادس الهجري، الطبعة الثانية، تحقيق الدكتور/ محمود قاسم عميد كلية دار العلوم، نشر مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٤ م.
- معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى ٥٩٦٩ هـ ١٩٦٩ م، ٩٩٩هـ ، بتحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عشمان الذهبي، المتوفى ٧٤٨ هـ، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ ١٩٦٣ م.
- المستدرك على الصحيحين في الحديث، للحافظ الكبير أبي عبد الله محمد ابن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري، المتوفى في صفر ٤٠٥ ه. طبعة

⁽١) هذا هو الاسم الذي اختباره النووي لشرحه على صحيح مسلم. انظر: جـ١ ص: ج من المقدمة.

- دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.
- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، تأليف الحافظ جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هـ، الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م مطابع الرشيد بالمدينة المنورة.
- المعجم الصغير للطبراني للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ. ١٩٨٣ م.
- المعجم الكبير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ٢٦ هـ ٣٦٠ هـ، مطبعة الوطن العربي، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م.
- كتاب المستصفى من علم الأصول، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق، مصر، سنة ١٣٢٢هـ.
- _ معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، تأليف محمد إسماعيل إبراهيم، طبعة دار الفكر العربي، القاهرة.
- كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس، منشورات الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م.
- مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، تأليف عبد العزيز المحمد السلمان، الطبعة العاشرة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.
- _ منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشيخ محمد الأمين الشنقيطي من محاضرات ١٣٨٥ هـ.

- مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني المتوفى ٥١٨ هـ، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للإمام أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ، بتعليق عبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ. ١٩٧٩م.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، للحافظ ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني ٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ، بتحقيق المحدث حبيب الرحمن الأعظمي.
- المنار المنيف في الصحيح والضعيف للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر الحنبلي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية ٦٩١ ـ ٢٥١ هـ، بتحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الناشر مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، سوريا، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سبن الأقوال والأفعال، للعلامة علي بن حسام الدين الشهير بالمتقي، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بيروت.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي لطائفة من المستشرقين، مطبعة بريل في مدينة ليدن، سنة ١٩٤٣م.
- مقدمات وأبحاث تمهيدية في العقيدة الإسلامية، تأليف الشيخ/ محمد غر الخطيب رئيس قسم علم الكلام والفلسفة بكلية الشريعة بجامعة بغداد، دار

- العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تصوير الطبعة الأولى 1٣٩٨ هـ. جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد.
- المغرب في ترتيب المعرب، تأليف الإمام اللغوي أبي الفتح ناصر الدين المطرزي ٥٣٨ ٦١٠ ه. بتحقيق محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، الناشر: مكتبة أسامة بن زيد، حلب، سوريا، الطبعة الأولى ١٣٩٩ ه. ١٩٧٩ م.
- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت.
- المعجم المفهرس الألفاظ القرآن الكريم، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، مطابع الشعب.

(ن)

- كتاب النهاية، أو الفتن والملاحم، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير ٧٠١ ٧٧٤ هـ، بتحقيق الدكتور/ طه محمد الزيني، الطبعة الأولى، طبعة دار النصر للطباعة أحمد حمدى أحمد شعبان.
- نير البرهان في توطيد عقائد الإيمان، تأليف/ محمد على الشرفي أستاذ بدار

العلوم بصنعاء، الطبعة الأولى.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك ابن محمد الجنري ابن الأثير ٢٠٦-٥٤٥ هـ، بتحقيق طاهر أحمد الزواوي، ومحمود بن محمد الطناحي، الناشر: المكتبة الإسلامية، لصاحبها الحاج/ رياض الشيخ.
 - ـ نعيم الجنة في القرآن والسنة، تأليف عبد اللطيف عاشور.
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤ م، بيروت.
- القصيدة النونية، للعلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم التي سماها: الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، دار المعرفة، بيروت.

(**w**)

- سبن الترمذي (الجامع الصحيح)، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة وسرح الأستاذ أحمد شاكر، الأجزاء: الأول إلى الرابع، الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ ١٩٣٧ م. والجزء الخامس بتحقيق الأستاذ إبراهيم عطوة عوض، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م.
- سنن أبي داود ٢٠٢ ٢٧٥ هـ، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني، بتعليق أحمد سعد علي، الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م. نشر: شركة مطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي،

مصر .

- سنن ابن ماجه، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ٢٠٧ هـ ٥٢٧٥ ه. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١٣٧٧ ه. أ ١٩٥٢ م، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- سنن النسائي للحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي ولد 1٤ أو ١٥ وماثتين هجرية، وتوفي سنة ٣٠٣ هـ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، مطبعة الشركة العامة، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٣٠ م.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة. المكتب الإسلامي، دمشق ١٣٩٨ هـ.
- ـ سنن الدارقطني، للإمام علي بن عمر الدارقطني. عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٢ م.
- السيرة النبوية لابن هشام، الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ م. مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

(**E**)

- عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية، ضبط وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان. الناشر: محمد عبد المحسن الكتبي بالمدينة المنورة، الطبعة

الثانية ١٣٨٩ هـ . ١٩٦٩ م.

- عقائد السلف، للأئمة: أحمد بن حنبل، والبخاري، وابن قتيبة، وعثمان الدارمي دكتور/ علي سامي النشار، عمار جمعي الطالبي. منشأة المعارف بالإسكندرية، جلال حربي وشركاه ١٩٧١ م.
- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي التيمي القرشي ١٥٥ هـ ٥٩٧ هـ . الناشر: إدارة العلوم الأثرية ، فيصل آباد ، دار نشر الكتب الإسلامية ، لاهور .
 - عقيدة البعث الآخر، رسالة ماجستير، للشيخ/ سويلم بن عقاب التوم.
- العقائد الإسلامية، تأليف السيد سابق. الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت.
- عالم الجن والشياطين، للدكتور/ عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.

(**ف**)

- الفصل في الملل والأهواء والنحل، تصنيف الإمام أبي محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري، المتوفي سنة ٤٥٦ هـ.
 - الفوائد للإمام ابن قيم الجوزية. مطبعة الإمام بالمنشية بالقلعة بمصر.
- الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير للسيوطي. مطبعة دار الكتب العربية الكبرى.

- _ في ظلال القرآن، الطبعة الشرعية التاسعة ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م، دار الشروق، بيروت.
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٢-٧٧٣ هـ. مكتبة الرياض الحديثة البطحاء، الرياض.
- الفتوى الحموية الكبرى، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدارية من علم التفسير ، تأليف : محمد ابن علي بن محمد الشوكاني ، المتوفى سنة ١٢٥ هـ . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة .
- الفرق بين الفرق، تأليف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي المتوفى عام ٤٢٩ هـ ١٠٣٧ م، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. الناشر: دار المعرفة، بيروت.
- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ومعه كتاب بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، ط الأولى سنة ١٣٥٢ هـ.
- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، تأليف: سليمان ابن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل ، المتوفى سنة ١٢٠٤ هـ. مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر .
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، للعلامة محمد بن علي

الشوكاني-المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، بتحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي.

- الفروق في اللغة، تأليف: العلامة أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله ابن سهل العسكري أبو هلال). منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م.

(ص)

- صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول. دار الفكر.
- صحيح مسلم بن الحجاج: للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، طبعة دار الشعب.
- الصارم المنكي في الردعلى السبكي، تأليف: العلامة أبي عبد الله محمد بن حمد بن عبد الله الحياية الخيرية ؛ لللكها ومديرها: السيد عمر حسين خشاب بالقاهرة.
- _ الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: إسماعيل حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م.
- الصلة بين التصوف والتشيع، تأليف: الدكتور كامل مصطفى الشيبي، الطبعة الثانية. دار المعارف بحصر.
- _ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تأليف الإمام المحقق

محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، المتوفى ليلة الخميس ثالث عشر رجب سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، وقد كانت ولادته في سنة إحدى وتسعين وستمائة هجرية.

(ق)

- القرى لقاصد أم القرى، تأليف الحافظ أبي العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر محب الدين الطبري ثم المكي، المولود سنة ٦١٥ هـ، والمتوفى سنة ٦٩٤ هـ. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر محمد محمود الحلبي وشركاه ـ خلفاء ـ، الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م.
- القول السديد في علم التوحيد، تأليف: الأستاذ محمود أبو دقيقة سنة ١٣٥٤ هـ ١٣٩٦م. مطبعة ومجلة الإرشاد لصاحبها أمين الجزيري.
- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، تأليف: شيخ الإسلام تقي الدين أحمد ابن تيمية سنة ١٣٨٨ هـ. شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة.
- القاموس المحيط، تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، الطبعة الثانية، ١٣٧١ هـ ١٩٥٢م، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.
- القائد إلى تصحيح العقائد، تأليف العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، بتعليق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية 1207 هـ 19۸۲ م، المكتب الإسلامي.

- قرة عيون الموحدين، حاشية الشيخ عبد الرحمن بن حسن على كتاب التوحيد بتصحيح الشيخ إسماعيل الأنصاري، ١٣٩٤ هـ.
- القصيدة النونية، تأليف أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

(L)

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
- الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل ١٦٤ ـ ١٤١هـ، الطبعة الثانية بالقاهرة سنة ١٣٩٩ هـ، المطبعة السلفية ومكتبتها بالروضة، القاهرة، نشرها قصى محب الدين الخطيب.
- كتاب الرد على الجهمية، تأليف الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، بتحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م.
- رسالة في الرد على الرافضة، تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بتحقيق د. ناصر بن سعد الرشيد من مطبوعات مركز البحث العلمي بمكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ.

(ش)

- شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد بتعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، الناشر مكتبة وهبة بعابدين بالقاهرة، الطبعة الأولى، ذو الحجة ١٣٨٤ هـ ١٩٦٥ م. مطبعة الاستقلال الكبرى شارع نجيب الريحاني بالقاهرة.
- شفاء السقام في زيارة خير الأنام، تأليف الشيخ علي بن عبد الكافي تقي الدين السبكي الشافعي ٦٨٣ ـ ٧٥٦ هـ، نشر لجنة التراث العربي، بيروت.
- كتاب الشريعة، للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، المتوفى سنة ستين وثلاثمائة، بتحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٩هـ ١٩٥٠م.
- شرح المواقف، للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، المتوفى سنة ٨١٦هـ، دار الطباعة العامرة.
- شرح الأبي لصحيح مسلم المسمى أكمل إكمال المعلم للإمام أبي عبد الله محمد بن خليفة الوشتاني الأبي المالكي، المتوفى سنة ٨٢٧ أو ٨٢٨ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تأليف العلامة محمد خليل هراس ، الطبعة الثالثة ، الناشر محمد عبد المحسن الكتبي ، من مطبوعات الجامعة الإسلامية .
- شرح حديث النزول، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية، منشورات المكتب الإسلامي، الطبعة السادسة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م.

- شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد، تأليف العلامة الشيخ محمد السفاريني الحنبلي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ، بيروت.
- شرح العقيدة الطحاوية للعلامة علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٣٩١ هـ.
- كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ، لأبي عبد الله عبيد الله بن بطه العكبري ، المتوفى سنة ٣٨٧ هـ ، تحقيق د/ رضا نعسان .
 - الشفاعة في الإسلام، رساله ماجستير، للشيخ/ عايش عياش الحبيشي.
- شرح جوهرة التوحيد للعلامة الشيخ إبراهيم اللقاني المسماة: تحفة المريد، تأليف العلامة الشيخ/ إبراهيم بن محمد البيجوري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.
- الشفاعة، تأليف أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، نشر وتوزيع دار الأرقم، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م، مطبعة المدني بالقاهرة.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، مطبعة مصطفى البابي عصر سنة ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م.

(ت)

- كتاب التمهيد للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني، المكتبة الشرفية، بيروت ١٩٥٧ م.

- _ تبويب آي القرآن الكريم، قام به الدكتور/ أحمد بن إبراهيم مهنا، طبعة دار الشعب.
- التنبيه والردعلى أهل الأهواء والبدع، للإمام أبي الحسين محمد بن أحمد ابن عبد الرحمن الملطي الشافعي، المتوفى سنة ٣٧٧ هـ، بتعليق محمد زاهد الكوثري، نشره مكتب نشر الثقافة الإسلامية ١٣٦٨ هـ ١٩٤٩ م.
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تأليف الإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، المتوفى سنة ٢٥٦ هـ بتعليق مصطفى محمد عمارة، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ.
- تاريخ الفرق المعاصرة ومذاهبها، تأليف الدسوقي الملاح وإبراهيم مسعود وعلي عبد المنعم عبد الحميد، الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م، مطابع دار الكتاب العربي بمصر.
- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام الحافظ القرطبي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي، المتوفى سنة 1٧١ هـ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.
- ـ تفصيل آيات القرآن الحكيم، وضعه بالفرنسية/ جول لابوم، الطبعة الثانية، نشر دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ومعه المستدرك لإدوارد مونتيه.
- تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، تأليف الإمام العلامة علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن، المتوفى سنة ٧٢٥هـ.

وبهامشه تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، تأليف الإمام الجليل أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان.

- كتاب تبسيط العقائد، تأليف حسن أيوب، الطبعة الثالثة ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨م، دار الاعتصام.
 - ـ تهافت الفلاسفة للإمام الغزالي، المتوفى سنة ٥٠٥ هـ.
- ـ تهافت الفلاسفة، للعلامة خوجه زاده، المتوفى سنة ٨٩٣ هـ. طبعة مصر سنة ١٣٢١ هـ.
- تهافت التهافت، لابن رشد المتوفى سنة ٥٩٥ هـ، بتحقيق الدكتور/ سليمان دنيا، الطبعة الثانية، دار المعارف بحصر.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف علامة القصيم الأستاذ الجليل الشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ١٣٧٥ هـ، المطبعة السلفية ومكتبتها.
- التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة ، تأليف عبد الرحمن الناصر السعدي .
 - تكملة شرح الصدور، تأليف محمد أمين بن محمد البرديسي (مخطوط).
- التفسير الواضح، تأليف الدكتور محمد محمود حجازي، الطبعة الخامسة سنة ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م، مطبعة الاستقلال الكيرى.
- كتاب تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للإمام أبي القاسم الحسين بن

محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، المتوفى في رأس الماثة الخامسة، طبع في بيروت ١٣١٩ هـ.

- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة أو مرذولة، تأليف أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، المتوفى سنة ٤٤٠ هـ ١٠٤٨ م، طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن، بالهند، سنة ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام اللغوي محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي، الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر سنة ٢٠١٦ هـ.
- كتاب التوحيد، تأليف الأستاذ محمود أبو دقيقة، دار الطباعة الحديثة ١٣٥٦ - ١٣٥٧ هـ ، ١٩٣٧ - ١٩٣٨ م.
- التفسير الكبير، للإمام الفخر الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين
 المولود سنة ٣ أو ٤ أو ٥ وأربعين وخمسمائة، والمتوفى سنة ٢٠٦ هـ. الطبعة
 الثالثة، دار إحياء التراث العربى، بيروت.
- تفسير القرآن العظيم للإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ، الناشر دار المعرفة، بيروت لبنان، ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م.
- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، تأليف الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المتوفى سنة ١٢٣٣ هـ، الطبعة الرابعة، المكتب الإسلامي، بيروت.
- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ، للحافظ أبي الفرج زين الدين

- عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي ٧٣٦ ـ ٧٩٥ هـ، مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م، دمشق.
- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، تأليف محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.
- تفسير النسفي للعلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ٢٨٢ ـ ٣٧٠ ه. ، بتحقيق عبد السلام هارون ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- تقريب التهذيب للعلامة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ٧٧٣ هـ ٢٥٨ هـ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر محمد سلطان النمنكاني صاحب المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠م، مطابع دار الكتاب العربي بمصر.
- تحفة المودود بأحكام المولود، تأليف الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ٦٩١ ـ ١٣٥٠ م. الناشر المكتبة القيمة بالقاهرة، مطبعة المدنى ٦٨ شارع العباسية.
- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة بتعليق محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨م.

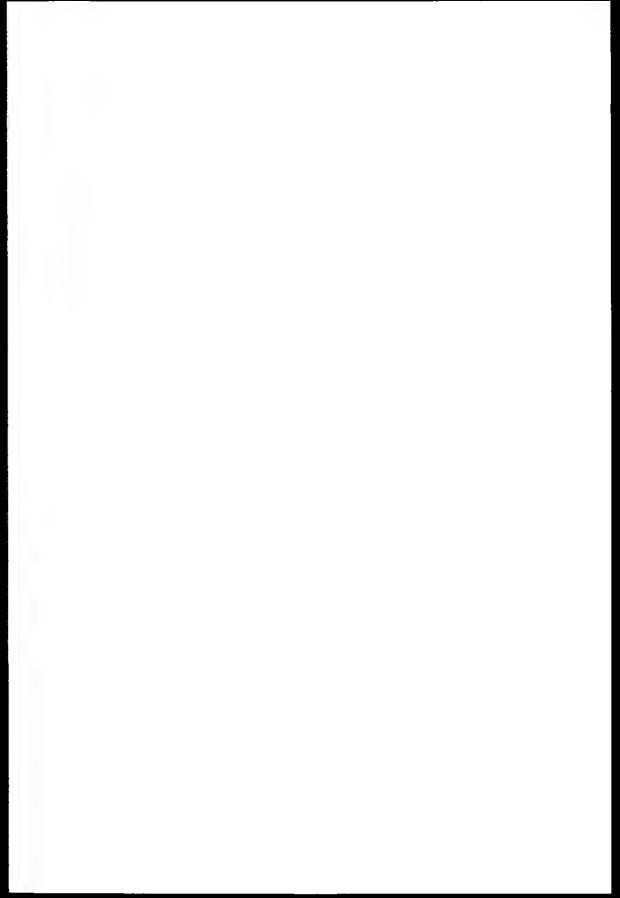
(خ)

- كتاب خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، ١٩٤ ٢٥٦ هـ، نشره أبو خالد عبد الوكيل، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة، ١٣٨٩ هـ ١٣٩٠هـ.
- الخوارج تأريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، رسالة ماجستير للباحث.

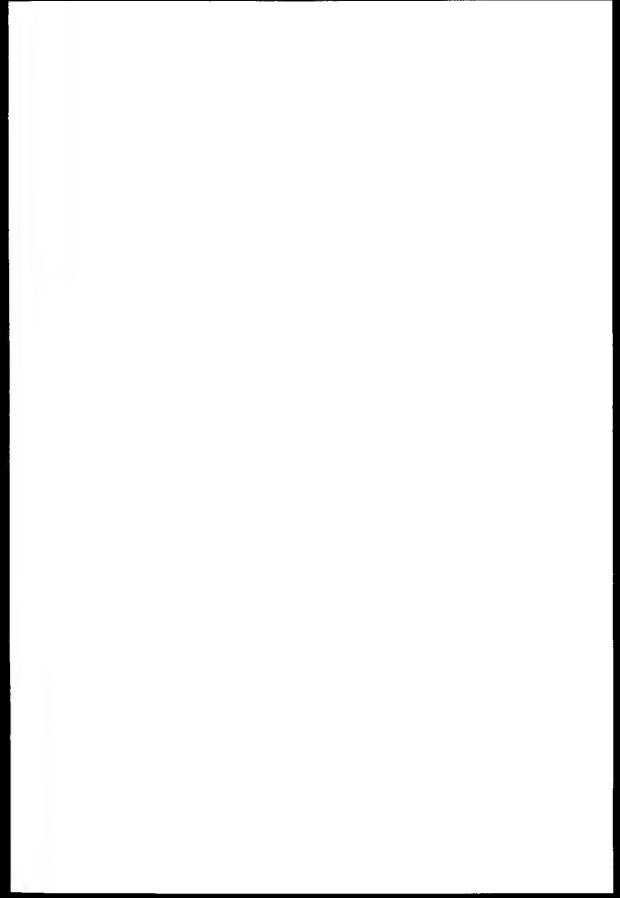
(غ)

- الغنية لطالبي طريق الحق في الأخلاق والتصوف والآداب الإسلامية، للشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني ٤٧٠ ـ ٥٦١ هـ، الطبعة الثالثة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
 - غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري.

* * *







الفهرس

| ٧ | المقدمة |
|----|---|
| 44 | الباب الأول: البعث والحشر ووقوف الخلق في الموقف |
| ۲۱ | الفصل الأول: الإيمان بالغيب |
| ٣٢ | مدخل |
| ٣٣ | معنى الغيب في اللغة |
| ٣٤ | معنى الغيب في الاصطلاح |
| ۲٦ | الإيمان بالغبب وأدلته |
| 43 | الفصل الثاني: أسماء يوم القيامة |
| ٥٧ | الفصل الثالث: التعريف بالبعث |
| ٥٩ | تعريف البعث في اللغة |
| 11 | المراد بالبعث في الشرع |
| ٦٢ | ألفاظ ينبغي التنبه إليها |
| ۲۳ | النشور |
| 10 | المعاد |
| W | الحشرا |
| 14 | مراتب الموقف |
| /\ | الفصل الرابع: أدلة البعثالفصل الرابع: |
| /٣ | عناية الكتاب والسنة بالإيمان باليوم الآخر |

| ۷٥ | بعض أسباب العناية باليوم الآخر |
|-------|--|
| ٧٨ | أدلة البعث من القرآن |
| 9.8 | أدلة البعث من السنة |
| 47 | دلالة العقل على البعث |
| 1 + 0 | الفصل الخامس: المنكرون للبعث وأقسامهم |
| 171 | الفصل السادس: أسباب إنكار البعث |
| ۱۳۷ | الفصل السابع : كيفية البعث كما في الكتاب والسنة |
| 189 | كيفية البعث في القرآن الكريم |
| 1 & & | كيفية البعث في السنة النبوية |
| 101 | لفصل الثامن: أقوال علماء الإسلام في كيفية البعث |
| 170 | الرد على الفلاسفة وإبطال حججهم في إنكار البعث |
| ١٨١ | لفصل التاسع: النفخ في الصور ـ نفخة البعث |
| ۱۸۳ | نفخة البعث |
| ۱۸۳ | معنى النفخ في اللغة |
| 148 | معناه في الاصطلاح |
| ۲۸۱ | عددالنفخات |
| ۱۸۹ | الخلاف في عدد النفخات |
| ۱۹۸ | الأدلة على إثبات النفخ في الصور |
| 194 | ١ ـ الأدلة من القرآن الكريم على إثبات النفخ في الصور |
| 199 | ٢ ـ الأدلة من السنة على إثبات النفخ في الصور |

| Y • Y | مقدار ما بين النفختين |
|-------|---|
| ۲٠٥ | الفصل العاشر: صفة حشر الخلق وأنهم على صور شتى |
| Y • V | ١ _ حشرهم حفاة عراة غرلاً١ |
| Y • A | ٢ ـ حشر بعض الناس من الكفار على وجوههم |
| ۲۱. | ٣ـحشر المتكبرين |
| *11 | ٤ ـ حشر السائلين |
| * 1 * | ٥ ـ حشر أصحاب الغلول |
| 317 | ٦ ـ حشر أهل الوضوء؛ أهل الغرة والتحجيل |
| 317 | ٧ ـ حشر الشهداء |
| XIX | مسائل |
| X 1 X | ١ ـ الحكمة في إعادة الخلق غر لأ |
| **1 | ٢ ـ بعث الموتى في أكفاتهم |
| *** | ٣. هل تحشر بقية المخلوقات غير الجن والإنس |
| *** | ٤ ـ دفع تعارض |
| 377 | فواثد |
| 377 | ١ ـ أول من يحشر من الخلق |
| 377 | ۲ ـ أول من يكسى من الخلق |
| 779 | الفصل الحادي عشر: الموقف |
| 7 | تعريفه : في اللغة والاصطلاح |
| 737 | صفة حالة الناس و هم في الموقف |

| 737 | ١ ـ صفته في القرآن الكريم١ |
|--------------|--|
| 7\$7 | ٢ ـ صفته في السنة النبوية |
| ۲0٠ | صفة الأرض التي يقف الخلق عليها |
| 707 | بيان الخلاف في أرض المحشر |
| Y00 | مدة وقوف الخلق في الموقف |
| 707 | ١ ـ ما جاء في القرآن الكريم |
| Y70 | ٢ ـ ما جاء في السنة النبوية |
| ۲۷۳ | الباب الثاني: في الشفاعة |
| Y Y Y | الفصل الأول: تعريف الشفاعة في اللغة وفي الشرع |
| 444 | غهيد |
| ۲۸۰ | معنى الشفاعة في اللغة |
| ٣٨٣ | معنى الشفاعة في الشرع |
| ۲۸۷ | الفصل الثاني: أقسام الشفاعة |
| PAY | الشفاعات المثبتة والشفاعات المنفية |
| Y 9 Y | الفصل الثالث: أقسام الشفاعات الثابتة |
| ۲ ، ۳ | النوع الأول: من أنواع الشفاعات المثبتة «الشفاعة العظمي» |
| 77 7 | الشفاعة لأناس قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها |
| ** | الشفاعة في أهل الكبائر |
| ۳۳۰ | غهيد |
| ۱۳۳ | - آراء الفرق في الشفاعة لأهل الكبائر وإخراجهم من النارين |

| ٣٣٧ | أدلة إثبات الشفاعة لأهل الكبائر من القرآن الكريم |
|-------------|--|
| ۲ ۳۸ | . وجه استدلالهم بالآيات السابقة على ثبوت الشفاعة |
| 450 | _أدلة إثبات الشفاعة لأهل الكبائر من السنة |
| ۲۰۲ | ـ آراء الفرق الأخرى في تلك الشفاعة |
| ٢٦٦ | . أدلة نفاة الشفاعة في أهل الكبائر من القرآن الكريم والجواب عنها |
| ٣٦٩ | _ وجه استدلالهم بالآيات السابقة والجواب عنها |
| ٣٩. | . أدله نفاة الشفاعة في أهل الكبائر من السنة والجواب عنها |
| 8.4 | ـ شفاعة الرسول ﷺ لطائفة من المؤمنين بدخول الجنة بغير حساب |
| ٤٠٧ | ـ شفاعة الرسول ع لله لمن سكن في المدينة المنورة ومات فيها |
| ٤١١ | ـ شفاعته ﷺ للمؤمنين بدخول الجنة |
| ۳۱٤ | ـ شفاعة الرسول ﷺ في رفع درجات أهل الجنة |
| £1A | ـ شفاعة الرسول عَظُّ لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه |
| 274 | الفصل الرابع: ثبوت الشفاعة في بعض الأعمال |
| 173 | الفصل الخامس: الشفاعات التي لم يثبت بها نص صحيح |
| 103 | الفصل السادس: الأمور التي تمنع الشفاعة |
| ٤٥٧ | الفصل السابع: ذنوب لم يثبت نفي الشفاعة فيها |
| 673 | الفصل الثامن: أقسام الشفعاء |
| ٤٦٧ | أقسام الشفعاء الذين ثبتت صحة شفاعتهم |
| 279 | ١ ـ شفاعة نبينا محمد ﷺ |
| ٤٧٠ | ٢ ـ شفاعة الأنبياء الآخرين غير نبينا محمد 🕰 |

| ٤٧٣ | ٣ ـ شفاعة الملائكة |
|-----|--|
| ٤٨٠ | ٤ ـ شفاعة الشهداء |
| १९१ | ٥ ـ شفاعة الولدان |
| ٥٠٨ | ٦ ـ شفاعة المؤمنين بعضهم لبعض |
| ۰۲۰ | ٧ ـ شفاعة القرآن الكريم |
| 370 | الشفعاء الذين وردت يهم روايات لم تبلغ درجة الصحة فلم تثبت شفاعتهم |
| ۱۳٥ | الباب الثالث: مجيء الله تبارك وتعالى لفصل القضاء |
| ٥٣٣ | تمهيد |
| 039 | الفصل الأول: الأدلة على نزول الله تعالى لقصل القضاء |
| 039 | ١ ـ الأدلة على نزول الله تعالى لفصل القضاء من القرآن الكريم |
| ٥٤٠ | ٢ ـ الأدلة من السنة النبوية على نزول الله عز وجل لفصل القضاء |
| 001 | الفصل الثاني: معنى مجيء الله تبارك وتعالى |
| 008 | مذهب السلف |
| 750 | مذهب المؤولين |
| ovq | الخلاصة |
| ٥٨٣ | الباب الرابع: رؤية الله تعالى في عرصات القيامة |
| 010 | تمهيد |
| ٥٨٩ | الفصل الأول: الأدلة على إمكان وقوع رؤية الله تعالى |
| | أ ـ الأدلة من القرآن الكريم، وفيه تفصيل شامل لأدلة أهل السنة وأدلة |
| ٩٨٥ | المخالفين والردعليهم |

| | ب. الأدلة من السنة على إثبات وقوع رؤية الله تعالى وذكر شبه المخالفين |
|-----|--|
| 780 | والردعليهم |
| ٥٨٢ | الفصل الثاني: آراء الفرق في إمكان وقوع رؤية الله تعالى |
| 797 | الفصل الثالث: الخلاف في رؤية غير المؤمنين لربهم |
| | بيان الخلاف بين المثبتين للرؤية والنافين لها وهل هو خلاف حقيقي أم هو |
| ٧٠٧ | خلاف لفظي |
| ٧١١ | الفصل الرابع: هل تستلزم رؤية الله تعالى الجهة أم لا؟ |
| ۷۲۳ | ورود النفي والإثبات في جهة العلو |
| ٧٢٧ | الباب الخامس: كلام الله تعالى في يوم القيامة (كلامه في الموقف) |
| ۲۳۱ | عهيد |
| ۷۳۳ | الفصل الأول: إثبات صفة الكلام لله تعالى |
| ۲۳۷ | إثبات صفة الكلام من القرآن الكريم |
| ۷۳۸ | إثبات صفة الكلام من السنة النبوية |
| 737 | إجماع المسلمين على أن الله تعالى متكلم |
| | الفصل الثاني: إثبات صفة كلام الله تعالى للخلق في يوم القيامة في |
| ٥٤٧ | موقف فصل القضاء |
| ٧٤٨ | ١ ـ الأدلة من القرآن الكريم لإثبات كلام الله تعالى لخلقه يوم القيامة |
| ۲٥٢ | ٢ ـ الأدلة من السنة لإثبات كلام الله تعالى لخلقه يوم القيامة |
| | الفصل الثالث: إِثبات أن الله تعالى لا يكلم بعض خلقه في يوم |
| ۲۷۷ | القيامة بكلام الرضى والسرور |
| ۷۷۳ | ١ ـ أدلة ذلك من القرآن الكريم |

| 7 V V | ٧ ـ أدلة ذلك من السنة النبوية |
|-----------|--|
| V V 9 | الفصل الرابع: بيان أقوال أهم المذاهب في كلام الله تعالى |
| ٥٩٧ | شبه المعتزلة في نفيهم كلام الله تعالى |
| ۷۹۷ | الرد على المعتزلة في نفيهم الكلام عن الله تعالى |
| ۸۰۷ | مسألة: بأي لغة يخاطب الله عز وجل الخلق يوم القيامة؟ |
| ۸٠٩ | الباب السادس: العرض على الله جل وعلا في موقف فصل القضاء |
| ۸۱۱ | عَهيد |
| ۸۱۳ | الفصل الأول: معاني العرض لغة واصطلاحًا |
| ۸۱۷ | الفصل الثاني: الأدلة على حصول العرض على الله |
| 414 | ١ ـ من القرآن الكريم |
| ۸۲۰ | ٢ ـ الأدلة من السنة على وقوع العرض على الله |
| | الفصل الثالث: بيان دلالة تلك النصوص على كيفية العرض على |
| | الله، وبيان أقوال أهل الحق وأقوال من خالفهم في |
| ۵۲۸ | ذلك والقول الصحيح |
| ۸۳۸ | الباب السابع: الصحف أو كتاب الأعمال |
| ۸۳۹ | غهيد |
| ۸٤١ | الفصل الأول: الأدلة على كتابة الملائكة لكل ما يصدر عن العباد |
| 131 | ١ ـ الأدلة من القرآن الكريم |
| 18 | ٢ ـ الأدلة من السنة على كتابة الملائكة لأعمال العباد |
| ٨٥١ | الفصل الثاني: المنكرون كتابة الملائكة لأعمال العباد |

| | الفصل الثالث: إِثبات أن كل إنسان يقرأ كتابه في يوم القيامة |
|-----|--|
| ۸٥٧ | والأدلة على ذلك |
| AOR | ١ ـ الأدلة من القرآن الكريم |
| ٥٢٨ | ٢ ـ الأدلة من السنة النبوية |
| ۸۷۱ | الفصل الرابع: كيفية أخذ الكتاب |
| ۸۷۷ | الفصل الخامس: وجوب الإيمان بالصحف وإبطال قول من أنكرها |
| AAY | ملاحظات |
| ۸۸۷ | الفصل السادس: ما قيل من الحكمة في إيتاء الصحف |
| | الفصل السابع: ما معنى تبديل السيئات بالحسنات الواردة في |
| 188 | الصحف |
| ۸۹۹ | الباب الثامن: الحساب |
| ۹٠٣ | الفصل الأول: تعريف الحساب في اللغة وفي الشرع |
| 9.0 | ١ ـ تعريف الحساب في اللغة |
| ۸۰۶ | ٢ ـ تعريفه في الشرع ٢ |
| 911 | الفصل الثاني: أدلة إثبات الحساب |
| 914 | ئهيد |
| 418 | ١ ـ أدلة إثبات الحساب من كتاب الله عز وجل |
| 917 | ٢ ـ الأدلة من السنة النبوية على إثبات وقوع الحساب |
| 974 | الفصل الثالث : متى يكون الحساب وأين يكون المحاسبون؟ |
| 971 | الفصل الرابع: من يتولى حساب الخلق؟ |
| 920 | الفصل الخامس: كيفية الحساب |

| 987 | الفصل السادس: من هم الذين يشملهم الحساب؟ |
|---------------|---|
| 108 | فائدة |
| 977 | الفصل السابع: أول من يحاسب من الناس |
| 940 | الفصل الثامن: أول ما يسأل عنه العبد |
| 441 | الفصل التاسع: تقرير الله لعباده في الحساب |
| 991 | الفصل العاشر: الشهود في الحساب |
| ١٠٠٩ | الفصل الحادي عشر: عدل الله تعالى في القصاص بين الخلق |
| 1 - 1 7 | أ-الأدلة من القرآن الكريم |
| 1.18 | ب-الأدلة من السنة |
| 1.40 | الفصل الثاني عشر: الجزاء في يوم القيامة يكون من جنس العمل |
| 1.77 | ١ ـ الأدلة من القرآن الكريم |
| ۸۲۰۲ | ٢ ـ الأدلة من السنة النبوية |
| 1+80 | الفصل الثالث عشر: رحمة الله بعباده في الحساب |
| 1 • 2 ٧ | ١ ـ الأدلة من القرآن الكريم |
| ٨٤٠ | ٢ ـ الأدلة من السنة النبوية |
| 1.09 | الفصل الرابع عشر: المنكرون للحساب والرد عليهم |
| c <i>r</i> •1 | الفصل الخامس عشر: دور العمل في دخول الجنة |
| ١٠٧٩ | الباب التاسع:الميزان |
| 1 • A 1 | الفصل الأول: تعريف الميزان لغة واصطلاحًا |
| ۱۰۸۳ | ١ ـ تعريفه في اللغة |

| 1.40 | ٢ ـ تعريفه في الاصطلاح |
|---------|---|
| 1.44 | الفصل الثاني: أدلة إثبات الميزان |
| 1.49 | أـ من القرآن الكريم |
| 1 - 9 - | ب من السنة النبوية |
| 1.99 | الفصل الثالث: وجوب الإيمان بالميزان وإجماع الأمة على ذلك |
| 11.0 | الفصل الرابع: المنكرون للميزان والرد عليهم |
| 1117 | الفصل الخامس : صفات الميزان |
| 1111 | الفصل السادس: ما الذي يوزن في الميزان؟ |
| ነ ነዮዮ | ١ ـ أدلة وزن العامل |
| 1771 | ٢ ـ أدلة وزن العمل |
| 1149 | ٣ ـ كيفية وزن العمل |
| 1187 | أدلة وزن صحائف الأعمال |
| | الفصل السابع: حكمة الله تعالى في وزن أعمال العباد والرد على |
| 1101 | من ينكره |
| 1109 | الفصل الثامن: مرجحات الميزان |
| 1175 | الفصل التاسع : متى تنصب الموازين؟ |
| 1177 | الفصل العاشر: لمن ينصب الميزان؟ |
| ۱۱۷۳ | هل توزن أعمال الكفار؟ |
| 1141 | الفصل الحادي عشر: كيفية الوزن |
| | الفصل الثاني عشر: هل هو ميزان واحد في يوم القيامة أم موازين |
| 1141/ | Çās lara |

| 1197 | الفصل الثالث عشر: هل توزن أعمال الجن؟ |
|------|---|
| 17 | وتفصيل أحكامهم التي تتعلق باليوم الآخر |
| 1711 | الباب العاشر:الصراط |
| 1717 | تهيد |
| 1710 | الفصل الأول: تعريف الصراط |
| ١٢١٧ | ١ ـ تعريف الصراط في اللغة |
| ١٢١٩ | ٢ ـ تعريفه في الاصطلاح |
| ۱۲۲۳ | الفصل الثاني: الأدلة على إثبات الصراط |
| 1770 | ١ ـ من القرآن الكريم |
| 1777 | ٢ ـ من السنة التبوية |
| 1371 | الفصل الثالث: وصف الصراط والمرور عليه |
| 1771 | الفصل الرابع: متى يتم المرور على الصراط |
| 1770 | الفصل الخامس: الحكمة في نصب الصراط |
| 1779 | الفصل السادس: مسافة الصراط |
| 1777 | الفصل السابع : المنكرون للصراط |
| ۱۲۸۵ | الفصل الثامن: هل يمر جميع الخلق على الصراط؟ |
| 1440 | الفصل التاسع: أول من يجوز الصراط |
| 17.1 | الفصل العاشر: شعار المؤمنين على الصراط |
| 14.4 | الفصل الحادي عشر: الأعمال الموجبة للجواز على الصراط |
| 1171 | الفصل الثاني عشر: هل الصراط قد خلق أم سيخلق في يوم القيامة؟ |
| | |

| | الفصل الثالث عشر: هل يبقى الصراط إلى خروج عصاة الموحدين |
|-------|---|
| 1710 | من النار أم لا؟ |
| 1719 | الباب الحادي عشر: القنطرة |
| 1771 | تمهيد |
| 1777 | الفصل الأول: أدلة إثبات القنطرة |
| ١٣٢٧ | الفصل الثاني: موضع تلك القنطرة |
| | الفصل الثالث : هل هي قنطرة واحدة أم هي قناطر متعددة والراجح |
| 1777 | في ذلك |
| 1781 | الفصل الرابع: لماذا أخر الله حساب هؤلاء إلى القنطرة |
| 1780 | الباب الثاني عشر: الورود |
| 1451 | تمهيد |
| 1781 | أقوال العلماء في معنى الورود |
| 1001 | القول الراجح في معنى الورود |
| 1709 | مسألة في هل الأنبياء يشملهم هذا الورود |
| ٠,٢٣١ | مسألة |
| ۳۲۲ | الباب الثالث عشر: أصحاب الأعراف |
| סדדו | الفصل الأول: ما ورد في القرآن الكريم بشأن أصحاب الأعراف |
| 1414 | الفصل الثاني: ما هو المراد بالأعراف لغة واصطلاحًا |
| ۱۳۷٥ | الفصل الثالث: الخلاف في تعيين أصحاب الأعراف |
| ١٣٨٩ | الفصل الرابع: ما هو الراجح في أهل الأعراف؟ |

| | الفصل الخامس : سورة الأعراف، الحاجز بين الجنة والنار يكون دائمًا |
|-------|--|
| 1490 | أم في فترة من الفترات؟ |
| 1799 | الباب الرابع عشر:الحوض المورود |
| 1811 | |
| 18:17 | الفصل الأول: تعريف الحوض في اللغة والاصطلاح |
| ١٤٠٧ | الفصل الثاني: الأدلة على إثبات الحوض |
| 18.9 | ١ ـ من القرآن الكريم |
| 18.9 | ٢ ـ من السنة النبوية |
| 1810 | إجابة عن إشكال |
| 127. | إجابة عن إشكال آخر |
| 1277 | معنى قول الرسول عَلِيُّ ومنبري على حوضي |
| 1277 | هل يشرب أهل الكبائر من الحوض |
| 1270 | الفصل الثالث: أقوال علماء الإسلام في إثبات الحوض |
| 1271 | الفصل الرابع: مسافة الحوض |
| | الفصل الخامس: الجمع بين الروايات التي وردت في تحديد مسافة |
| 1220 | الحوض |
| 7631 | الفصل السادس: صفات الحوض ومزاياه |
| 1200 | الفصل السابع: متى يرد الناس الحوض؟ |
| 1279 | الفصل الثامن : المنكرون للحوض |
| | الفصل التاسع : الردعلي من ينكر الحوض |

| 1881 | الفصل العاشر: هل ثبت أن لكل نبي حوضًا يخصه؟ |
|------|---|
| ۱٤۸۷ | الباب الخامس عشر: الكوثر |
| 1889 | لماذا أثبت بحث الكوثر وهو من الأمور التي في داخل الجنة |
| 1891 | الفصل الأول: تعريف الكوثر |
| 1899 | الفصل الثاني: الأدلة على إثبات الكوثر |
| 10.1 | ١ ـ من القرآن الكريم |
| 10.1 | ٢ ـ من السنة النبوية |
| | الفصل الثالث : تسمية الكوثر بالحوض والحوض بالكوثر وبيان وجه |
| 10.7 | الاتصال بينهما |
| 1017 | أقوال العلماء |
| 1017 | الفصل الرابع: اختصاص الرسول عَلَيْ بالكوثر دون غيره من الأنبياء |
| 1017 | الفصل الحامس: صفات الكوثر |
| 107. | سبب تأخير بحث الحوض والكوثر إلى آخر البحث |
| 1075 | الخاتمة |
| 1000 | أسماء المراجع |
| 1070 | الفهرسالفهرس الفهرس المناسبة |

